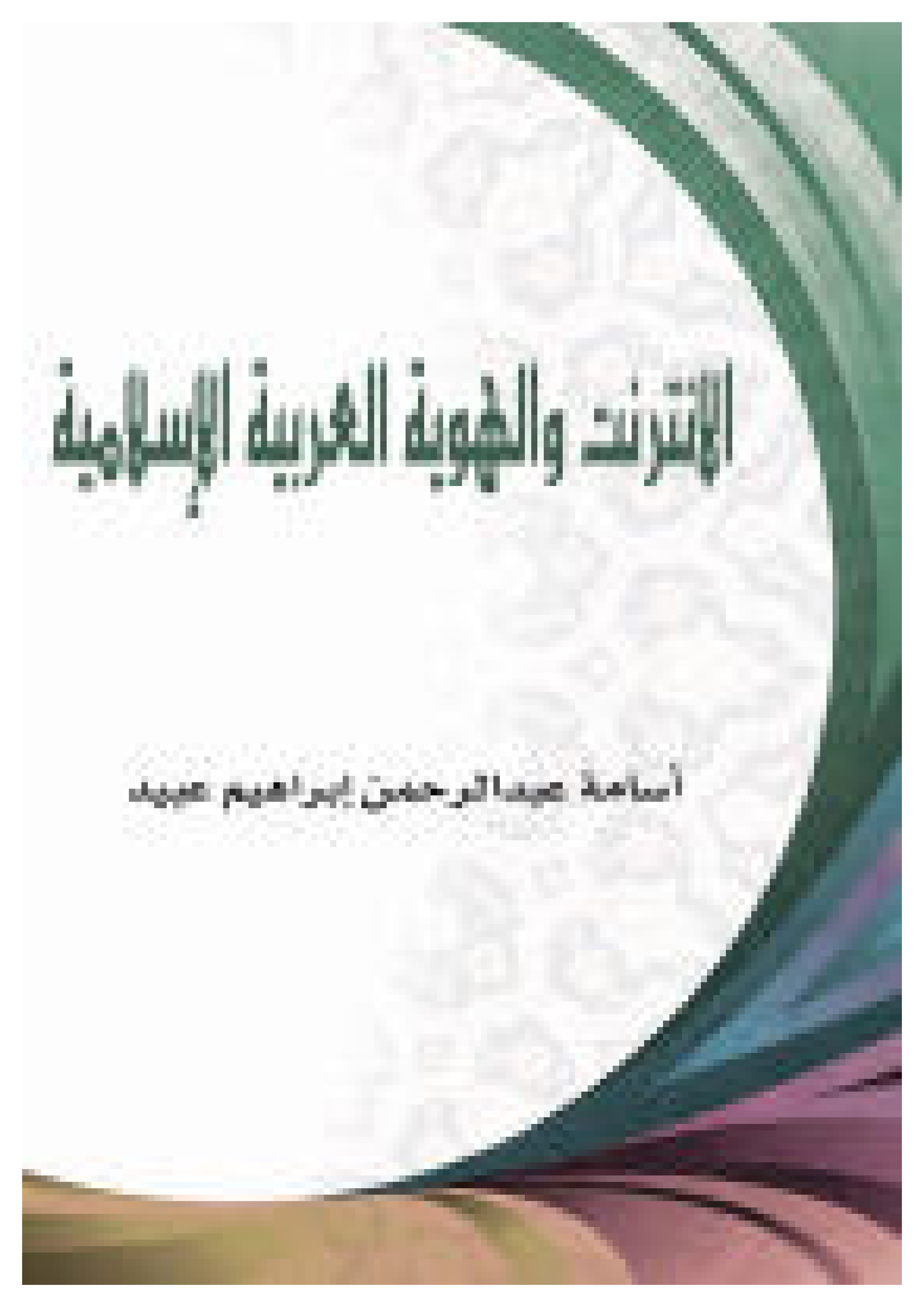

الإنترنت والهوية العربية الإسلامية
أسامة عبد الرحمن إبراهيم عبيد

الانترنت والهوية العربية الإسلامية

أسامة عبد الرحمن

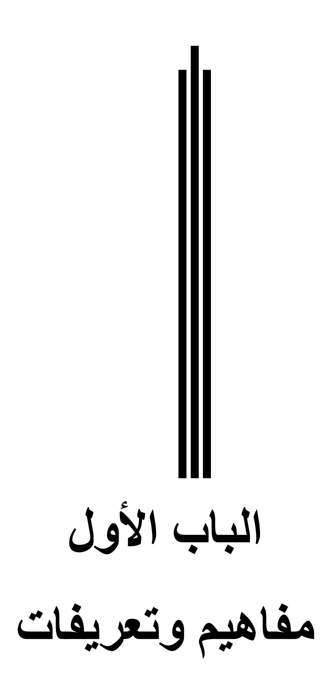
مقدمة

رحل الاحتلال عن الأراضي العربية والإسلامية مخلفاً وراءه العديد من المَسَاوئ التي ردت المجتمع المسلم عدة قرون إلى الوراء، وكان التخلُّف والتَّبَعيَّة والتَّجزئة من أفدح المساوئ التي خلفها الاحتلال وراءه، مما كان له أكْبَر الأثر في إضعاف الهوية الإسلامية، تلك الهوية التي تميَّزت بقوتها في العصر الزَّاهر للمُسلمين وطوال سنوات وهم أيًّا كانوا يحاولون أن يقضوا على الحضارة الإسلامية، ويزيلوا معالمها، ويفقدوها هُويتها،ونجحوا إلى حد كبير بسبب ما صنعه المسلمون بأنفسهم وابتعادهم عن الإسلام، حيث صار على حد قول أحد الكتاب الإسلام في هذا العالم الإسلامي غريب على الناس؛ كغربته يوم بدأ وفوق ذلك يكرهه كثيرون يقول جوستاف لوبون كلما أمْعنَّا في دراسة حضارة العرب المسلمين وكتبهم واختراعاتهم، ظهرت لنا حقائق جديدة، وآفاق واسعة، وسرعان ما رأينا أن العرب أصحاب الفَضْل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وأن جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون موردًا علميًّا سوى مؤلفاتهم.

تكونت الحضارة العربية الإسلامية حين كانت للمسلمين شخصيتهم، وأصالتهم غير التابعين فيها لغيرهم؛ لأن التبعية جوهر التخلف ولقد أنكر الرسول ص على الأمة أن تفقد هُويتها وأصالتها، إلى حد تغدو فيه ذيلاً تابعًا للآخرين من أصحاب الديانات السابقة،والحضارات السائدة، ويعبر الحديث عن مدى التَّبعيَّة والرسول ص يخبرنا أن أمة الإسلام سوف تتعرض لكثير من المَخَاطِر ويحذر الرسول ص المسلمين من المخاطر فيقول ص: يُوشك أن تَتَداعَى عليكم الأمم؛ كما تتداعى الأكلة على قصعتها،قالوا: أفمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا؛ بل أنتم يومئذٍ كثير ، لكنكم غثاء كغثاء السيل، وليَنْزعن الله المَهَابة من قلوب أعدائكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوَهَن يا رسول الله؟ قال: حبُّ الدنيا وكراهية الموت فالأعداء يتآمرون على الأمة لنَهْب خيراتها، وتقاسم ممتلكاتها ، وهذا يتحقق بأحد أمرين: إما بالاحتلال المباشر، وهو ما حدث منذ مدة، وإما بالتَّبعيَّة للأمم الأخرى في شتى المجالات، وهو حادث الآن، وهو ما لا يَتأَتَّى إلاَّ بذَوَبان الأمة في حضارة تلك الأمم، وغياب النموذج الذي بناه الرسول ص مما يُصيب الأمة في حضارتها وكيانها ووجودها، فلا يكون لها شأن بين الأمم رَغْم كثرة أبنائها٠

ويُفْهَمُ من الحديث هجوم الأعداء مهما اختلفت أنواعهم على المسلمين مُسْتخدمينَ كافة أسلحتهم، في محاولة لتذويب هُوية المسلمين، ونظرًا لهذا الهجوم تتعرض الأمة الإسلامية والعربية لكثير من المخاطر والتحديات، التي يجب مُواجهتها بكل قوة وصلابة وَهِيَ تحديات حضارية،ومُواجهتها لن تكون مُجْدِية إلا إذا راجعت الدول العربية أمورها، وشرعت في إرساء مشروع حضاري يغطي كافة جوانب الحياة؛ كما لا تُوجد دولة عربية تستطيع بمفردها مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها خاصة تلك التي تتعلق بالتربية وتمثلت أهم هذه التحديات فى الهُوية والعولمة، والغزو الفكري، والاستشراق وسنركز هنا على أهم الأدوات فى القضاء على الهوية العربية الاسلامية وهى العولمة والانترنت ودورهما فى القضاء على الهوية ٠

أسامة عبد الرحمن



الباب الأول

مفاهيم وتعريفات

المفهوم والمبادئ

الهَوِيَّةُ البئرُ البعيدةُ القعر وهُوِيَّةُ الإِنْسَانِ حَقِيقَتُهُ المُطْلَقَةُ وَصِفَاتُهُ الْجَوْهَرِيَّةُ والهوية تعني جوهر الشيء وحقيقته التى يتميز بها عن غيره، وعلم النفس اهتم بالجانب الإجتماعي للهوية وكانت هناك محاولات عديدة لتعريف الهوية خاصة من خلال دراسة مفاهيم الذات الإجتماعية والشخصية الإجتماعية وغيرها،ويؤكد وليم جيمس أن الهوية ظاهرة نفسيـة إجتماعية تقع عند نقطة التقاء معرفة الذات من طرف الإنسان نفســه ومن طرف الآخرين والهوية لا تنفصـل عن الثقافة التي تتغذى منها،وفي مجال العلوم الإجتماعية يتميز مفهوم الهوية الثقافية بغموض وتعدد معانيه، ونظراً لحداثة هذا المفهوم، فقد شهـد عدداً من التعاريف وتحولت من مفهوم إلى فكرة في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الخمسينيات والهُوِيَّةُ في الفلسفة : حقيقةُ الشيءِ أو الشخص التي تميزه عن غيره ٠

وهى إحساس الفرد بنفسه وحفاظه على تكامله وقيمته وسلوكيَّاته وأفكاره في مختلف المواقف **و**الهُوِيَّةُ الوَطَنِيَّةُ مَعَالِمُهَا وَخَصَائِصُهَا المُمَيِّزَةُ وَأَصَالَتُهَا **وهى** الوعي بالذّات الثقافيّة والاجتماعيّة، ولا تعتبر ثابتة، إنّما تتحوّل تبعاً لتحوّل الواقع فهي عبارة عن سماتٍ تميّز شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها وهي الخصوصيّة والذّاتيّة وهي ثقافة الفرد ولغته وعقيدته وحضارته وتاريخه وجزء لا يتجزّأ من منشأ الفرد ومكان ولادته حتّى وإن لم يكن أصله من نفس المنشأ ٠

وفي اللّغة مشتقّة من الضّمير هو أمّا مصطلح الهوَ فهو المركّب من تكرار كلمة هو، وتمّ وضعه كاسم معرّف بأل ومعناه الاتّحاد بالذّات ويشير مفهوم الهويّة إلى ما يكون به الشيء هو هو،أي من حيث تشخّصه وتحققه في ذاته ومحتوى لهذا الضمير في الوقت نفسه ، بما يشمله من قيم وعاداتٍ ومقوّمات تكيّف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها.

ومن مبادئ الهوية أن تكون الهويّة منسجمة مع معطيات الفكر القانوني والسّياسي، الّذي يستند إلى قانون المواطنة بوصفها معياراً جوهريًّا لتحقيق المساواة وأن تعبّر الهويّة عن الواقع، أي أن تكون انعكاساً لتصوّر فئة ما دون غيرها.

وعن المفهوم الفلسفي للهويّة **ف**الذّات هي ما يسمّيه الفلاسفة بالهويّة؛ فذات الإنسان هي هويّته،وهي كلّ ما يشكّل شخصيّته من مشاعر وأحاسيس وقيم وآراء ومواقف وسلوك؛ وكل ما يميّزه عن غيره من النّاس وقد عرّف أريكسون الهويّة الشخصية،أو الذّات، بأنّها الوعي الذّاتي ذو الأهميّة بالنّسبة للاستمرار الأيديولوجيّ للشخصية، وفلسفة الحياة الّتي يمكن أن توجّه الفرد، وتساعده في الاختيار بين إمكانيِّات متعدّدة، وكذلك توجّه سلوكه الشّخصيّ أمّا هنري تاشفيل، وجون تيرنر الباحثان الإنجليزيّان في علم النّفس الاجتماعي فاستعملا مصطلح الهويّة الشخصية، مقابل الهويّة الاجتماعيّة وكان القصد من مصطلحهما الذّاتيّة، الّتي تعرف الفرد بالمقارنة مع الآخرين.

السياسات والمكوّنات وأهمية الهويّة

وسياسات الهوية عبارة عن مجموعة من الحجج السياسية التي تركز على المصلحة الذاتية ووجهات النظر الخاصة بالمجموعات ذات المصلحة الاجتماعية المحددة ذاتيًا، والوسائل التي يمكن عن طريقها تشكيل سياسات الشعوب بواسطة مظاهر هويتهم التي يتم تحديدها عن طريق العرق أو الطبقة أو الدين أو الجنس أو الأيديولوجية أو الولاية أو التوجه الجنسي أو الثقافة أو العملة أو تفضيل المعلومات أو التاريخ أو الأسلوب الأدبي أو الموسيقي أو الظروف الطبية أو المهنة أو الهواية أو أي شيء آخر مرتبط على نحو غير مضبوط ولكن بسيط بالنسبة لإدراك المنظمات الاجتماعية وليس من الضروري مشاركة كافة الأعضاء من أي مجموعة في سياسات الهوية وربما تكون هذه الممارسة موجودة منذ أمد طويل؛ لكن لم يظهر هذا المصطلح صراحةً إلى جانب كافة الحركات المرتبطة به إلا في النصف الثاني من القرن العشرين كذلك يمكن التعرض لهذا المصطلح بطريقة أكثر شيوعًا في الحركات الطبقية والنسائية لكن حيثما وجد هذا المصطلح، فإنه يصبح مجالاً للمناقشة والنقد على نطاق واسع ويعد تأثير الأقلية أحد المكونات الرئيسية لسياسات الهوية فتأثير الأقلية شكل من أشكال التأثير الاجتماعي الذي يحدث عندما يتم التأثير على الأغلبية لقبول معتقدات أو سلوك الأقلية وعلى عكس أشكال التأثير الأخرى،عادةً ما يتضمن هذا النوع من التأثير تغيرًا شخصيًا في الرأي الخاص ويطلق على هذا التغير الشخصي في الرأي تحولاً.

والهوية المكانية تعبير يشير إلى مجموعة من الأفكار حول المكان وهويته في مجالات الجغرافيا والتخطيط العمراني وتصميم العمران والمناظر الطبيعية وعلم النفس البيئي وعلم الاجتماع العمراني وعلم الاجتماع البيئي ويختص هذا المصطلح بمعنى الأماكن وأهميتها للقاطنين فيها ومستخدميها ويطلق على الهوية المكانية في بعض الأحيان الشخصية الحضرية أو شخصية المنطقة السكنية أو الشخصية المحلية.

وقد برزت قضية الهوية المكانية بوصفها إحدى القضايا التي تحظى بالاهتمام في التخطيط والتصميم العمراني خلال ربع القرن الماضي ومع ازدهار الحركة العالمية لحماية المواقع ذات الأهمية الخاصة في التراث، ازدادت المخاوف بشأن فقد الشخصية الفردية والسمات المميزة بين الأماكن المختلفة نظراً للتأثير الذي تتركه العولمة الثقافية عليها.

أما مكونات الهوية فتشمل موقع جغرافي وذاكرة تاريخيّة وطنية مشتركة وثقافة شعبيّة موحّدة وحقوقٌ وواجباتٌ مشتركة واقتصاد مشترك.

وإذا كانت هذه هي الهوية فهى مهمة وعند المسلمين أكثر أهمية، والإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هوية مشتركة لكل مسلم، كما أن اللغة التي نتكلم بها ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب، إنما هي: الفكر والذات والعنوان، بل ولها قداسة المقدس، وأصبحت لسانه بعد أن نزل بها نبأ السماء العظيم،

كما أن العقيدة التي نتدين بها ليست مجرد أيديولوجية وإنما هي: العلم الكلي والشامل والمحيط، ووحي السماء، والميزان المستقيم، والحق المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي منظومة القيم التي تمثل مرجعنا في السلوك، فهي ليست نسبية ولا مرحلية وقد أدرك الأعداء ذلك فالصليبية والشيوعية والصهيونية اليوم ترى أن استعادة المسلمين لهويتهم الإسلامية وانتمائهم القرآني هو أكبر الأخطار ، ومن ثم فإن كل قوى التغريب والغزو الثقافي ستطلق في هذا الاتجاه، ويقوم الاستشراق والتنصير بدور كبير ٠

كما أن الغرب أحرص ما يكون على هوياتهم، وعلى ذوبان المسلمين المهاجرين في مجتمعاتهم، بل إن هناك مؤسسات ووزارات خاصة للاندماج وتذويب الهويات وأوروبا ترفض تركيا بسبب الهوية ليس إلا، وكما قال الرئيس أوزال سنة ١٩٩٢م: سجل تركيا بالنسبة لحقوق الإنسان سبب ملفق لعدم قبول طلب انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي، السبب الرئيسي هو أننا مسلمون وهم مسيحيون فالقوى الأوروبية تظهر صراحة أنهم لا يريدون دولة إسلامية في الاتحاد الأوروبي، ولا يسعدهم وجود دولة إسلامية أخرى كالبوسنة انها حرب هويات كما يقول هنتجنتون حيث نجد تركيا تعيد تأكيد دورها كحامية للبلقان

وتدعم البوسنة،في يوغوسلافيا السابقة،وروسيا تساند الصرب الأرثوذكسية ،وألمانيا تساعد كرواتيا الكاثوليكية ،والدول الإسلامية تهرع لمساعدة حكومة البوسنة، والصرب يحاربون الكروات ومسلمي البوسنة ومسلمي ألبانيا والهويّة الوطنيّة هي مجموع السّمات والخصائص المشتركة الّتي تميّز أمة أو مجتمع أو وطن معيّن عن غيره، يعتزّ بها وتشكّل جوهر وجوده وشخصيّته المتميّزة ٠

الهويّة العربيّة

بدأت الهويّة العربية في التشكّل دستوريّاً منذ كتابة صحيفة النّبي ص بعد هجرته إلى يثرب، وانطلقت من مبدأ التغيّر مع الإبقاء على الثّوابت، لذلك شاركت الهويّة العربيّة في منظومة الإنتاج الحضاري، وبناء التّراث العالمي، وبقيت اللغة العربيّة محافظة على ثباتها الإيجابيّ باعتبارها مكوًّنا أساسيًّا للهويّة العربيّة ٠

وما دمنا نتحدث عن الهوية وجب الحديث عن العلاقة بين اللغة والثقافة والهوية لأنهما من المكونات الأساسية لها وبداية يثور تساؤُل هام هو ما حدود العَلاقة بين اللُّغة والهُويَّة؟ وهذا يستدعي مجموعة من النِّقاط والأسئلة التي ترتبط بالدوائر التي يلتقيان أو يفترقان (اللغة والهُويَّة) فيها .

بعضُ الألفاظ قريبة منَّا إلى درجة أنَّنا نغفل عن دلالاتها البعيدة أو العميقة،ونستحضر القريبة،أو المباشرة فحسبُ، ومع مرور الزمن، وكثرة تداولها تنزوي الدلالات البعيدة أو العميقة، حتى تختفيَ تمامًا، فلا تكاد تظهر ويتداولها نفرٌ محدود من الناس، حتى هذا الظهور يكون محاصَرًا في الغالب داخلَ قاعات ضيِّقة، أو وراءَ جُدران سميكة.

مِن هذه الألفاظ: اللُّغة، والهُوِيَّة، ماذا بقي لنا من دلالات هذين اللفظين؟ لم يبق من الأوَّل سوى الاتصالِ أو التواصل، ولم يبقَ من الثاني سوى البطاقةِ الشخصيَّة التي تسمَّى في بعض البلاد العربية بالاسم نفسه بطاقة، وفي بعضها هُوِيَّة، وفي بعضها الآخر، وداخل شرائح من هذا البعضِ يتمُّ الاتجاه إلى لفظ أجنبي دخيل، قد يكون: **I.D** ولو نظرنا في هذه الدلالات القريبة المسطَّحة، فهى لا تتجاوز في اللغة ما يُردِّده اللسان، أو يُلقي به لنقضيَ الحوائج اليوميَّة، ونحقِّق التواصل مع المجتمع، وأحياناً التعبير عن أنفسنا في إطار مشاغل الحياة وهمومِها ولا تتعدَّى في الهُوِيَّة التعريف بالأنا الفرديَّة مقطوعة الصِّلة بالأنا الجماعية بمختلف مستوياتها ومِن المفارقات اللافتة: أنَّ العامَّة أصبحوا اليومَ أكثر صدقًا وعفويةً في الالتفات إلى المستويات العُليا للهويَّة،أو للأنا، كأنَّ الوعي البسيط والعفويَّ يقترب بنا من المثل والغايات والحقائق، وفي الوقت نفسِه من المصالح وتحقيق الذات، أكثر مِن الوعي والعاقل، وربَّما يرجع ذلك إلى أنَّ النخب واقعةٌ تحت تأثيرِ الأنانية، وبريق المال، وسطوة الإعلام، وضغوط السُّلطة، وجاذبية الفلك القويِّ الذي لا يرحمُ مَن يقترب منه، فيبتلعه نحن إذًا في حاجةٍ إلى أن نتبيَّن الدلالاتِ القريبة والبعيدة، الظاهرة والمستترة، لكلٍّ من هذين اللفظين، حتى نصل إلى غايتنا المتوخاة.

علاقة اللغة والثقافة بالهوية:

بين اللُّغة والثقافة رباط حميم، فلا نتصوَّر لغةً ما لاتنتج ثقافة، أيًّا كانت اللُّغة، وأيًّا كانت الثقافة، كما أنَّنا لا نتصوَّر ثقافة لا تعتمد في جانب أساسى منها على وعاءٍ لُغويٍّ يحتويها، ويتفاعل معها وينقلها، هما إذًا دائرتان متداخلتان لا يُمكن أن نُخَلِّص إحداهما من الأخرى، نقول ذلك دونَ أن ندخل في تعريفاتِ الثقافة وتوجُّهاتها، فليس هذا موطنَه، وما يهمنا أن نؤكِّد على نقطة مهمَّة؛ هي: أنَّه إذا كانت اللُّغة هي الفِكرَ الذي يتفاعل مع الأشياء، ويقف منها أو معها مواقفَ محدَّدة، فإنَّ الثقافة هي أيضًا ذلك الشيء،أو تلك الأشياء المتشابكة،غير الملموسة التي تُملي عليه طرائقُه في التعامل مع الأشياء، وتحدِّد استجاباتِه تُجاهها، نحن إذًا أمام وجهين لشيءٍ واحد، قد تكون الثقافة أعمَّ، إذِ اللُّغة عنصر مهمٌّ للغاية في بنائها، وتوجيه مسارها، على أنَّ للثقافة دورَها الخطير في التأثير في اللُّغة باعتبارها فكرًا، واللغة والثقافة معًا ليستَا نابعتَين من داخل الإنسان،أو ليستَا فرديَّتين؛ لكنَّهما جزءٌ من حراك الوسط الذي يعيشان فيه، ومِن هنا تأتي التفرقة الضروريَّة بينهما، وبين العِلم الثقافة نظرية في السُّلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وبهذا يمكن أن يُقاس الفرق الضروري بين الثقافة والعِلم.

اللُّغة أقدمُ تجليات الهويَّة، أو لنقلْ: هي التي صاغتْ أوَّل هويَّة لجماعة في تاريخ الإنسان، فاللسان الواحد جعل من كلِّ فئة من الناس جماعة واحدة، ذات هويَّة مستقلة، ويزداد الاهتمام باللُّغة والهويَّة معًا، ويشيع الحديث عنهما، في المنعطفات أو المفاصل التاريخيَّة في حياة الجماعات، وهي منعطفات أو مفاصل ليستْ من نوع واحد، فقد يكون منعطفًا أو مفصلاً حضاريًّا إيجابيًّا وقد يكون سلبيًّا تتعرَّض فيه للانكسار، وتغزوها رِياحُ التشتُّت والطمس وربَّما الغياب عن ساحة الفعل والتأثير في الحالين تبرز قضية اللُّغة، وقضية الهويَّة، وفي الغالب يتمُّ الربط بينهما إلى درجةِ أنَّهما يكادان يُصبحان شيئًا واحدًا.

وفي هذا السِّياق نستحضر بواكيرَ التحوُّل العربي من ضيق القبلية والبداوة إلى سَعة الحضارة والمدنيَّة، هذه النقلة التي أحدثها الإسلامُ، وكان أحدَ تجلياتها الواضحة الاتجاهُ الكبير نحو التدوين اللُّغوي، ونشاط الدِّراسات اللُّغويَّة والنَّحْوية، في إشارة واضحة وعميقة إلى التحوُّل في حياة أولئك الأعراب، وشعورهم بأنَّهم أصحابُ هويَّة.

الصورة المقابلة صورتنا نحن العربَ والمسلمين بعد الحقبة العثمانيَّة، وموت الرجل المريض، وفيها يبدو المسلمون عامَّة، والعرب منهم خاصَّة ، في طريقهم إلى التشرذم والتفكُّك تحت تأثير الانقطاع الحضاريِّ الطويل، والسُّبات الذي امتد قرونًا، وأيضًا تحت تأثير العقل الامبريالى الذي يُريد أن ينهب ويُهيمن ويستتبع، ويومها أيضًا برزت قضية اللُّغة، وإن كانت الظروف مختلفة، فقد قُدِّمت اللُّغة العربيَّة على أنَّها بديلٌ للفكر الذي غذاها الإسلام،وجُعل عُنصرًا هوية الأمَّة نقيضان .

إنَّ كلاً من اللُّغة والهُويَّة خاصية إنسانيَّة، فاللُّغة هي لغة الإنسان، لا يشاركه فيها كائنٌ آخر، وكذا شأن الهُويَّة، فما يجمع بين فصيل من الحيوانات أو سِرْب من الطيور أو نحو ذلك، ليس بالتأكيد هُويَّة وإنَّما كانتا اللُّغة والهُويَّة خاصيتَين إنسانيتَين؛ لأنَّ الإنسان وحدَه هو الذي يملك الوعي، والشُّعور بالذات، وبالآخر، وهذا ما يجعلنا نقول إنَّ كلاً منهما مرتبط بالعقل، وهذه دائرةٌ جديدة مرتبطة أشدَّ الارتباط بسابقتها، هما إذًا خاصيتان عاقلتان.

وهما أيضًا أوَّليتان، بمعنى أنَّهما قديمتان وُجدتَا مع وجود الإنسان على هذه الأرض، فالله سبحانه وتعالى ميَّز آدم عليه السلم بعِلْم الأسماء ، وما الأسماء إلاَّ نوع من اللُّغة تجعله قادرًا على التفكير فيما يحيط به، والتعامل معه، ثم إنَّ عملية التعليم نفسِه لآدم حدَّدت هُويته ومَيَّزته عن غيره من المخلوقات، فهو كائنٌ مختلف يعرف ما لا يعرفون، ولديه خصائص ليستْ فيهم وكلٌّ منهما كذلك مركَّب، بلغة الفلسفة والمنطق؛ واللُّغة تحتوي طرقَ التفكير والتاريخ والمشاعر، وإرادة الناس وطُموحاتهم وشَكْل علاقاتهم، والهُويَّة أيضًا هكذا فى تركُّبها.

وهُمَا إضافة إلى ذلك تاريخيتان، بمعنى أنَّهما محتاجتان إلى التاريخ أو الزّمن حتى تتشكّلاَ وتتعمَّقا، وتأخذا الأبعاد اللازمة، ولا يَتنافى هذا مع ما قُلناه من أنَّهما أوَّليتان، فأوليتهما يُراد منها الإشارةُ إلى ملازمتهما للإنسان، وتاريخيتهما تُشير إلى ما تحتاجانِ إليه حتى تنضجَا ثم إنَّهما جمعِيَّتان، والمقصود من الجامعيَّة أنَّهما لا تعيشان داخلَ الفرد منعزلاً، إلاَّ في صورة ساذجة، لا تجعل منهما مستحقتَين لاسميهما.

اللُّغة والهُويَّة هما إذًا وجهان لشيء واحد، بعبارة أخرى: إنَّ الإنسان في جوهره ليس سوى لُغة وهُويَّة، اللُّغة فِكرُه ولسانه، وفي الوقت نفسه انتماؤه، وهذه الأشياء هي وجهه وحقيقته وهُويته، وشأن الجماعة، أو الأمَّة هو شأن الفرْد، لا فرق بينهما وعلى الرغم من الالتقاء بين اللُّغة والهُويَّة فهل ثمة دوائرُ يفترقان فيها؟ والجواب: هناك مَن يضع حدودًا بينهما، أو لنقل: إنَّ بعضهم يرى الهُويَّة أكثرَ في غير اللُّغة.

العربية هوية

إذا كانت اللُّغة مطلقة هي الهُويَّة كما سَلف، فإنَّ العربية تحديدًا هوية لأصحابها العرب،ولغيرهم مَن يتعبَّدون بها مِن المسلمين ذاتُ خصوصية ، فهي أعلى مستوى من مجرَّد لغة وأكثر عمقًا، وأشدُّ التصاقًا بناطقيها وتمييزًا لهم، إنَّها هوية من طراز خاص، تمتلك الكثير من عناصر القوَّة التي تعطيها هذا كلَّه، ومن هذه العناصر:القداسة فالعربية مقدَّسة في نظر أبنائها، وقداستها مستمدة من ارتباطها بكلام الله تعالى القرآن الكريم بحروفه وألفاظه.

ومعلومٌ أنَّ الصلاة وهي الركن الثاني من أركان الإسلام لا تصلُح بغير العربية، ممَّا يعني أنَّ المسلم غير العربي ملزمٌ بأن يتعبَّد بهذه اللُّغة؛ لذا فهو مُضطر إلى تعلُّمها، وإدارة لسانه بها هذه القداسة تجعل منها جزءًا من الدِّين، والدِّين هو أهمُّ عوامل الهُويَّة وأقواها حضورًا عند الإنسان، أيًّا كان وإلى جانب القداسة هناكعاملُ قوَّة آخر يتصل بتاريخية هذه اللُّغة، فالتاريخ يعمل فيها عمله، فاللُّغة وعاء التاريخ، وكلَّما كان هذا الأخير ممتدًّا وخصبًا انعكس على اللُّغة قوَّةً وثراء وهنا عنصرٌ لا بدَّ أن نتوقَّف عنده وهو الجغرافيا؛ لأنَّ اتساع مكان اللُّغة يعني اتساعَ حراكها، وزيادة ثرائها، والعربية امتدَّتْ على مساحات شاسعة من العالم، بفضل الإسلام، وفي كلِّ مكان وصلت إليه كانت تتفاعل مع طبيعته، وسكَّانه، تأخذ منه ومنهم وتعطيهم وبعض اللُّغات تتمتَّع بعنصر ممَّا سبق، أو اثنين أو أكثر؛ لكنَّها لم تصنع حضارة،

أو لم تسجِّل سبقًا في مرحلة تاريخيَّة، ونعني بالصناعة أو السَّبْق هنا ليس مجرَّد صناعة حضارة جزئية، أو تحقيق سبق في جانب ما؛ لكن قيادة الحضارة فمثل هذا الإنجاز يكون سندًا كبيرًا لُغةً ورصيدًا يظلُّ محسوبًا لها وهذا ما تَحقَّق للعربية، فقد كانت لُغة الفِكر والعلم والتقدُّم قرونًا عديدة وعلماء اللُّغات صنَّفوا العربية ضمنَ أسرة اللغات المتصرِّفة، وهي أرقى الأسر اللُّغوية، فهي تمتلك وسائلَ كثيرةً تزيد من قدرتها على تحقيق وظائفها في التعبير والتواصُل.

مفهوم الهوية الإسلامية، وركائزها:

في المجتمعات الإسلامية يعد الدين الإسلامي الهوية الأساسية والرسمية لها، فهو الانتهاء الحقيقي والرمز ومحور حياة المجتمع، من خلالها يتفاعل أفراد المجتمع، وحينما يضعف التمسك بالدين والالتزام به في نفوس الأفراد يظل هو الهوية المفقودة[١] التي نبحث عنها، بحكم أننا مسلمون أولاً وأخيراً، ولأنه ليس من الممكن أن نختار غير الإسلام هوية ونظل مع ذلك مسلمين، فنحن حينما ابتغينا الإسلام ديناً، فقد ارتضيناه هوية[٢] وهوية المسلم تتمثل في حفاظه على دينه، واعتزازه به وتمسكه بتعاليمه والتزامه بمنهجه في صغير الأمور وكبيرها،[٣]

قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ)[٤] ،والدين في المنظور الإسلامي هو النظام أو المنهج الذي يحكم جميع جوانب الحياة[٥] فالهوية تعني كامل الانتماء بكل أبعاده المادية والمعنوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ولا تقتصر على مجرد الانتماء العصبي أو القبلي أو العنصري أو الجغرافي[٦] فهي تكامل نفسي فكري ، وانتماء جاء تحقيقاً وتطبيقاً لقول الله تعالى: (صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً)[٧] ، فالصبغة هي الهوية، والهوية هي الإسلام[٨] والإسلام يصبغ الإنسان بصبغة خاصة في عقيدته وفكره ومشاعره وتصوراته وآماله وأهدافه وسلوكه وأعماله

١-بعض مؤشرات الحفاظ على الهوية، د/ سليمان العقيل مجلة جامعة الملك سعود، المجلد ١٦، ص٢٤٣ ٢- البحث عن هوية تربوية د/ علي مدكور، ص١٠٧ ٣- أهمية التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية- د بدر البدر ٤-آل عمران: ١٩ ٥-البحث عن هوية تربوية، د/ علي مدكور ص١٠٧ ٦- أزمة البحث عن هوية في مواجهة الحضارة الغربية- د/ محمد النبهان ٠ ٧ البقرة: ١٣٨ ٨- مرجع سابق -د/ سليمان العقيل ص٤٣

قال القرطبي في تفسيره للآية السابقة: فسمى الدين صبغة استعارة ومجازاً حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب وبعد أن اتضحت الركيزة الأساس للهوية الإسلامية، تليها هنا في الأهمية ركيزة أخرى، وهي اللغة العربية التي اختارها الله لتحمل رسالة السماء الخالدة، فهي لغة القرآن الكريم، ولسان الإسلام وارتباط اللغة العربية بمصدر الإسلام الأول كتاب الله ، جعل لها صلة وثيقة بالهوية الإسلامية، فهي لغة فكر وعقيدة، ولا يفهم الدين، ولا تدرك مقاصده إلا عن طريقها، فهي طريق فهم القرآن والسنة، فأصبحت بذلك إحدى القربات التي يتقرب بها إلى الله تعالى بتعلمها، وقد قرر بعض العلماء أن تعلمها واجب، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب٠

وقد اشتملت اللغة العربية على كافة أصناف البلاغة والسمو اللغوي، وكان العرب قبل الإسلام يتكلمون على السليقة دون لحن، ولكن بعد بزوغ شمس الإسلام وانتشاره في المعمورة، واختلاط الفاتحين بغيرهم من أصحاب البلاد المفتوحة،ظهرت بوادر اللحن واللحن هو النطق خطأ ، الأمر الذي دفع الغيورين على دينهم للمسارعة في وضع قواعد تعصم اللسان من الخطأ أو اللحن في كتاب الله، وتساعد على فهمه، فجُمعت اللغة وتم ضبطها وتحديد ألفاظها، فأدى ذلك إلى ظهور المعاجم اللغوية ونشأة وازدهار علوم اللغة العربية، وظهرت المؤلفات في النحو والصرف والعروض وبذا أصبحت اللغة العربية أداة مثلى لنشر الفكر الإسلامي،وركيزة مهمة للهوية الإسلامية،التي جمعت بين أجناس وشعوب،ووحدت بينها تحت راية الإسلام والهوية بشكل عام والإسلامية بشكل خاص وهي جماع ثلاث ركائز تتمثل فيما يلي:

أولاً: العقيدة التي توفر رؤية كونية عقيدة التوحيد.

ثانياً: اللسان الذي يجري التعبير فيه اللسان العربي الذي اتخذه القرآن لساناً.

ثالثاً: التراث الثقافي ذو المدى الطويل المرتبط بوجود المسلم بفكره وقيمه وعاداته وتقاليده[1] وقد عكف جماعة من العلماء وطلاب العلم على صياغة مفهوم وتعريف خاص بالهوية، والهوية الإسلامية، وقد جاءت بعض تلك التعريفات على النحو التالي:

الهوية هي الآنيَّة والنفس والجوهر، أي الذات بما يلزمها ويلازمها، مما به تتأكد الماهية، وأصلها اللغوي من هو الدال على ما به يكون الشيء، أو أي كائن هو هو وهي هنا ما به تتحقق ذات الإنسان وشخصيته، وما يميزه عن غيرها، فرداً كان أو جماعة[2] وهي حقيقة

١- د/ الاتصال اللغوي بين الشباب المسلم أحمد عبد السلام ص٤١١ ٢- الإصلاح المنشود -عباس الجراري، ص٤٦

الشيء، أو الشخص، التي تميزه عن غيره، فهي ماهيته، وما يوصف وما يعرف به، من صفات عقلية وجسمية، وخلقية، ونفسية[1] وبدون ذكر الكثير تكاد تجمع التعريفات على أنها هى ذات المميز وحقيقته •

نشأة الانتماء للهوية الاسلامية والاعتزاز بها:

لا يخفى على أحد أن العرب في جاهليتهم كانوا بحال لا يغبطون عليها، فقد توزعتهم الأديان المختلفة، وعددوا الأرباب، وعقلوا عقولهم عن التفكير، واستحبوا العمى على الهدى، فكانت مكة بحق في جاهليتها معقل الوثنية،فقد وجد حول الكعبة يوم أن فتحها المسلمون ٣٦٠ صنماً•

وحالتهم الاجتماعية لم تكن بأحسن من حالتهم الدينية، فإذا نظرنا إليها وجدناها قرابة مهتوكة الستر،ورحماً مقطعة، وقبائل متنافرة متدابرة يتربص بعضها ببعض الدوائر، تحجرت قلوبهم، ونزعت الرحمة من نفوسهم، وبدأت تفشو في فريق منهم فاشية سوء من قتل الأولاد خشية الإملاق، ووأد البنات أنفة من العار أما من الناحية الاقتصادية لم يكن لهم من الصناعات شيء ذا غناء، وتجارتهم محصورة في المدن وهي قليلة•

---

٣ - هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق - محمد إسماعيل •

وكان العلم والتعليم عند العرب شيئاً غير مألوف، ومن يعرف القراءة والكتابة منهم أقل من أن يذكر، فكانوا حقاً أمة لا تقرأ ولا تكتب وبلاد العرب قبل الإسلام كانت واقعة تحت الاحتلال الروماني والفارسي والحبشي، وبالرغم من أن دولتي الفرس والرومان كانتا قد بلغتا شأناً عظيماً في الحضارة المدنية، إلا أنهما انحدرتا بسبب عوامل الفساد والاضطراب التي كانت تدب فيهما،خاصة في الناحيتين: الدينية والاجتماعية فكانت هذه الحالة السيئة مدعاة للجميع لأن يتطلعوا إلى مخرج مما هم فيه ومن واد غير ذي زرع بدأ الإسلام يغمر الكون هادياً العالمين، وبدأت أول آياته على محمد الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:(اقْرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْوَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) تتنزل فكان الإسلام هو العامل الوحيد الذي جد على العرب فقوم أخلاقهم، وهذب نفوسهم، ووحد كلمتهم، وأعلى شأنهم، وأعز جانبهم، فأصبحوا بهذا الدين أمة عالمة بعد جهل، ورشيدة بعد غواية، ونابهة بعد خمول.

وتمضي القرون، وتستمر الدعوة الإسلامية، وتعلو المآذن وتنتشر المساجد شرقاً وغرباً، ويدخل أجناس من البشر في دين الله أفواجاً تطبق هذا الدين وتعمل على نشره فتم للمسلمين فتح بلاد فارس كلها وبعض أجزاء الإمبراطورية الرومانية،ورفرفت ألوية المسلمين إبان حكم الأمويين على رقعة من الأرض تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى ما وراء حدود الهند والتركستان شرقاً،ثم إلى بلاد القوقاز

وأسوار القسطنطينية شمالاً ووجد سكان البلاد التي ساد فيها الإسلام طمأنينة وتسامحاً لم يعهدوه في أزمان حكم عرف فيها الاضطهاد، من أجل هذا لم يبق الإسلام قاصراً على العرب، فازدادت أعداد المنضوين تحت الهوية الإسلامية والمندمجين فيها من الفرس والروم والهند والصين والفضل في هذا عائد إلى عالمية دين هذه الهوية فقد قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ، وقال تعالى: (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) أما في مجال النهضة العلمية فقد سار التقدم العلمي بخطى سريعة مطردة، وبدأت كنوز المعرفة في البلاد المفتوحة تظهر وتُعرف، وتصل إلى أيدي أمينة تقدر ما تحويه من نفائس، فعرفنا حركة تأليف وترجمة للعلوم الطبيعية بلغت في المجد ذروتها حمل العرب والمسلمون لواءها، فسادت اللغة العربية وأصبحت لغة الدين والعلم والدولة والشعر، وإبان حكم الدولة الأموية ازدهرت البصرة والكوفة كمركزين للثقافة والحضارة ، وتألقت بغداد في العصور الذهبية للدولة العباسية وأصبحت وجهة العلم والأدب،وصب فيها أنهار من الذهب من أرجاء الإمبراطورية المترامية، وفي الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية قامت مراكز علمية كانت حواضرها منارات علم ومعرفة وكان الفتح الإسلامي وما جاء من بعده من بناء حضاري من أعظم الأسباب التي نبهت شعوب أوروبا إلى ضرورة الأخذ بالأسباب التي أخذ بها المسلمون فبعثوا بعوثهم إلى عواصم العالم الإسلامي، بغية اقتباس العلم، ومعرفة ما لدى المسلمين من نهضة حضارية،

ووجدت بعوثهم أن الدين الإسلامي قد دفع المسلمين لاقتباس المعارف، والكشف عن أسرار الكون واتسع احتكاك الأوربيين الثقافي بالمسلمين في الأندلس والقاهرة ودمشق وبغداد ،وسائر العواصم الإسلامية،والمدن الكبرى في العالم الإسلامي، عن طريق التجارات والرحلات وأخذ رجال الفكر والعلم في أوروبا ينهلون من مناهل علوم المسلمين، وصارت الجامعات تتنافس في اقتناء الكتب العربية، وكان فريق من علماء الغرب يصرح بأن معرفة اللغة العربية ضرورة لمن يريد أن يحيط بحقائق العلم وهكذا احتلت الهوية الإسلامية الصدارة في العالم، واستمرت على ذلك ردحاً من الزمن، ثم عاشت الأمة الإسلامية معاناة لم يسبق لها مثيل، أضاعت منها ما تلقفته أوروبا وأقامت ركيزتها عليه فكانت النهضة العلمية والانطلاقة الهائلة للمجتمع الغربي.

معالم هويتنا الاسلامية

إن العنصر الأساس والمُكوِّن الأول لهويتنا هو الدين الإسلامي الحنيف،ولابد من الإشارة إلى بعض المعالم الأساسية التي ترسم الخطوط الكبرى لدين الإسلام، باختصار **ومنها :**

الثوابت والمتغيرات - مراعاة مقاصد الشريعة - فقه المصالح والمفاسد - الوسطية والاعتدال - اللغة العربية لسان الهوية

خصائص الهوية الإسلامية ومقوماتها

لماذا الخوف من الهويَّة الإسلاميَّة، بالرَّغْم من الضَّعف الواضِح الَّذي يَحياه المسلِمون؟ والإجابة عن هذا السؤال تكمُن في اشتِمال هذه الهويَّة على خصائص معيَّنة، جعلتْها قادرةً على صهْر الهويَّات الأخرى في بوتقتِها، في أيِّ حالةٍ، سواء أكانت قويَّة أم ضعيفة ومن أهم هذه الخصائص:

أوَّلاً: هويَّة عقيدة صحيحة صادقة تأبَى الذُّلَّ والخضوع:تعتبر هذه الخاصية هي الأساس الَّذي تقوم عليْه هويَّتنا الإسلاميَّة، فليْس الولاء عندَنا للجِنس ولا للَّون ولا للأرْض، وإنَّما الولاء للإسلام، وليْس معنى هذا أنَّ الإسلام يَمنع حبَّ القَوم والوطَن، بل يحثُّ عليْه ويرحِّب به وهنا يظهر الفرْق بين حبِّ ذي العقيدة الصَّحيحة لقوْمِه ووطنِه، وحبِّ أدْعياء القوميَّة والوطنيَّة؛ فالمسلم الصَّحيح يعتبر حدود الوطنيَّة بالعقيدة، والقوميُّون والوطنيُّون يعتبرونَها بحدود الأرض والجغرافيًّا وإذا كانت مهمَّة أدْعياء الوطنيَّة والقوميَّة المجرَّدين عن العقيدة يروْن مهمَّتهم عند حدود تحرير الوطَن واستِرْداد مجده، فإنَّ أصحاب الهوية الإسلامية يروْن ذلك بعض الطَّريق أو مرحلة من مراحله، ويبقى عليهم بعد ذلك أن يعملوا لتُرفع راية الوطن الإسلامي على كلِّ بقاع الأرض، ويخفق لواء المصحف في كلِّ مكان ولعلَّ هذا الجمع بين الولاء للعقيدة والانتِماء والحب للقوم والوطن، يعدُّ من البدائع التي وفَّق بها الإسلام بين أمرَين قد يبدوان مُتناقِضَين:

الأمر الأوَّل: إذابة كلِّ الأعراق والأجناس والانتِماءات في رسالة واحدة، وهي الإسلام.

الأمر الثاني: عدَم إلغاء انتِماء الأفراد والجماعات للقبائِل والأجناس واللغات، فهذا عربي وهذا هندي، لهم لغاتُهم وأصولهم، ولكن كل ذلك في إطار الإسلام والتفاضل بالتقوى.

وكونها عقيدة صادقةً جعلها تغرس في نفوس أبنائِها حبَّ الجهاد والشّهادة، والاستِعلاء على الخضوع للغُزاة المحتلّين، ويُعتبر هذا الأمر من أخْوف ما يَخافه الأعْداء؛ لذا نجِدُهم دائمًا حريصين على تغْيير مسار الثَّورات في عالمِنا الإسلامي من اتِّجاهها الإسلامي إلى اتِّجاهات قوميَّة أو وطنيَّة؛ وما ذلك إلاَّ لعلم المحتل أنَّه لا يستطيع احتِواء المسلمِّين؛ لأنَّ الأمر عندهم لا يعْدو أحد غايتين: النَّصر أو الشهادة، أمَّا القوميُّون والوطنيُّون فيمكن احتواؤُهم بشيء من الوعود الكاذبة أو المعاهدات الخادعة ولعلَّ هذا الكلام يذكِّرنا بثورة القاهرة ١٩١٩م ضدَّ الاحتِلال، فلمَّا وجد الإنجليز الثورة تخرُج من الأزهر، أدْركوا أنَّها ثورة إسلاميَّة ولا طاقة لهم بها؛فأسْرعوا بالاستِجابة لطلب اللورد اللنبي المندوب السَّامي في مصر، حينما قال: إنَّ الثورة تنبع من الأزهر، وهذا أمر له خطورته البالغة وطلب منهم الإفراج عن سعد زغلول وإرجاعه إلى القاهرة، وكان سعد زغلول مسيطرًا على الرأي العام، فاستطاع وقف الثَّورة على أساس التفاوُض مع الإنجليز،

ولمَّا فشلت المفاوضات قال كلمتَيْه الشَّهيرتَين: خسرنا المعاهدة وكسبْنا صداقة الإنجليز والإنجليز خصوم شرفاء معقولون بذلك هدأت الجماهير على يد قوَّادها القوميين، وهذا المغنم ما كان يَحصل عليه الغزاة من قادةٍ مسلمِّين أصحاب عقيدة راسخة، وحرص صادق على إحدى الحسنَيَين يقول الشَّيخ سيد قطب رحِمه الله -: إنَّ خطر القوَّة الكامنة في العقيدة على الاحتلال ينبُع أوَّلاً من أنَّ الإسلام قوَّة تحريريَّة هائلة، وروحه تأبَى كلَّ اعتداء على الحرية، وتقاوم هذا الاعتداء بصلابة، تقاومه مقاومة إيجابيَّة تهون في سبيلها الأرْواح، ويهون فيها البذل والتَّضحية، فإذا ما استيقظت روح الإسلام في أمَّة، فمن المحال أن تتخلَّى عن حرِّيَّتها، ومن المحال أن تسكت عن الصراع الإيجابي الذي يحطِّم قواعد الاحتلال تحطيماً كذلك ينبع الخطر على الاحتِلال في العقيدة الإسلامية من أنَّها: عقيدة استعلاء واعتزاز وكبرياء؛ فالمسلم حين تستيقظ فيه روح الإسلام، لا يُطيق أن يعلو عليه أحد، ولا يُطيق أن يذلَّ لأحد، ومن ثم ينظر إلى الاحتلال الأجنبي نظرتَه إلى المنكر الذي تتحتَّم إزالته، ويتحتَّم كفاحه؛ تحقيقًا لعزَّة الإسلام، وصيانة لكرامة المسلمين، وابتغاءً لمرضاة الله وهناك منبع ثالث للخطر على الاحتلال من العقيدة الإسلامية: أنَّها عقيدة تجعل من الوطن الإسلامي كلِّه وحدةً، من اعتدى على شبر منهم فقدِ اعتدى عليهم جميعًا، ويتحتَّم على كلِّ مسلم في أطراف الأرض كلِّها أن يُعْلِن الجهاد لردِّ الخطر عن ذلك الشبر الواحد من تلك الرقعة الإسلاميَّة العريضة ٠

ثانيًا: شمولها وملاءمتها لجوانب الإنسان وأطوار حياتِه:

تعدُّ هذه الخاصية من أعظم الخصائص التي تميَّزت بها الهوية الإسلامية، وكانت سببًا في إذابتها لكثير من الهويَّات في بوتقتها، لقدِ ارتفعت بعض الهويات في فترات زمنيَّة طويلة أو قصيرة لكنَّها كانت ترتكز في ارتِفاعها على الحديد والنَّار كوسيلة للقضاء على كلِّ هويَّة تعترض طريقها أمَّا الهويَّة الإسلاميَّة، فإنَّها في سعْيها للارتفاع تسعى لفتْح الإنسان عبر متطلَّبات فطرته الشموليَّة، وإذا تمَّ فتح الإنسان باقتِناع عقله وانفِتاح قلبه،استسلم الحديد والنَّار تلقائيًّا بإسْلام حاملِهما .

إنَّ الواقع الأليم والتِّيه الذي تَحياه البشريَّة لا يمكن الخلاص منه، والعالم يرفض الإسْلام ويلتمس الشِّفاء من مواضع الدَّاء يقول الأستاذ وحيد الدِّين خان: إنَّ دراسة العالم المعاصر تدلُّنا على أنَّ فيضان النَّهضة المادِّيَّة قد وصل إلى آخر مداه، وأنَّها غير قادرة على إعْطاء السَّكينة لقلب الإنسان، إنَّ موجةً من انعِدام الثِّقة والطمأنينة النفسيَّة تغْزو العالم، إنَّ الدين ينهض اليوم من جديد في روسيا، بعد نصف قرن من القهر، وحركات الشباب الفوضويَّة في الغرب نتاج لانعِدام الطمأنينة، ويُطْلِق شباب اليابان اسم ثقافة التجارة على ثقافتهم التي لا توافق سوى جزءٍ من حاجات الوجود البشري فداء القلق وانعدام الثِّقة غزا الجيل الجديد في العالم كلِّه، إنَّ هذه الأحوال تُتيح فرصة ذهبيَّة لحاملي دين الفطرة لإرْواء عطش العالَم ولإظهار دين الله[1] نعم، إنَّ الواقع الغربي وما فيه من خواء رُوحي زاد من نسب الانتِحار مع توفُّر المتع والملَّذات والشهوات، وهذا خير دليلٍ على مدى احتِياج البشريَّة إلى هذا الدين .

ثالثًا: هوية حيويَّة قادرة على إخضاع الهويَّات الأخرى:

وهي من الخصائص التي تَجعل أعداء الإسلام يخافون أشدَّ الخوف من الهوية الإسلاميَّة، وكدليلٍ على مدى هذا الخوْف قولَ نيكسون رئيس أمريكا سابقًا:إنَّنا لا نخشى الضَّربة النوويَّة،لكن نخشى الإسْلام والحرب العقائديَّة الَّتي قد تقْضي على الهويَّة الذاتيَّة للغرب ولقد تحدَّث علماء الغرْب عن حيويَّة الإسلام وقدرته على استِيعاب أطوار الحياة، وقدرته كذلك على توليد أفكار جديدة، ومن هؤلاء العلماء هوكنج أستاذ الفلسفة

في جامعة هارفارد، حيث يقول في كتابه روح السياسة العالميَّة: أحيانًا يتساءل البعض، عمَّا إذا كان نظام الإسلام يستطيع توْليد أفكار جديدة، وإصدار أحكام مستقلَّة تتَّفق وما تتطلَّبه الحياة العصريَّة، فالجواب عن هذه المسألة: هو أنَّ في نظام الإسلام كلَّ استعداد داخلي للنموّ،

١- الإسلام والعصر الحديث، وحيد الدين خان، ص ٥١ ٠

بل إنَّه من حيث قابليَّته للتطوُّر يفضل كثيرًا من النظم المماثلة والكاتب الأيرلندي برنارد شو يتحدَّث عن حيويَّة الإسلام، واستيعابه أطوار الحياة المختلفة، فيقول: الإسلام هو الدِّين الوحيد الَّذي يمتلك القُدْرة على استيعاب أطوار الحياة المختلفة في كلِّ العصور ولورنس براون يقول: لقد كنَّا نخوف بشعوب مختلفة، ولكنَّنا بعد اختِبار لم نجد مبرِّرًا لمثل هذه المخاوف، لقد كنَّا نخوف من قبل بالخطر اليهودي، والأصْفر، والبلشفي، إلاَّ أنَّ هذا التخوُّف كله لم يتَّفق كما تخيَّلناه، إنَّنا وجدنا اليهود أصدِقاء لنا، ورأيْنا أنَّ البلاشفة حلفاء لنا، أمَّا الشعوب الصفر فهناك دول ديمقراطيَّة كبرى تقاومها، لكنَّ الخطر الحقيقيَّ كامن في نظام الإسلام وفي قدرَّته على التوسع والإخضاع، وفي حيويَّته، إنَّه الجدار الوحيد في وجه الاحتلال الأوربي.

مقومات الهوية الإسلامية : وللهوية الإسلامية أثر في تشكيل ثقافة الفرد وصناعة أفراد يعتزون بأمتهم وتاريخهم العريق المجيد، وخير مثال على ذلك ما فوجئت به فرنسا بعد أكثر من قرن من عمليات الإبادة والقهر والتخويف بأن مجموعة من الأفراد تقاطروا في إحدى المدن الجزائرية حيث خرجوا إلى الشوارع يرفعون شعار الجزائر تعود لك يا محمد،وتحدَّث الباحثون أنَّ أهم انجازات ثورة الجزائر أنها أوضحت لفرنسا ولكل العالم أن الهوية الإسلامية لا يمكن ان تنتزع من نفوس آمنت بالله، وذاقت حلاوة الإيمان فالهوية الإسلامية لها عظيم الأثر في تشكيل الثقافة الإسلامية لدى الفرد المسلم حيث يوقن نَّه مسلم عزيز بإيمانه ومستقل به عن الآخرين ، فيتمسك بإسلامه ودينه ويحافظ عليه، ويوالي ويعادي من خلال عقيدته وهويته

ويدرك انَّ جميع أبناء المسلمين إخوة له في العقيدة والهوية،والذي كان يعيش فترة العز في العالم الإسلامي كان أمة واحدة تظله راية لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان المسلم يخرج من طنجة حتى يصل بغداد لا يحمل معه جنسية أو هويّة وطنية، إنما يحمل شعاراً إسلامياً هو التوحيد، فكلما حل أرضاً وجد فيها له أخوة في الإيمان وإن كانت الألسنة مختلفة والألوان متباينة لأن الإسلام أذاب كل تلك الفوارق واعتبرها من شعارات الجاهلية حينها يدرك الفرد المسلم أنَّه بقدر تقربنا لأعداء عقيدتنا وديننا وحضارتنا الإسلامية، ينعكس ذلك عليهم بمزيد من الكراهية والحقد الدفين، كما قال تعالى: ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ، وبقدر ما يأخذ المسلم من هويات الآخرين القبيحة يؤثر ذلك سلباً على عقيدته وفكره وتحركاته وتوجهاته،كما قال الإمام ابن تيمية: من شأن الجسد إذا كان جائعاً فأخذ من طعام حاجته استغنى عن طعام آخر، حتى لا يأكله إن أكل منه إلا بكراهة وتجشّم، وربما ضرّه أكْله، أو لم ينتفع به، ولم يكن هو المغذي له الذي يقيم بدنه، فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته، قلّت رغبته في المشروع وانتفاعه به، بقدر ما اعتاض من غيره بخلاف من صرف نهمته وهمته إلى المشروع؛ فإنه تعظم محبته له ومنفعته به، ويتم دينه، ويكمل إسلامه لهذا أدرك أعداؤنا مدى ضرورة فتح المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية لعملية بث عقائدهم المناقضة لدين الإسلام،

حتى ولو كان في تلك المدارس بعض الأدبيات والمناهج الإسلامية،لكن البيئة الخاصة بها والموجهين والمعلمين والسياق العام فيها يخالف ما يتبناه الإسلام من صناعة فرد مسلم متكامل النسيج الديني والأخلاقي، فنجد أنَّ الحاكم العسكري في مصر : كرومر في عهد الاحتلال البريطاني لمصر كان يؤكد على ضرورة فتح مدارس تغريبية وأهميته في إفساد عقائد المسلمين فأبناء مدرسة فيكتوريا سيكونون جسراً بين الثقافة الإسلامية والثقافة الأجنبية سيكون هؤلاء أتباعاً للغرب ينادون بالهوية الغربية ويحاربون الإسلام والمسلمين لهذا كان للتعليم دور رئيس وعظيم ومهم وخطير في لمحافظة على الهوية الإسلامية وصيانتها ورعايتها وعن أبرز مقومات الهوية الإسلامية، فهي كما يلي:

١ـ الاعتزاز العام بالهوية الإسلامية وبهذا الدين الذي يحمله معتنقوه والمجاهرة به ونشره في الآفاق٠

٢ـ صناعة المنظمات والمؤسسات المعنية بالمحافظة على الهوية الإسلامية والدفاع عنها ، وتصحيح الصورة النمطية المسيئة في أذهان الكثير من الكفار سواء في الشرق أو في الغرب عن نظرتهم للإسلام وتجلية صورة الإسلام بصفته السمحة النقية الخالدة٠

٣- إبراز شهادات الغرب والشرق المنصفة والمحايدة التي تدلل على عظمة هذا الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان واستيعابه لجميع الأمور الدنيوية.

٤- مجادلة ومناقشة المتشككين بدينهم والرد عليهم، وإبراز مصادر الخلل في التلقي والاستدلال عندهم وعلى رأسهم المنتسبين لليبرالية لأنَّهم أكثر الناس انتشاراً وخصوصا في وسائل الإعلام.

١- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة -عبد الرحمن حبنكه ، ص٣٧_٤٠

الهوية الإسلامية والقومية العربية:

لكن الذي يؤسف له أن كثيراً من كتابنا ومثقفينا في محيطنا العربي

سطحوا مسألة الهوية، وهمشوا محتواها الإسلامي والعقدي،وربما ألغوه تماماً، وقصروا مفهوم الهوية على الانتماء للعربية، وبعض المظاهر الحضارية والثقافية والفنية المرتبطة بذلك، التي تبلورت فيما بعد في فكرة القومية العربية، ولا يخفى على أحد خطورة هذا المنحى، فالقومية العربية حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم على أساس رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا وظهرت هذه الدعوة على يد ثلة من المفكرين النصارى للاستعاضة والحد من فكرة الأمة الإسلامية؛ لتكون فكرة القومية بذلك هي الطعنة الثانية في جسد الأمة الإسلامية بعد سقوط الخلافة على يد أتاتورك عام ١٩٢٤م والطابع الأبرز لفكرة القوميَّة العربيَّة أنها واكَبها منذ نشأتها خطابٌ بعيد عن الموضوعيَّة، وإيجادِ حلول عمليَّة حقيقيَّة لبناء أمَّة؛ حيث كانت العواطف صاحبة الدور الأبرز في تسويق هذه الفكرة في كِيان الأمة الإسلاميَّة، أمَّا دورها الموضوعي التطبيقي في بناء أمة لها نظامُها الخاص الفريد المنبثق عن مفاهيمها فكل ذلك كان في منطقة العدم؛ إذ لا يوجد نظام متكامل يَنبثق عن الفكرة القوميَّة،

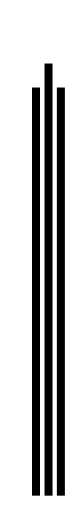
وقد وجَدنا أنّ حَمَلَة هذه الفكرة أقاموا أنظمة ودولاً تَحكم الأمّة ولا علاقة لها بالفكرة القوميّة كالملكيّة والاشتراكيّة والديمقراطية، فهذه كلها غيرُ مبنيّة على الفكرة القوميّة؛ مما يُظهر قصورها على حساب الواقعيّة التي ينبغي أن تتّسم بها الهُوية التي تجمع الأمة التي ينبغي أن تُجيب عن أسئلة النهضة، وبناء الأمم والحضارات[١] والمشكلة الأخرى في مسألة القومية والهوية أن العرب ككتلة بشرية ومساحة جغرافية لا يجمعهم تاريخ واحد، ولا ثقافة واحدة، فلكل إقليم تاريخه الخاص، وثقافته المرتبطة بظروفه وعاداته وتقاليده، بل أن اللغة تعجز أحياناً عن جمع شتاتهم نظراً لاختلاف اللهجات واللكنات، فالواقع التاريخي يسجِّل أن المنطقة العربية عجّت بثقافات مختلفة متباينة، بل ومتناقضة في بعض الأحيان، فالثقافة الجاهليّة التي عاشَت في عقول العرب قبل الإسلام؛مختلفة أشد الاختلاف عن الثقافة الإسلامية التي ظلّلتهم وظلّلت المنطقة على مدى أكثر من ثلاثة عشر قرناً، فإلى أيّها ننتمي؟ وكيف ننتمي إلى جميع ما عجّ في المنطقة من ثقافات وهي متباينة مختلفة؟ هل ينتمي الإنسان إلى متناقضات تتنازعه وتُشَتِّت وحدة كِيانه؟ والعناصر التي يمكنها بلورة هوية جماعية كثيرة، أهمها اشتراك الشعب أو المجموعة في: الأرض، اللغة، التاريخ، الحضارة، الثقافة، الطموح وغيرهاعدد من الهويات القومية أو الوطنية تطور بشكل طبيعي عبر التاريخ وعدد منها نشأ

١-القومية العربية كهوية - شريف محمد جابر .

بسبب أحداث أو صراعات أو تغيرات تاريخية سرعت في تبلور المجموعة قسم من الهويات تبلور على أساس النقيض لهوية أخرى هناك تيارات عصرية تدعو إلى إلغاء الهوية الوطنية أو الهوية القومية.

عقدة الهوية الاجتماعية:

يثير إدراك انتماء الأفراد للعديد من المجموعات الاجتماعية ذات الهويات الاجتماعية المتعددة المتشابهة سؤالاً مهمًا؛ هو كيف يدمج الأفراد هذه الهويات الجماعية عند تعريف مجموعتهم الخاصة والسؤال الأكثر تحديدًا،هل تؤدي زيادة عدد أعضاء المجموعة إلى تكوين مجموعات خاصة أكثر شمولاً أو أقل شمولاً، وذلك مقارنةً بهويات مجموعة واحدة؟ ومفهوم عقدة الهوية الاجتماعية عند روكاس وبروير نظام نظري يشير إلى التمثيل الشخصي للفرد للعلاقات الداخلية بين الهويات الجماعية المتعددة وتعكس عقدة الهوية الاجتماعية التداخل المدرك وجودها بين المجموعات التي يكون فرد واحد عضوًا فيها في وقت واحد بالإضافة إلى ذكر روكاس وبروير أن الانتساب إلى العديد من المجموعات المختلفة والعديد من الهويات الاجتماعية ربما يؤدي إلى تفاقم عقدة الهوية الاجتماعية؛ وهو ما يمكن أن يعزز تطور هويات اجتماعية تفوقية وهوية عالمية، وهذا يزيد احتمالات تطور الهوية الدولية في الثقافات الفردية.



الباب الثانى

الانترنت والهوية الاسلامية

ملامح وضع الغة العربية

في سعيه لدخول مجتمع المعرفة، يواجه العالم العربي تحديات قاسية، ولكل من هذه التحديات شقه الذي يتفاعل مع اللغة العربية تأثيراً وتأثراً في المقابل، يتيح مجتمع المعرفة فرصا هائلة لتعويض التخلف الراهن لا يمكن النفاذ إليها دون إصلاح لغوي شامل وعاجل يستغل إلى أقصى حد تلك الذخيرة الهائلة من موارد المعلومات التي يوفرها مجتمع المعرفة في المجال اللغوي ٠

ولا يخفى على أحد أن العالم العربي يعيش أزمة لغوية طاحنة على جميع الأصعدة: تنظيراً وتعليماً، نحواً ومعجماً، استخداماً وتوثيقاً، إبداعاً ونقداً،وجاءت تكنولوجيا المعلومات لتضيف عنصراً تكنولوجياً متعلقاً بمعالجة اللغة العربية آلياً بواسطة الكمبيوتر نلخص فيما يلي أهم أعراض الأزمة الراهنة للغة العربية:

- سياسة لغوية غائبة على المستوى القومي، وما يتواجد منها على المستوى القطري يظل حبيس الأدراج ٠

- مجامع لغوية ضامرة السلطات، شحيحة الموارد، تنتقي من مشكلة اللغة ما تقدر على تناوله، لا ما يحتاجه الإصلاح اللغوي بالفعل،أما اتحاد المجامع العربية الذي يضمن التنسيق وحشد الموارد فمازال حبراً على ورق٠

- تعريب متعثر يواجه معارضة شديدة من قبل كثير من الأكاديميين، بل من قبل بعض الرواد الثقافيين، برغم أهمية اللغة الأم في استيعاب المعرفة٠

- قصور حاد في الترجمة إلى العربية، خاصة في المجالات العلمية الحديثة ناهيك عن أمهات الكتب التي يقوم عليها الفكر الإنساني الحديث٠

- جمود التنظير اللغوي،وقصور عتاد المعرفه لمعظم المنظرين اللغويين، وانغلاقهم داخل نطاق تخصصهم الضيق في مجال يسوده طابع تعدد التخصصات وتعديها بعد أن أصبح المجال اللغوي ساحة ساخنة للتداخل الفلسفي والعلمي والتربوي والإعلامي والتكنولوجي ٠

- قطيعة المعرفة التي يقيمها البعض على اختلاف ميولهم الفكرية مع التوجهات الفلسفية الحديثة٠

- ثقافة لغوية غائبة،على الرغم من تزايد أهمية هذه الثقافة كأحد الروافد الأساسية للثقافة العلمية والتكنولوجية ٠

- وعي غير كاف على مستوى القيادات السياسية والاقتصادية، بل ولدى بعض القيادات الثقافية أيضاً، بخطورة الدور الذي تلعبه اللغة في تنمية المجتمع الحديث٠

- ثنائية الفصحى والعامية، وغياب خطط علمية ممنهجة وواقعية لمواجهة هذه المشكلة التي تنخر في صلب المجتمعات العربية ٠

- ضعف النشر الإلكتروني باللغة العربية، وعدم تطور آلات البحث في النصوص العربية، وقلة البرمجيات المتقدمة لتعليم اللغة العربية وتعلمها٠

- تكرار جهود البحوث والتطوير في مجال معالجة اللغة العربية آليا بواسطة الكمبيوتر، وهو الأمر الذي يتناقض جوهرياً مع ندرة الموارد البشرية المتخصصة، والقصور الشديد في الموارد٠

اللغة العربية عبر الإنترنت

الكثير من الكلمات والمصطلحات دخلت وسكنت ثنايا لغتنا العربية، مثل: البنسلين، الإنفلونزا، التلفزيون، التلفون أو الكمبيوتر أو الإنترنت الخ، رغم أن مجامع اللغة العربية قدمت لنا بعض البدائل التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وفى المقابل أيضاً هناك الكثير من الكلمات عادت إلينا وإيران،الهند،باكستان، تركيا، إسبانيا لغاتها ممتلئة بكلمات عربية.

أما الخوف، وكل الخوف، فهو الماثل أمام أعيننا من أمثلة صارخة في تحوُّل الكلمات المبهمة غير الدقيقة، أو التي لا معنى وقيمة لها، في تحولها بفوضى، إلى مصطلح.

والخوف، كل الخوف، من العربليزية التي انتشرت عبر الشبكة العنكبوتية بطريقة مرعبة فالخوف، كل الخوف، من الشباب المستلب الذى لا يقرأ العربية ولا تهزُّه قصيدة شعر الخوف، كل الخوف، أن هذا الممسوخ، الذي مسخ أجمل ما في الحياة العربية: لغتها، سيصبح ذات يوم أغبر صاحب قرار.

هذه اللغة الممسوخة إن جاز استخدام كلمة لغة لها منتشرة للأسف قبل أن نعرف الشبكة العنكبوتية أو الإنترنت لكن بشكل آخر؛ إنها منتشرة في البيوت والجامعات والشوارع والمحلات التجارية وعناوين الشركات الاستثمارية وفي كل مكان، إنها نموذج التشوُّه والبؤس الحضاري الذي نعيشه على الأرض العربية، إنها، وبكل بساطة تعبير عن انكسار الأمة فينا وانكسارنا في قلب الأمة بالمعنى الواقعي لا التشاؤم.

عندما نعرف أن الجامعات الغربية تطلق على مواد اللغة اسم اللغة والحضارة، لأن التفكير يتسلَّل ضمن استراتيجية التسمية، فاللغة ليست محايدة أبدًا كما قال أفلاطون أنها مرآة عاكسة للفكر، إنما اللغة، تدخل في عمق الفكر والتفكير وتشترك جميع اللغات الإنسانية في ثلاث مكونات أساسية:الأصوات والدلالات والتراكيب،كما أنها تتصف بالتجديد والإبداع، فكل لغة تملك نظاماً ما يساعدها على توليد وإنتاج عدد غير متناه من التعبيرات والتراكيب التي من شأنها أن تؤدي إلى تقدم الشعوب وتمكنهم من توظيف طاقاتهم وقدراتهم العقلية وحلِّ مشاكلهم اليومية فتلك الخصائص والسمات لا تنفرد بها لغة عن سواها من اللغات بل تشترك فيها كافة اللغات على الأرض وفي كل الأزمنة بما في ذلك العربية ولا يوجد أيُّ تميُّز أو خصوصية لأي لغة عن الأخرى إلا بقدر اهتمام شعوبها وقياداتها الفكرية والعلمية والسياسية.

ولو استحضرنا تجارب الشعوب لأهتز نخاع العظم، لعظمة تجربتهم اللغوية من البعد القومي لها فالكوريون، وطوال ستين سنة أي بمرور جيلين كاملين، تمَّ منعهم من تداول واستخدام لغتهم فترة الاحتلال الياباني لهم، ولما تحررت البلاد جاء أول مرسوم في أول عدد من الجريدة الرسمية بمنع تداول اللغة اليابانية لغة المحتل فاحتشد الكهول والشيوخ ليلقنوا الأطفال والشباب لغتهم القومية،ولم تنطلق السنة الدراسية الأولى بعد إلا وقرروا بعث لغتهم القومية في كوريا التي تعد الآن من أهم الدول النامية وقد سبقتنا بمراحل خطيرة ومهمة اقتصاديًا وعلميًا وتقنيًا.

ومن سمع كلمات الزعيم الفيتنامي الكبير هوشي منه فى قوله لشعبه حينما طرحت مسألة تأكيد هوية بلاده حافظوا على صفاء اللغة الڤيتنامية كما تحافظون على صفاء عيونكم، تجنبوا بعناد أن تستعملوا كلمة أجنبية حين يصبح بإمكانكم أن تستعملوا المفردات الڤيتنامية،تهزه هزاً وقد عبَّر عن هذا الموقف الزعماء الذين خلفوه فقال فام فان دونج: لقد عبَّرت اللغة الڤيتنامية عن الثورة الڤيتنامية ورافقتها وكبرت معها٠

ومثالاً آخر لبلد أفريقي يعد من الدول النامية الضعيفة اقتصاديًا مثل: تنزانيا التي وقف زعيمها جوليوس نيريري بقوة بعد التحرر للدفاع عن السواحلية اللغة الوطنية لبلاده فى مواجهة الإنجليزية حتى أصبحت جامعة دار السلام تدرس سائر المواد بما في ذلك الطب والهندسة باللغة السواحلية وهناك تجربة عربية، وإن لم تجد نجاحاً كبيراً لظروف معقدة متشابكة بهموم أخرى ونقف بإجلال أمام التجربة الجزائرية في إعادة اللغة العربية إلى المكتب والشارع والبيت الجزائري إلى حدٍّ كبير لكن من كلٍّ تجربة الجزائر اللغوية نتوقف أمام موقف المحتل عند حادثة وقعت في عهد الرئيس بومدين الذي كان مهتمًا بتعليم المغتربين في فرنسا اللغة العربية من خلال ما كان يعرف باسم: ودادية المغتربين وإن توقف المشروع بعد رحيل بومدين، لأننا وللأسف كعرب ترتبط المشروعات دوماً عندنا بالأفراد الذين ما أن يرحلوا حتى نهدم ما بدأوه بدون هذا لن نكون عربًا والذي حدث أن بعض الفرنسيين رغب فى تعليم أبنائهم اللغة العربية من خلال إلحاقهم بهذه المدارس التي أنشاتها الودادية في بعض المدن الفرنسية

،وحين تمَّ عرض الأمر على وزارة التربية الفرنسية رفضت بحزم الاستجابة لهذا الطلب، وبعثت برد واضح حاسم قالت فيه: نذكركم بالقاعدة التربوية الفرنسية التي تمنع التلميذ الفرنسي من أن يتعلم لغة أجنبية في المرحلة الابتدائية حفاظًا على شخصيته الوطنية في هذه السن المبكرة.

إنَّ الدراسات التي قامت بها مراكز البحوث الدولية حول مصير اللغات أظهرت أن اللغات التي لا يستخدمها أقل من خمس سكان العالم لن يكتب لها البقاء، وأنه لن تبقى من اللغات العالمية إلا تلك التي تنتشر بين أكثر من مليار نسمة وهي: الإنجليزية، الإسبانية بحكم استخدامها في أمريكا الجنوبية، الصينية، واللغة العربية إذا أصبحت لغة مسلمي العالم.

دور الإنترنت في نشر الثقافة العربية:

تحرص بعض المجتمعات على استخدام النشر الإلكتروني في تسليط الضوء على تجاربها الإنسانية والاجتماعية المختلفة، رغم انهيار الكثير من الحدود والمسافات بفعل ثورة المعلومات وتطور تكنولوجيا الاتصالات وهى بذلك تؤكد على الجوانب الإنسانية من هويتها الحضارية ،فالجانب الإنساني من حياة كل مجتمع كان وسيبقى عاملاً مهماً في تعزيز الشعور بالانتماء لهذا المجتمع، وحافزاً للعمل والتضامن بين مختلف أبناء المجتمع على اختلاف شرائحهم الاجتماعية والاقتصادية فلماذا لا تستثمر ساحات النشر الإلكترونية عبر الإنترنت بكل مزاياها في نشر تراثنا

وثقافتنا العربية وإيصال تجاربنا الإنسانية إلى شعوب العالم؟ فقد فرضت الإنترنت تحدياً أساسياً لا يمكن إغفاله، فليس لنا خيار إلا أن نجد مكاناً في هذه الشبكة العالمية، التي أصبحت جزء أساسي من الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية وحان الوقت للاهتمام بنشر اللغة والثقافة العربية أكثر من ذي قبل٠

وقد لعبت شبكة الإنترنت دوراً مهماً في السنوات الأخيرة في فك العزلة عن المثقف المعارض وعن ثقافة النقد بصفة عامة فإذا كان النظام المستبد يحكم إغلاق السبل أمام الكتابة المضادة، فأن شبكة الإنترنت لا تفتأ تفتح سبيلاً بعد سبيل وهذا الأمر لا يوفر فقط أمام المثقف فرصة التواصل في محيطه الأدنى، بل يوفرها أيضاً للتواصل مع العالم، وفي هذه الفترة من المهم جداً أن يعنى المثقف العربي بالصحافة الإلكترونية والكتاب الإلكتروني والنشر الإلكتروني عبر الإنترنت وان يقيم أوثق الروابط مع شتى المواقع ٠

ويجب الاهتمام بنشر الثقافة العربية عبر الإنترنت وبذلك يمكننا تحصين الثقافة العربية من مخاطر العولمة الجارفة وبالتالي يمكننا الحفاظ على الهوية العربية ونقل رسالتنا إلى العالم كله عبر شبكة الإنترنت لإثراء الثقافة العالمية فإذا أخذنا فى الاعتبار أن معظم مستخدمي الإنترنت من الأطفال والشباب وإذا نظرنا إلى مدى التغيير الذي أحدثته الإنترنت في أنماط الحياة وأساليب التعليم في القرن العشرين وما نشأ عنه من ظهور سلوكيات جديدة بين الأجيال الصغيرة بالذات سنكتشف أن غياب مواقع عربية تحاكي أجيالنا

وتتعامل معهم بروح العصر سيؤدي إلى تهميش الدور التربوي والحضاري الذي تلعبه ثقافتنا العربية، وستجعلهم عرضة للامتصاص وبالتالي سيبدأ اختفاء وضعف هويتنا العربية فعلينا توظيف التكنولوجيا الحديثة لخدمة الثقافة العربية والاهتمام بالنشر الإلكتروني عبر الإنترنت التي وصلت إلى العالم أجمع ولا شك أنه أصبح من الممكن الآن إنتاج وتطوير صفحات عربية باستخدام برامج جاهزة توزع على نطاق تجاري وهذا الأمر يعتبر دفعة قوية لانتشار الثقافة العربية .

ومن تجاربنا العربية لنشر الثقافة العربية عبر الإنترنت المجمع الثقافي بأبى ظبي يطلق الموسوعة الشعرية الإلكترونية عبر الإنترنت التي تعد أول إنجاز ثقافي من نوعه في العالم العربي يهدف إلى توثيق كل ما قيل في الشعر العربي منذ الجاهلية حتى عصرنا الحالي بهذه الموسوعة دخل العرب العصر الجديد عصر المعلومات عبر أم الشبكات وتضم الموسوعة إضافة إلى الدواوين الشعرية أهم معاجم اللغة العربية، كما تضم مجموعة من كنوز التراث العربي في مجال الأدب والشعر تشكل مكتبة في حد ذاتها للموسوعة مثل الأصمعيات والأغاني والأمالي والعقد الفريد والبيان والمفضليات والجمهرة وخزانة الأدب وطبقات الشعراء وغيرها من المراجع المهمة ويقوم المجمع الثقافي شهرياً بإضافة مائة ألف بيت تقريباً إلى الموسوعة الشعرية التي يمكن البحث فيها من خلال اسم الشاعر أو الفترة الزمنية التي عاش فيها أو من خلال مطلع القصيدة أو القافية أو المفردة العادية بسهولة ويسر

وحول هذا المشروع الريادي يقدم مسؤول قسم تكنولوجيا المعلومات بالمجمع الثقافي بأبى ظبي شرحاً مختصراً حول الموسوعة ويقول: في البداية كنا نسعى إلى ملء الفراغ الموجود بالنسبة للثقافة العربية على الإنترنت لا سيما ووجود هذه الثقافة وما تحتويه من مخزون ثقافي ضخم ربما يكون أكبر محتوى في العالم على الإنترنت لا يزال ضعيفاً موضحاً أن محاولة إنجاز هذه الموسوعة كان جزءاً من ملء الفراغ إذن يجب علينا ملء الفراغات بالثقافة العربية٠

وللعولمة إسقاطات لغوية فنعرف أن اللغة هي الوسيلة للتواصل وللتفاعل الاجتماعي،ووسائل الاتصال الحديثة كالفضائيات والإنترنت تسمح للفرد بالاتصال مع آخرين مهما كان البعد الجغرافي فيبدو أن البعد الجغرافي لم يشكل عائقاً أمام الاتصال بالجماعات غير المحلية وللتفاعل الاجتماعي فهنالك حاجة للغة مشتركة أو أكثر للاتصال ففي واقع اليوم تعتبر اللغة الانجليزية، لغة الدولة العظمى التي تتحكم فى العولمة، والتي يعتبرها العالم لغة عالمية، وهي لغة التواصل بين الأمم فاللغة الانجليزية هي إحدى سمات العولمة ومن هنا تنبثق أهمية تعلم وتدريس اللغة الانجليزية في معظم أنحاء العالم ووفقاً لكريستال فاللغة الانجليزية تدرس فى أكثر من مائة دولة في العالم كلغة أجنبية ٠

والواقع اللغوي الجديد يفرض سلطان اللغة الإنجليزية على كل من يريد الانخراط مع العالم والتطورات العالمية، وله بدون أدنى شك، إسقاطات على اللغة العربية عموماً، وعلى العربية في إسرائيل على وجه الخصوص فلاشك أن هناك صلة وثيقة بين الهيمنة اللغوية والقوة الثقافية، التكنولوجية والاقتصادية فاللغة تصبح عالمية بقوة ناطقيها، خاصة القوة العسكرية والقوة السياسية٠

يقول معارضوا العولمة ان اللغة الإنجليزية لغة قاتلة، تنتشر كالوباء الثقافي والحضاري في أنحاء العالم حاذفة الأصوات المميزة والهُويّات الحضارية فهى ليست مجرد وسيلة للاتصال بين الأفراد والجماعات، فأهميتها تفوق هذا بكثير فاللغة تجسّد الهُويّة الشخصية والثقافية لذلك، دراسة الانجليزية وممارستها تعني دراسة الحضارة والثقافة والفكر الغربي، الذي حتما يؤثر على المجتمعات التي تتداولها ولا شك أنّه أصبح للانجليزية حضور واستعمال أوسع في العالم العربي في ذات الوقت نرى ازدهار الفضائيات التي تستعمل الكثير منها فقط اللهجة المحلية، ونرى أيضاً قنوات فضائية عربية روادها بالملايين، تستعمل العربية الفصحى على مدار الساعة، ظاهرة جديدة على المشهد العربي٠

وللعولمة تأثيراتها المتعددة على اللغة العربية داخل إسرائيل فمن ناحية،هناك انفتاح الفلسطينيين في إسرائيل على العالم والفكر والحضارة الغربية، من ضمنه الانكشاف على اللغات الغربية المهمة، خاصة الانجليزية، ضمن تأثير التوجهات الإسرائيلية التي تتبنى النهج الغربي كركيزة أساسية في تنمية الثقافة اليهودية ومن الناحية ألأخرى، العولمة، وتؤدي إلى انفتاح الفلسطينيين في إسرائيل على العالم العربي الواسع عن طريق الفضائيات والانترنت وتقربه من اللغة العربية والهُويّة القومية ،ومن هناك فإن تأثيرات العولمة على العربية في إسرائيل ليس ذا اتجاه واحد، بل متعدد الاتجاهات، منها ما يؤثر فيُغنيها أو يؤثر فيُضعفها لكن لا بد من القول انّ العولمة ساهمت في تقليل حدّة الخطر الذي تحمله العبرية على اللغة العربية بين الفلسطينيين في إسرائيل، حيث أصبحت اللغة العربية تواجه تحديات أكبر منها ٠

اللغة العربية ودورة المعرفة

اللغة العربية بلا شك أبرز ملامح الثقافة العربية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطاً بالهوية، وارتهانا بالمتغيرات التاريخية، فهي اللغة الإنسانية التي صمدت سبعة عشر قرناً سجلاً أمينا لحضارة أمتها في ازدهارها وانتكاسها، وإن كانت منظومة المعرفة كما اتفقت معظم الآراء هي مناط الأمل في تجاوز المجتمعات العربية لتخلفها الراهن، فمنظومة اللغة هي مناط الأمل في بعث الحيوية في جميع أرجاء منظومة المعرفة هذه ولقد تعاظم دور اللغة في مجتمع المعرفة، ويرجع ذلك إلى عوامل عديدة نلخص فيما يلي أهمها:

- محورية الثقافة في مجتمع المعرفة فلم تعد الثقافة مجرد بنية فوقية، أو عنصراً ضمن عناصر أخرى تتكون منها منظومة المجتمع، بل أصبحت هي المحور الأساسي الذي تدور في فلكه عملية تنمية المجتمع الشاملة.
- محورية اللغة في منظومة الثقافة نتيجة لتعاظم الدور الذي تلعبه اللغة في جميع العناصر الفرعية المكونة لمنظومة الثقافة في مجتمع المعرفة، وتشمل: الفكر والإبداع والتربية والإعلام والتراث ونظام القيم والمعتقدات.
- محورية تكنولوجيا المعلومات في منظومة التنمية التكنولوجية الشاملة، في حين أصبحت معالجة اللغة آلياً بواسطة الكمبيوتر هي محور تكنولوجيا المعلومات، فاللغة هي المنهل الطبيعي التي تستقي منه هذه التكنولوجيا أسس ذكائها الصناعي، وقواعد معارفها، وهي التي تكسب النظم الخبيرة وأجيال الإنسان الآلي القدرة على محاكاة الوظائف البشرية، والتكيف التلقائي مع البيئة المحيطة .

- تعاظم أهمية موقع اللغة على خريطة المعرفة، حيث ازدادت علاقة اللغة توثيقاً مع جميع فروع المعرفة على اختلاف أنواعها، فلسفة وعلوماً وفنوناً، حتى أوشكت فلسفة العلم أن تصبح مرادفاً لفلسفة اللغة، وكاد المدخل اللغوي أن يصبح نهجاً معرفياً عاماً لا تستهدي به علوم الإنسانيات فقط، بل العلوم الطبيعية أيضاً ٠

مجتمع المعرفة هو أيضاً مجتمع التعلم مدى الحياة،ولا يقتصر فيه التعلم على البشر دون سواهم، فهو يمتد ليشمل الآلات والنظم والمؤسسات، وقدرة كل من هذه الكائنات على التعلم يرتكز أساساً على اللغة، سواء كانت لغة إنسانية طبيعية، أو لغة برامج صناعية، أو لغة جينية بيولوجية ٠

-يحتاج مجتمع المعرفة تواصلاً أوسع نطاقاً وأكثر تنوعاً خاصة فيما يتعلق بالتواصل الإنساني عن بعد، أو الحوار بين الإنسان والآلة، وهو الأمر الذي يحتاج من جانب إلى تجديد النظرة إلى مهارات التواصل الأساسية: قراءة وكتابة وشفاهة وسماعاً، ومن جانب آخر إلى تأصيل العلاقة بين اللغة بصفتها النسق الرمزي المحوري، مع الأنساق الرمزية الأخرى: أشكالاً وأصواتاً وأداء تعبيرياً أو حركياً ٠

وأخيراً وليس آخراً، يتعاظم الدور الذي تلعبه اللغة على صعيد السياسة والاقتصاد بعد أن أصبحت اللغة من أشد الأسلحة الأيديولوجية ضراوة؛ وذلك بعد أن فرضت القوى السياسية وقوى المال والتجارة سيطرتها على أجهزة الإعلام وصناعة الثقافة بوجه عام، في نفس الوقت الذي تعمل فيه هذه القوى من خلال اللغة أساساً على توليد خطاب معرفي يخدم مصالحها بصورة مباشرة، أو يتخلل نسيج بنى المجتمع ليمارس دور الأيادي الخفية التي تتحكم في أداء النظم والمنظمات والمؤسسات والأسواق، ويتحكم بالتالي في أقدار الجماعات والأفراد.

المحتوى الرقمي العربي :

يعبر مفهوم المحتوى الرقمي العربي عن مجموعة من التطبيقات تعالج وتخزن وتعرض معلومات باللغة العربية ،وبرامج لإعداد تطبيقات تتلاءم مع اللغة العربية إلكترونياً ، ويشمل كل معلومة متوافرة باللغة العربية بصيغة رقمية، أي كل ما يتم تداوله رقمياً من معلومات مقروءة ، أو مرئية ، أو مسموعة ،وأهميته تنشأ من عاملين : أولهما : نشر وسرعة الوصول ومدى الانتقال إلى المتلقي ، وثانيهما: كثافة المحتوى الرقمي الذي أصبح من أهم عوامل التعبير عن الثقافة والحضارة على الصعيد العالمي٠

وأبرز التحديات التي يواجهها عالمنا العربي،تحديات نشر اللغة العربية على الإنترنت من خلال رقمنة الإنتاج الفكري العربي ، مما يفرض علينا المزيد من الجهد لهذا التحول ، ويفتح فرص التلاقي ، ويجعل للدول العربية وجوداً متميزاً على الانترنت ، حيث تحتل اللغة العربية المركز الثامن ضمن لغات العالم بالنسبة لحجم المحتوى العربي ، فقد ظهر أن الصفحات العربية على الإنترنت لا تتجاوز ١و% من أجمالي عدد الصفحات على الإنترنت وهذا يدل على تدني إنتاجية صناعة المحتوى العربي ،على الرغم من أن الناطقين بالعربية يشكلون حوالي ٥% من سكان العالم وتتوقع الإحصائيات أن يصل عدد الصفحات العربية عام ٢٠١٢م إلى نحو ٥و١ مليار صفحة حيث معدل نمو سنوي بمقدار ٨٠%حتى عام ٢٠١٠م ،٦٠% ، في السنوات التي تليها وقد بلغ مستخدمي اللغة العربية في الإنترنت عام ٢٠٠٩م ،أكثر من ٤٩مليون مستخدم يمثلون حوالي ١٧% من مجمل تعداد الناطقين بها في العالم ، ولم تتجاوز نسبتهم من مجمل مستخدمي الإنترنت في

العالم ٣% ، كما يتمتع مستخدمي الإنترنت العرب بنسبة نمو هي الأعلى من بين سائر اللغات في العالم إذ فاقت نسبة النمو ١٨٠٠%٠

ويتفق العرب على أن هناك ضرورة لتفعيل وجود العربية على الإنترنت حيث أن المواقع الإلكترونية أصبحت في الآونة الأخيرة تعاني من نقص شديد في محتواها العربي ، فضعف التواجد العربي على الإنترنت قد يؤدي بالعربية إلى خروجها من دائرة الفعل العالمي والحضاري ٠

ويشير مفهوم التحويل الرقمي إلى تحويل محتوى الوسائط المادية بما فيها مقالات الدوريات ، الكتب ، المخطوطات ، الصور الفوتوغرافية ، الأفلام ،المواد السمعية والمرئية إلى الشكل الرقمي ونشره على الإنترنت كوسيلة للتوزيع الواسع والشامل للمعرفة في الوطن العربي ويجب تفعيل وجود اللغة العربية على الإنترنت ، خاصة بعد أن أكدت الدراسات التطبيقية والنظرية الإمكانات الضخمة لأنظمة العربية بما لها من خصائص تساعد على برمجتها آلياً، فالنظام الصوتي في اللغة العربية والعلاقة الوثيقة بين طريقة كتابتها ونطقها يدل على قابلية اللغة العربية للمعالجة الآلية بشكل عام ، وتوليد الكلام وتمييزه بصورة خاصة كما يذكر لاروسي أن المشكلة في التحويل الرقمي تتمثل في الحروف الهجائية للغة العربية وعملية ترميز وتشفير هذه الحروف في برامج الحاسب ، والافتقار إلى معايير موحدة لتمثيل وعرض النص العربي في الإنترنت كما أن العربية دخيلة على لغات البرمجة ، لذلك ظهرت بعض المشكلات في الحروف العربية فى الصرف والنحو ، الأمر الذي يؤدي إلى انغلاق نصي يؤدي بدورة إلى انعزال وثائقنا العربية على الإنترنت ، بل الأخطر أن اللغة العربية في ظل العولمة وثورة المعلومات تتعرض لحركات تهميش نشطة، بفعل ضغوط هائلة ناجمة عن طغيان اللغة

الإنجليزية على صعيد السياسة والاقتصاد والتقنية والمعلومات ، وهنا علينا أن ندرك مدى خطورة ما يعنيه اقتصادياً وثقافياً وسياسياً قرار منظمة التجارة العالمية الجات بعدم اعتبار اللغة العربية ضمن لغاتها الرسمية وهذا ما دعا الحضور في القمة العربية الثانية والعشرين في سرت ليبيا ، مارس ٢٠١٠م ، إلى تأكيد إدخال اللغة العربية في منظمة التجارة العالمية ، حيث يشكل قراراً مصيرياً لأنه يؤدي إلى إحياء اللغة العربية واستخدامها بشكل أكثر فعالية في الحياة الاقتصادية والتجارية والتقنية ، والتهاون فى هذا الأمر حكم على اللغة العربية بالضعف والعزلة من الحياة الاقتصادية والتجارية والعلمية مع ما يتبع ذلك من عزوف عن استخدام العربية في هذه المجالات لاحقاً ، وعلى الرغم من أن المبالغ المطلوبة لاعتماد اللغة العربية كلغة عمل في منظمة التجارة العالمية هو ١٥ مليون دولار في السنة ، وهذا ما دعا بعض الدول إلى رفض هذا القرار ، على الرغم من أن إدخال اللغة العربية في ترجمة المصطلحات والقوانين والرموز أمر له أهميته البالغة ٠

تعريب عناوين الإنترنت

: تستخدم اللغة الإنجليزية عالمياً في كتابة عناوين الإنترنت التي تتيح الوصول إلى موارد المعلومات من مواقع وبوابات ووثائق إلكترونية، أو لتوجيه رسائل البريد الإلكتروني، وأطوار أخرى تسمح بها بروتوكولات الإنترنت وهذه العناوين لا تتعامل معها برامج الإنترنت الداخلية حيث يتم تحويلها إلى أرقام إلا أنها وضعت لتسهيل استخدامها وسهولة تذكرها وعادة ما يتكون العنوان من ثلاثة مقاطع : مقطع صاحب العنوان ومقطع كود النطاق ومقطع البلد وتكتب هذه العناوين باللغة الإنجليزية باستخدام الحروف والأرقام من ١ إلى ٩ مضافة إليها النقطة،وهو الوضع الذي لا يسمح باستخدام اللغات الأخرى، وقد سعت الصين إلى التغلب على هذه العقبة، بشكل جزئي، من خلال السماح باستخدام الحروف الصينية عن طريق كمبيوتر خادم خاص ومع انتشار ظاهرة تعدد اللغات عبر الإنترنت، ظهرت الحاجة إلى استخدام لغات أخرى غير الإنجليزية، وقد تزعمت بلدان جنوب شرق آسيا وحافة الباسيفيك الحملة المطالبة بضرورة تعدد اللغات عبر الإنترنت رضوخا لهذه الضغوط أقرت تدويل هذه العنواين باستخدام ما يعرف بـ **UNICODE**الذي يسمح باستيعاب معظم لغات العالم، وقامت بتشكيل مجموعة عمل لوضع القياسات الخاصة بذلك تجاوباً مع هذا،

وظهرت عدة جهود لتعريب عناوين الإنترنت كان آخرها مجموعة العمل التي شكلتها منظمة الإسكوا لهذا الخصوص ، والمجموعة المتخصصة التابعة للجامعة العربية التي شكلتها اللجنة التحضيرية للقمة العالمية لمجتمع المعلومات بتونس وترجع المطالبة بتعريب هذه العناوين إلى عدة أسباب من أهمها:

- إتاحة استخدام الإنترنت لمن لا يتكلمون الإنجليزية، وهم كثيرون، ومن المتوقع أن يزداد عددهم مع انتشار التطبيقات التي تهم العامة، مثل الحكومة الإلكترونية والتعليم الإلكتروني والتجارة الإلكترونية .

- أهمية هذه العناوين من الناحية التجارية حيث أصبحت أحد العناصر الأساسية في تشكيل صورة المؤسسة.

- تشجيع تبادل المعلومات ما بين المؤسسات والجماعات العربية.

وهناك عدة مشاكل متعلقة بتعريب عناوين الإنترنت نتيجة اختلاف نظام كتابة العربية عن الإنجليزية من أهمها:

- استخدام عناصر التشكيل، وقد اقترح أن تؤجل حالياً، وهناك اقتراح بديل بأن يقصر استخدامها على واجهة التعامل مع المستخدم فقط دون أن تدخل في عملية التحويل إلى أرقام.

-استخدام شرطة المد الكاشيدا وقد اقترح إهمالها.

-استخدام الفواصل بين الكلمات واقترح استبدالها بشرطة .

وفيما يخص تعدد أشكال الحروف، كالهمزة في أول الجملة ووسطها، والخلط بين الألف المقصورة والياء فقد اقترح تجنبها

٠

وفيما يخص أسماء النطاقات مثل **COM - GOV - ORG - NET -** **EDU** اقترحت مقابلات عربية لأسماء النطاقات شرك - حكم - نظم - شبك - علم، ورموز البلدان واقترح على سبيل المثال بح مقابل **bh** للبحرين وجز مقابل **dz** للجزائر و قم مقابل **rm** لجزر القمر ٠

إن المشكلة التي تواجه العربية هنا أنها لا تقبل وضع الاختصارات كما في الإنجليزية نظراً لغياب عناصر التشكيل مما يجعل كتابة العربية كتابة مختزلة في أساسها لذا فاختصارها يمثل اختصاراً مضاعفاً٠

اللغة العربية بين الانتماء والهوية:

حدثت تحولات اقتصادية وسياسية ، واجتماعية وثقافية متعددة الأبعاد تخترق الوجود لتحطيم ثوابت الفكر وتراجع القيم الأخلاقية ، فخطر الثقافات الأخرى على ثقافتنا العربية يسعى إلى إلغاء الهوية والانتماء ، وعلى أبناء العربية رفض الهيمنة من الدول الكبرى ، لتدعيم الثقافة العربية الإسلامية ، واستنهاض آليات الحفاظ عليها من تحدي الاختراق الثقافي والحفاظ على الهوية في العصر الرقمي ٠



الباب الثالث

الصراعات والتحديات

الهوية الإسلامية والتحديات التي تواجهها

قال تعالى: (الر كِتَابٌ أنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)، وقال تعالى:(لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)،وقال تعالى:(اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) ٠

إن البحث في موضوع الهوية من القضايا الأساسية التي شغلت المثقفين في العالم، فالهوية قضية محورية، سواء على الصعيد الأمني أو التنموي والهوية الإسلامية متميزة بمرجعها الربانية،وهو ما يعطي للمجتمع الإسلامي قيمته ويحفظ عليه تماسكه ولا عزة له بدونها٠

ويتحدث التاريخ عن الكثير من الأحداث التي مرت بالمجتمع الإسلامي وكانت تهدف إلى طمس هويته وتشتيت انتمائه ومن هنا كانت أهمية الدور الذي ينهض به مثقفوا الأمة الإسلامية في تنمية الوعي بحقيقة الهوية الإسلامية وأهميتها، وإيضاح ركائزها، والدعوة إلى تجسيد مبادئها إلى واقع، والدفاع عنها، ودعوة الغير إليها ومن أخطر ما يمكن رصده من التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية ما يلي :

١- الغزو الفكري عقائدياً واقتصادياً وثقافياً وأخلاقياً بشتَّى أنواع الغزو الإعلامي والدعائي٠

٢- التقليد للغرب والمحتل بل والقابلية لذلك٠

٣ - ضعف عناية الناس وتمسكهم بفقه السلف الصالح ومنهجهم وإعجابهم بتقاليد أخرى٠

٤-استبدال الهوية الإسلامية بالهوية الطورانية اوالعربية القومية٠

٥ -محاربة الجهاد في سبيل الله عقيدة وفكراً وسلوكاً٠

٦ -تغلغل المد الصوفي المتطرف والشيعي الرافضي٠

٧- إعجاب الشباب بالنماذج التي لا تخدم أمَّتنا بل تفسد عقيدة وأخلاق الأمة المسلمة، كالفنانات والفنانين والمطربين والمطربات وما يقومون به من فساد أخلاقي وعقائدي كذلك ومن يتأمل أغانيهم وكلماتهم لعلم مدى الانحدار الديني والخلقي والأدهى أن منهم من يتدخل فى تفسير بعض المفاهيم الدينية والأقذر أن لهم مستمعون ٠

وتواجه اللغة العربية الكثير من التحديات في عصر الرقمنة تسهم في ظهور العديد من القضايا والمشكلات التي تعوق ظهور المحتوى العربي الرقمي على الإنترنت بشكل يليق بأمة العرب ، حيث تشير الأرقام إلى أن حصة الإنتاج الفكري باللغة العربية المتاح على الإنترنت لا يتجاوز ١% من المعلومات المنشورة على الويب وقد يعود ذلك لبعض الصعوبات اللغوية والفنية لتدعيم هذا المحتوى ٠

بعض التحديات التى تواجه الهوية والثقافة:-

قبل الحديث عن الهوية والثقافة يجب توضيح العلاقة بينهما فهناك علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة، بحيث يتعذر الفصل بينهما ،إذ أن ما من هوية إلا وتختزل ثقافة ، فلا هوية بدون منظور ثقافي ، ولا تستند إلى خلفية ثقافية ، والثقافة في عمقها ، وجوهرها ، هوية قائمة الذات وقد تتعدّد الثقافات في الهوية الواحدة ، كما أنه قد قد تتنوّع الهويات في الثقافة الواحدة ، وذلك يعبّر عنه بالتنوّع في إطار الوحدة ، فقد تنتمي هوية شعب من الشعوب إلى ثقافات متعددة ، تمتزج عناصرها ، وتتلاقح مكوّناتها ، فتتبلور في هوية واحدة وعلى سبيل المثال ، فالهوية الإسلامية تتشكّل من ثقافات الشعوب والأمم التي دخلها الإسلام سواء اعتنقته أو لا فهذه الثقافات التي امتزجت بالثقافة العربية الإسلامية وتلاقحت معها ، فهي جماع هويات الأمم والشعوب التي انضوت تحت لواء الحضارة العربية الإسلامية، وهي بذلك هوية إنسانية ، متفتحة ، وغير منغلقة وفي زمن تُفرض فيه العولمة الغازية للهويات والماحية للخصوصيات الثقافية على العالم يفترض أن تخلق الحداثة ثقافة عالمية وكونية وإذا كانت صور من هذه الثقافة قد تخلقت عبر العالم خلال تاريخ الحداثة ، فإن الصورة المعاصرة من عولمة الحداثة قد عجّلت بتكوين هذه الثقافة ولا تفهم ثقافة العولمة إلاُ في ضوء مفهوم الثقافة المحلية والوطنية فتلك الأخيرة تتكون من جماع أساليب السلوك والأفكار والرموز والفنون التي تميّز شعباً من الشعوب ، وعلى الرغم من تنوعّها الداخلي تتميّز الثقافة الوطنية بالتجانس،

أما ثقافة العولمة فإنها الثقافة التي تتجاوز الثقافة الوطنية ، متخطية حدود الدول، وتنتشر من خلال آليات تدفق السلع والأفراد والمعلومات والمعرفة والصور وثقافة العولمة التي تتحدي الهوية والثقافة الوطنيتين ، هي ذات خصائص منها أنها ثقافة يصاحبها في الغالب خطاب تقني وعملي ، فهي تنقل عبر وسائل الاتصال الحديثة وتُفرض من أعلي ، من دون أن تكون لها قاعدة شعبية ، أو تعبر عن حاجات محلية ، أو تلتزم بأشكال ومضمون التراث الثقافي التي تنتقي منه وتساعد على تركّز القوة والقوة هنا ليست قوة سياسية فحسب ، بل قوة التكنولوجيا المرتبطة بالمشروعات الصناعية ذات الصبغة الكونية كشبكات الحاسب والإنترنت ، وهي ما يطلق عليه تقنيات العولمة كما أنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثقافة الاستهلاك ، فالعمليات المرتبطة بنشر الحداثة تساعد على نشر القيم والرموز وأساليب السلوك المرتبطة بالاستهلاك وتعمل على خلق نماذج وصيغة موحدة عبر العالم وتنطوي ثقافة العولمة التي تنبثق من الحداثة المادية بخصائصها تلك ،على مخاطر عديدة تتهدّد الهوية والثقافة الوطنيتين في آن واحد مما يؤكد قوة الترابط والتلازم بين الهوية والثقافة أياً كانتا ،وهو الأمر الذي يستدعى تقوية العلاقة بين العنصرين الرئيسيْن من عناصر الكيان الوطني للأمم والشعوب الهوية والثقافة لأن في الحفاظ على الهوية والثقافة وقاية من السقوط الحضاري ، وصيانة للذات ، وتعزيزاً للقدرات التي يمكن التصدّيّ بها لضغوط التحدّيات مهما تكن ومن التحديات التي تعترض الهوية، فلها أسباب كثيرة، بعضها خارجي وبعضها داخلي:

بعض العوامل الخارجية

- القرية الصغيرة عالمنا اليوم: من المعلوم اليوم، أن التداخلَ والاختلاطَ بين الأجناس بات سمةً من سمات العصر، وبما أن المادة حين تختلط بغيرها من المواد تفقد كثيرا أو قليلا من هويتها وطبيعتها، فكذلك الشأن بالنسبة للهويات والأفكار، ينتج عن اختلاطها تغيير كبير أو صغير على هوياتها، ويقل ويكثر التغيير حسب قبولها أو رفضها للذوبان وكذلك الشأن في الهويات المختلطة، فتذوب الهويات الرخوة وتبقى وتصمد الهويات الصلبة المحصنة ضد الذوبان٠

- والعالم اليوم قرية صغيرة، لهذا منع أسلافنا حفاظا منهم على الهوية الاختلاط بالأجناس، ووضعوا أبواباً فقهية تتعلق بمنع الإقامة فى بلاد غير إسلامية،وشددوا الأحكام في ذلك غاية التشديد،إدراكا لخطر الاختلاط على الهوية

ثورة الاتصال: وإذا كانت العولمة قربت التداخل والاختلاط بين الشعوب بالأنفس، فإن وسائل الاتصال التي عرفت ثورة هائلة قوت ودعمت هذا الامتزاج دون حاجة إلى اللقاء المباشر، وأصبحت الشعوب كما لو أنها في مجلس واحد، أمام شاشة واحدة تُبثُّ منها كلُّ الأفكار، وتُنشرُ منها سائرُ المُعتقدات٠

بعض العوامل الداخلية

- الجامدون على المتغيرات: ومن العوامل الداخلية التي تهدد الهوية ذوو العقليات الجامدة على القديم، والنافرة والمنفرة من كل جديد وتجديد فهذه العقلية وإن بدا أنها تدافع عن الهوية، فهي من أخطر المهددين لها فهي لا تنظر إلى الهوية من زاوية مقاصد الشريعة، ولكن من نسخة من نسخ الشريعة التاريخية ٠

- المفرطون في الثوابت: وإذا كان هذا الفريق الجامد مهدداً للهوية ويعرضها بسبب جموده للبلاء والفناء، فثم فريق آخر يقابل هؤلاء المنغلقين مفرطين في ثوابت الهوية، يريدون تجديد كل شيء فيضيع كل ما عنده من أشياء، حتى لا يبقى له من عناصر ومقومات الهوية سوى الأسماء٠

والدواء في التوسط بين هؤلاء وهؤلاء، فتحصين الهوية يتم من خلال تثبيتِ كل ثابت، وتطويرِ أو تغييرِ كل ما من شأنه التغيير فالقيم مثل الصدق والعفة والأمانة لا يفرط فيها وهي لا تعاب لقدمها والتلاعب بالأجنة والعبث بالإنسانية وتهديد البشرية باختراع الأسلحة الفتاكة المدمرة كلها وسائل جديدة لكنها عدوة للإنسانية وخطر على البشرية لكنها مذمومة لا تمدح ٠

وتتعدد مصادر التحديات التى تواجه الهوية، بقدر ماتضعف المناعة لدى الفرد والمجتمع لكن المصدر الأساس الذى يأتى منه التحدى الأكبر لهوية الأمم والشعوب كافة، يكمن فى سياسة الاحتلال الجديدة التى تسود العالم اليوم، وترمى إلى تنميط البشر والقيم والمفاهيم وفق معاييرها الجديدة، والسعى إلى صياغة هوية شاملة تفرضها فى الواقع الإنسانى، فى إطار مزيف من التوافق القسرى والاجماع المفروض بالقوة والخطورة فى هذا الأمر، أن قوة الإبهام التى تُطرح بها هذه الهوية ذات الهوى الأمريكى تحديداً، تعمى الأبصار عن رؤية الحقائق على الأرض كما هى، مما يؤدى إلى توهم أن هذه الهوية المغشوشة، هى الهوية العصرية ، الهوية الكونية، هوية التحديث والمدنية، الهوية التى ينبغى أن تسود وتقود٠

أما كونها هوية عصرية ، فهذا صحيح من بعض الوجوه ، لأنها مفروضة على هذا العصر بقوة الهيمنة والسيطرة والغلبة، وأما كونها هوية كونية، فهذا أبعد مايكون لأن فى العالم هويات متعددة، بقدر مافيه من ثقافات وحضارات، أما أنها هوية التحديث والمدنية، فينبغى أن نفهم جيداً أن للحداثة دلالات ومفاهيم ومستويات، فمنها حداثة مادية، وضعية، مقطوعة الصلة بالدين، ومنها حداثة أخلاقية، إنسانية بانية للإنسان بعناصرة المتكاملة وللحضارة فى أبعادها المادية والروحية كذلك شأن المدنية فهى على درجات متفاوتة، فليست كل مدنية تُحمد،

وهى على كل حال، حمالة أوجه، ففى الحرب العالمية الأولى والثانية، سقط ضحية المدنية فى أوروبا واليابان عشرات الملايين من البشر ، وفى هذه المرحلة من التاريخ، تندلع الحروب، وتحتل الدول وتقهر الشعوب ، وترتكب الجرائم ضد الإنسانية باسم المدنية ايضاً٠

لذلك فإن إضفاء صفة المدنية على هذه الهوية الغازية المركبة من عناصر متناقصة منطوية على روح العدوان على ثقافة الأمم واستغفالها والاستهتار بها، تضليل للرأى العام العالمى، وتزوير لإرادة الشعوب، ودفع بالعالم نحو مزيد من الكوارث والحروب والصراعات٠

إن إلزام العالم بأسرة، بانتهاج نظام سياسى واقتصادى واجتماعى وثقافى واحد،عمل ضد سنن الله فى خلقة، بقدر ما هو خروج على منطق التاريخ وقانون الطبيعة، ولئن كان مصير سياسة الاحتلال الجديدة سائراً إلى إفلاس لامحالة، فهذا لايمنع من استمرارها إلى أمد قد يطول فى طمس الخصوصيات الثقافية والحضارية للهويات الوطنية للأمم والشعوب فى المديين القريب والبعيد لذلك نقول إن الخطر الذى يتهدد الهوية خطر حقيقى واقع فعلاً، يزحف نحو المزيد من الغزو والاكتساح والعدوان، وهو حقيقة واقعية قائمة فى حياتنا، نعيشها ونشاهد آثارها المدمرة للعقل والوجدان، والمهددة لسلامة الكيان الإسلامى باعتبار أن الحرب ضد الكيان الإسلامى بصورة عامة، فالحرب ضد الهوية، يقصد بها تمهيد الطريق نحو فرض الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية والإعلامية والثقافية

ولقد استبدل الغرب، خاصة قوى الاحتلال الجديدة، بالركائز الثقافية والدينية القديمة مقولات جديدة تضع الأخلاق فى خدمة الهيمنة والعنف، والدين فى خدمة نظام رأسمالى منتصر، والثقافة وقيمتها فى خدمة فلسفة القوة،وباتت نظرة الغرب إلى ذاته تتسم بنرجسية مرضية يلازمها خوف دائم من فقد السيطرة والدخول فى مرحلة الأفول والانحطاط، كما قال بذلك أكثر من فيلسوف أوروبى وأمريكى،فى أكثر من كتاب ومقالة وبالبحث فى سبب انكسار الشباب العربى والمسلم أمام الثقافات الغربية؟ يقول الأستاذ الدكتور شفيق عياش عميد كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة القدس: يمثل المحور الثقافي الامتداد الأوسع لحركة العولمة الثقافية، ولعلي هنا أبرز بعض التحديات التي تأتي بها العولمة، وتطال في هذا المحور كافة العناصر المكونة للوجود الديني و الانتماء للدول المستهدفة عبر وسائل متبعة لنشر ثقافة التغريب والعولمة، ومن ذلك:

١- تحريف المفاهيم الدينية، كي تتفق مع الأفكار التي تروجها العولمة المعاصرة،باستبعاد الإيمان بالغيبيات واعتباره مضادا للعقلانية العلمانية.

٢- إيجاد فئات وشرائح ومؤسسات في المجتمعين العربي والإسلامي تعمل كوكيل للثقافة الغربية، بتقديم المساعدات المالية لمشاريع أبحاثها وعقد ندوات تدعم توجهاتها الثقافية للهيمنة على الثقافتين العربية والإسلامية.

٣- إنشاء مجموعة من المراكز والمؤسسات التي تؤثر مباشرة على الثقافة العربية،مثل: جامعات التبشير ومراكز اللغات والترجمة ومؤسسات خيرية ومدارس أجنبية يتمثل دورها جميعاً في التأثير الفكري والتربوي واللغوي على طلبة العلم والمعرفة، وفرض مناهجها وأفكارها مع التقليل من مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية، ثم القيام بالتنصير والخطورة تكمن في تخريج هذه الأجيال على النهج المريب من التغريب وهي أجيال تقط كل صلة بماضيها وتراثها وثقافتها ولن يكون لها ولاء ولا انتماء لآبائها وأقرانها ممن يتخرجون من المدارس العربية، وكأننا نعمل على إيجاد حالة من الانفصام في شخصية المجتمع وبنيته الأساسية تبدو آثاره في ظاهرة استعلاء لغوي ومباهاة بلغة الغرب وثقافاتهم وإعلامهم٠

٤- يعد الإعلام مرتعاً خصباً وفسيحاً يتم من خلاله الغزو الثقافي لإشاعة الفواحش والمنكرات من أجل تحطيم القيم والثوابت الأخلاقية، ولقد تحولت وسائل الإعلام إلى قنوات لبن مسموم ونشر للرذيلة والانحطاط بالغريزة البشرية وانهيار السلوك الإنساني والتباس الحق بالباطل والهدى بالضلال والخير بالشر٠

٥ - إن قنوات التلفزة تشكل تهديداً خطيراً ومعول هدم للهوية الإسلامية الحضارية والثقافية من خلال بث البرامج والأفلام والمسلسلات الخليعة والمسرحيات الهابطة، ولقد كشفت دراسة قام بها تسعة من أطباء علم النفس على مدى خمس سنوات في جريدة الرأي الكويتية عام ١٩٩٢م، أظهرت أن البرامج المتلفزة تؤثر على الأطفال المراهقين وتدفعهم إلى الصراعات وتجعلهم أكثر تقبلاً للعنف الجنسي، وكشفت هذه الدراسة أيضاً أن أفلام الرسوم المتحركة تتضمن مشاهد عنف تزيد بمعدل أربع أو خمس مرات عما يشاهد في الأفلام التي تعرض بعد ذهاب الأطفال للفراش، فعلى الرغم من كل هذه المظاهر التي وضحتها كل هذه الدراسات نرى تكالب أجهزة الإعلام على هذه المنتجات الإعلامية.

ويقول الباحث الدكتور إبراهيم متولي: إن التحدي الملح تجاه العودة بالهوية الإسلامية هو التحدي التربوي، وباستقراء الدراسات التربوية الخاصة بهذا الاتجاه يتضح أن ثمة أمور لا بد من التأكيد عليها لعل من أهمها ما يلي:-

١- أن العالم الإسلامي يتعرض لمجموعة من التحديات والمخاطر لا بد لأنظمة التعليم والتربية من مواجهتها بصورة حاسمة.

٢- حاجة المجتمعات العربية والإسلامية إلى صياغة حديثة لنظرية تربوية إسلامية تكون في مواجهة التحديات والمخاطر التي تحدق بالأمة العربية الإسلامية.

٣- أن التعليم في القرن الحادي والعشرين يرتكز على مجموعة من المبادئ،هي: بيئة تعليمية جديدة-التعليم الشخصي - تعليم مبتكر للمعرفة - التعليم مدى الحياة، وكلها أساسيات مبدئية للتعليم الحديث يجب ألا تهملها النظرية الإسلامية الحديثة في مواجهة التغريب والعلمنة.

٤- أن المجتمعات العربية الإسلامية تتعرض الآن ومستقبلاً لمجموعة من الأخطار والتحديات بعضها داخلي كالتغير في التركيب السكاني، وتغيرات الثقافة والقيم، والتغيرات الاجتماعية المختلفة، وبعضها خارجي: كالثورة العلمية والتكنولوجية، والتوتر بين العولمة والمحلية، والتغيرات الاقتصادية والسياسية التي يشهدها العالم ، والطريقة الوحيدة لمواجهة ذلك هي التنشئة العلمية التربوية القوية والممنهجة لأبناء تلك المجتمعات والشعوب.

٥- المدرسة الإسلامية المستقبلية هي إحدى الأفكار التربوية التي ينشدها التربويون العرب والمسلمون لمجابهة تلك الأخطار والتحديات، حيث إن المطلوب منها شيئان؛ الأول: يتعلق بالكيفية التي يتم من خلالها التعامل مع تلك الأخطار والتحديات والأمر الآخر مراعاة الخصوصية والذاتية العربية الإسلامية التي تتميز بها الهوية الإسلامية ونحن نستطيع أن نحدد سبب الانكسار لدى الشباب المسلم أمام تلك الثقافات بعدة أمور هامة:

١- الفراغ النفسي والمعنوي لدى الشباب المسلم، وعدم وجود شخصية نموذج يأمل أن يتشبه بها في ظل رؤياه لشخصيات دنيوية مادية أثبتت نجاحات متتالية على المستوى المادي والتكنولوجي والشباب المسلم هنا بحاجة ماسة لبناء الطموح عنده عن طريق توجيهه للاقتداء بكبار وعظماء الأمة الإسلامية في تاريخها الزاهر وبأبطالها أصحاب الإنجازات المشاهدة في عصرها الحديث٠

٢- الهجمة الإعلامية التي تصور المسلمين بصورة دونية مستذلة مع ضعف العزة داخل أولئك الشباب تجاه الإسلام والاعتزاز به أدى إلى هروبه من التشبه بتلك الصورة المنكرة إعلاميا إلى صورة محبوبة إعلامياً٠

٣- الارتباط بالهوية الإسلامية والثقافة الإسلامية الضعيف، ويحتاج إلى جزء كبير من اليقين والإيمان باليوم الآخر وبقدرة الرب سبحانه وبالقضاء والقدر ،والشباب مع ضعف إيمانهم بتلك الأسس، وعدم تربيتهم عليها يخرجون مستنكرين للهوية الإسلامية التي يرونها مقيدة لحريتهم اللا محدودة التي تقدمها لهم الثقافات الغربية التي تقدم الحاجات المادية والشهوات كمادة أساسية مباحة دائماً بغرض التفرغ للعمل٠

ثالثاً: التوصيف الخاص للمشكلة والتشخيص الدقيق للمرض لإمكانية الانطلاق للعلاج:

يقول د٠ مصطفى حلمي: القضية ليست في الهوية بل القضية في الأمة الإسلامية فالإسلام هو المستهدف لأن الغرب عامة يعلم أن الإسلام هو البديل الحضاري الأوحد لثقافتهم وحضارتهم وهو البديل القوي الذي يمكنه أن يملأ الفراغ الذي تعانية الحضارة الغربية اليوم بخلاف الأطروحات الصينية أو اليابانية التي لا تقدم جديداً يغني، والغرب يخشى مما يسميه الحركات الأصولية التي تمثل بعثاً جديداً للهوية الإسلامية إذ إنها في حالة صعود مقلق بالنسبة لهم، فالجماهير التي تؤيد الحركات الإسلامية اليوم هي نفسها التي كانت تؤيد الناصرية والبعثية منذ عشرين عاماً ٠

ويقول الدكتور شفيق عياش: إن المخاطر المحدقة بالثقافة الإسلامية من جانب العولمة المعاصرة، خاصة مع ظهور وسائل الإعلام الحديثة التي تعمل على نشر ثقافة العولمة، وتهدف إلى تعريض المقومات الحضارية للأمة كالدين واللغة والثقافة يتطلب التعاون من أجل وضع خطة استراتيجية محكمة كفيلة بالتغلب على مخاطر العولمة الثقافية من أجل إنقاذ شباب الأمة وحمايتهم من الانحراف الأخلاقي والسلوكي٠

ولا يخفى على مفكري الأمة الإسلامية ومثقفيها أن من أعظم التحديات التي تواجهها الهوية الإسلامية المفارقة بين المبادئ الإسلامية ذاتها سلوكاً والتزاماً، أي أن هناك هوة كبيرة فاصلة بين القيم والسلوك، وبين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون،لذلك يرى البعض أنها فتنة ثقافية واضمحلال للقدرة على التمييز بين الصواب والخطأ وعجز عن اتخاذ قرارات مصيرية، مما يجعلها أزمة داخلية تفتح الباب على مصراعيه لشتى أنواع الغزو الخارجي لتدمير الهوية الإسلامية[1]التي تواجه في حقيقة الأمر تيارين متضادين، الأول: خارجي غازي والثاني: داخلي

١- تجديد الوعي- د/عبدالكريم بكار، ص ٧٣_٧٤

منغلق، لا يعي أن سلطان الفكر الغربي وعدم الذوبان والاضمحلال فيه،لا يعني أيضاً التقوقع والانغلاق، وإن قيل إنه يصعب الفصل بين المعطيات الحضارية وبين الأمة التي صاغتها، فإننا نؤكد على أن الأمة الإسلامية في نهضتها الأولى أفادت من الأمم التي عاصرتها علوماً ومعارفاً أخذتها في صورتها الخام وأعادت تشكيلها من جديد بما يوافق نهجها وتصورها فتبرز هنا أهمية منهج الانتقاء، فنحن لا نريد أن نستورد قيم الغير كما هي لنبني عليها حضارتنا، فهنا مكمن الخطر الحقيقي والانهزام والانكفاء الذي يقدمه على وجه خاص بعض من يطلق عليهم ممثلوا النخبة الثقافية والفكرية والحقيقة أن أول أهداف تلك التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية على مر العصور هو تذويب الهوية الإسلامية بالقضاء على مقومات كيانها وعلامات القوة فيها واحتوائها بأخلاق الضعف والانحلال والإباحية قال تعالى:(وَلَن تَرْضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَالنَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)[١] وقال تعالى: (وَلاَيَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)[٢] وإن كان استمرار الصراع الفكري وبقاءه محتدماً هو قضاء الله تعالى، فإن دفع الناس بعضهم ببعض، وضرب الباطل بالحق أيضاً سنة ثابتة من سنن الله تعالى (وَلَوْلا دَفْعُ اللهِّ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ)[٣]

١-البقرة، آية ١٢٠ ٢- هود، آية ١١٨ ٣- البقرة، آية ٢٥١

ومن مكائد أعداء الإسلام في هدم الهوية الإسلامية، استخدامهم وسائل كثيرة لتجزئة الأمة الإسلامية الواحدة،منها: دعم الخلاف السياسي ، بتغذية الأنانيات المختلفة والاختلاف الطائفي ،بإلقاء جرثومة الخلاف في العقائد والاختلاف المذهبي بتشجيع التعصب المذهبي الذميم والاختلاف العرقي والقومي واللّغوي٠٠ إلخ[١]٠

معالم الهوية الإسلامية والتحديات المعاصرة

- الدين الإسلامي المُكوّن الأول لهويتنا العربية والعمود الفقري لشخصيتنا القطرية٠

- الحفاظ على هويتنا لا يعني الإبقاءَ على الأشكالِ والوسائل التي مِنْ شأنها التغيير٠

- الفقه الصحيح لا يبنى على ما قال الشرع فقط بل على ماذا أراد الشرع٠

- كم من أممٍ وأشخاصٍ يجْرون خلف ما يظنونه مصالحَ مُنَمقة وهي مفاسد مُحقَّقة٠

١ـ الأمة الربانية الواحدة -عبد الرحمن حبنكه ص ١٢١

- التطرف بوجهَيْه والغلو بنوعيه يشكل أكبر تهديد للهوية والوسطُ طوق نجاة٠

- اللغة العربية تمثل لسان هويتنا والتواصل مع أهلنا ولغة الحوار مع أمتنا٠

- الاختلاط بين الأجناس محتم وتحصين الهوية دينيا يجعلها صلبةً عنِ الذوبان٠

- العقليات الجامدة على القديم من أخطر المهددات للهوية وإن بدا أنها تدافع عنها٠

- أوروبا ظلت نائمة عن أرسطو وفكره قرونا حتى نفض غباره ابن رشد

هل الهوية الإسلاميَّة في خطر حقيقي؟

حين يندمج المجتمع المسلم مع مبادئ وأسس العقيدة الإسلامية ويتمثلها واقعاً ومنهج حياة، يكون هذا المجتمع معبِّراً عن مصطلح الهوية الإسلامية،والهوية تقوم على أربعة أسس وعناصر العقيدة والتاريخ واللغة والأرض فإن تكونت هذه العناصر الأربعة في الأمَّة المسلمة عبَّرت بمجموعها عن الهوية الإسلامية المقصودة وهناك من يريد إيقاع الهوية الإسلامية في الذوبان بالكافر الذي يسمونه الآخر،إلاَّ أنَّ الهوية الإسلامية كمفهوم عقائدي وكأمة مسلمة معصومة من الذوبان، لن تقع في خطر الذوبان في الهويات الأخرى على وجه مطلق، فالله تعالى يقول: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فقط قد تضعف الهوية الإسلامية لدى بعض المجتمعات دون بعضها الآخر، ولكن أنَّ تذوب الهوية فهذا لا ولم ولن يكون،لأنَّ هذا الدين محفوظ بحفظ الله وقد تكفل الله به نعم هناك متربصون يتربصون بهويتنا الإسلامية وأمتنا الدوائر كما قال تعالى (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم)، وهناك تقارير معاصرة صدرت يتضح منها أنَّ أعداء الإسلام يريدون محق الهوية الإسلامية الصحيحة وإزالتها، ولو قلَّبنا صفحات تقرير من تلك التقارير كتقرير مؤسسة راند الذي يصدر تباعاً في كل سنة وقرأنا خططهم لعلمنا تلك العداوة الحقيقية لهويتنا العربية والإسلامية بشكل واضح.

قال الرئيس الأمريكي مرة الأسبق ريتشارد نيكسون في مذكّراته أنه ليس أمامنا بالنسبة للمسلمين إلاَّ أحد حلَّين :الأول : تقتيلهم والقضاء عليهم والثاني : تذويبهم في المجتمعات الأخرى المدنيَّة العلمانيَّة وصدق الله تعالى حين قال عن أعداء المسلمين: (إنَّهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملّتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً) لهذا نجدهم يركزون كثيراً على حرب الأفكار، ومن أوائل من نادى بذلك زينو باران وهي باحثة تعمل في مركز نيكسون ، الصادر عنه تقرير بعنوان القتال في حرب الأفكار وممَّن اعتمد ذلك وبشدَّة دونالد رامسفيلد؛ فكثيراً ما كان يصرِّح بأهميَّة غزو العالم الإسلامي ثقافياً ، ومنهم كذلك دنيس روس المبعوث الأمريكي السابق للشرق الأوسط ، فقد كان يدعو ولا يزال إلى علمنة الدعوة الإسلاميَّة، وجمع كبير من قادة الدول الغربيَّة وجاء على لسان أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل عام ١٩٦٧ في محاضرة له بجامعة بريستون الأمريكية قوله: يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبه الإسلامي بعد الهزيمة، وفي ذلك خطر الحقيقي على إسرائيل، لذا كان من أول واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي وأذكر حادثة مهمة وهي أنَّه في عام ١٩٤٨ عُقِدَ لقاء بين ضابطٍ عربيٍ كبيرٍ وقع أسيراً في الحرب، وبين قائدٍ عسكريٍّ صهيونيّ وفي هذا اللقاء: سأل الضابطُ العربيُّ مستفسراً، عن سبب عدم مهاجمة الجيش الصهيونيّ قرية صور باهر القريبة من القدس

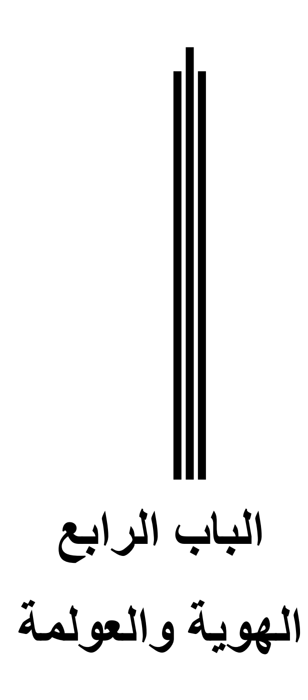
فأجابه القائد الصهيونيّ: لأنّ فيها قوَّة من المتطوّعين المسلمين المتعصّبين الذين لا يقاتلون لتأسيس وطنٍ كما يفعل اليهود، بل يقاتلون ليستشهدوا في سبيل الله وعندما سأله الضابط العربيّ عن الأمر الذي يجعل اليهود يخافون من هؤلاء إلى هذه الدرجة، أجاب القائد اليهوديّ إنه الدين الإسلاميّ ثم استدرك قائلاً: إنّ هؤلاء المتعصّبين، هم عقدة العقد في طريق السلام، الذي يجب أن نتعاون جميعاً لتحقيقه، وهم الخطر الكبير على كل جهدٍ يُبذَل لإقامة علاقاتٍ سليمةٍ بيننا وبينكم إنّ أوضاعنا وأوضاعكم لن تستقرّ،حتى يزولَ هؤلاء،وتنقطع صرخاتهم المنادية بالجهاد والاستشهاد في سبيل الله،هذا المنطق الذي يخالف منطق القرن العشرين قرن العلم والمعرفة وهيئة الأمم والرأي العام العالميّ وحقوق الإنسان وهناك مخاوف تصل إلى حدِّ الرهاب والهلع من الإسلام الذي يعرفه الأعداء كما يعرفون أولادهم، فهناك تصريحات واضحة تظهر مدى خوفهم من هذا الدين، فهذا أيوجين روستو رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية يقول عام ١٩٦٧ إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي بفلسفته وعقيدته المتمثلة في الدين المسيحي ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها وقال فيليب فونداسي رئيس المكتب الخامس الفرنسي لمصلحة التجسس الفرنسية في مقدمة كتابه: الاحتلال الفرنسي في أفريقيا السوداء :إنَّ هذا الإسلام يؤلف حاجزاً أمام مدنيتنا المبنية كلها من مؤثرات مسيحية

ومن مادية ديكارتية فإنَّ الإسلام يهدد ثقافتنا في أفريقيا السوداء وعلى الرغم من أن بعض النفوس المتسامحة تميل بطبيعتها وعن رضى منها إلى عدم تقدير خطر الإسلام حق قدره فإنه يبدو في الظروف الحالية للتطور الاجتماعي والسياسي لعالم البشر أنه من الضروري لفرنسا أن تقاوم الإسلام في هذا العالم، أو تحاول على الأقل حصر انتشاره، وأن يعامل وفق أضيق مبادئ الحياد الديني ٠

ويمكن الإشارة إلى الوثيقة المسماة الإستراتيجية المشتركة للاتحاد الأوروبي في المتوسط التي أصدرها مؤتمر قمة الاتحاد الأوروبي في يونيو سنة ٢٠٠٠م وتشير الوثيقة صراحة إلى سعي الاتحاد إلى تغيير بعض القيم الدينية في الدول العربية المطلة على البحر المتوسط بحيث تتوافق مع القيم الأوروبية فهناك إذاً فئات متطرفة ومعادية للإسلام تحاول المكر بالمسلمين والنيل من حرماتهم وهويتهم، بغياً وإثماً وعدواناً، ولكن لن يتم لهم ذلك والله متم نوره ولو كره الكافرون٠

هل يوجد تعارض بين الهوية الإسلامية والانتماء الوطني؟

يظهر مصطلحان يتعمد البعض الخلط بينهما،الأول مصطلح الوطنية، والثاني حب الوطن،والفرق بينهما وبين مدلولهما كبير، فمسألة حب الوطن مسألة قديمة قدم الإنسان، حيث تعود الإنسان على حب مسكنه، ومربع طفولته، ومرتع صباه وشبابه، وهو معنى جميل، وخلق راق، لا تعارض بينه وبين مفهوم الهوية الإسلامية، بل المسلمون الصادقون من أشد الناس حباً لأوطانهم، ومن أكثرهم حرصاً على جلب الخير، ودفع الضر عنها أما المشكلة والخلط فيقع في مفهوم الوطنية وهو مفهوم حديث ظهر بعد سقوط الخلافة، وتفتت العالم الإسلامي وانشطاره إلى دويلات صغيرة، وقد يعمل على إثارة النزاعات والعصبيات بين أفراد الأمة الواحدة، بعيداً عن رابط الدين والعقيدة، ويعني الانتماء إلى الأرض والناس،والعادات والتّقاليد، والفخر بالتّاريخ، والتفاني في خدمة الوطن، بعيداً عن الدين، وبذلك تفتت الهوية الإسلامية العامة إلى هويات خاصة، فظهرت هوية مصرية،وجزائرية، وثالثة عراقية، وصارت العصبيات هي المحرك الأساسي لهذه الهويات،وربما نشبت بينهم الحروب لأتفه الأسباب لذلك نقول: إن أحب الأوطان لنا هي مكة المكرمة، ثم المدينة المنورة، ثم بيت المقدس، وماعدا ذلك من بلاد الإسلام فلا نفاضل بينها عصبية، مع احتفاظنا بالحب الفطري والجبلي لأماكننا وبلادنا التي تربينا فيها، ورتعنا وشربنا من مائها.



الباب الرابع

الهوية والعولمة

العولمة الثقافية والهوية:

والعولمة الثقافية هي أصل العولمات لأن الثقافة هي التي تهيئ الأذهان والنفوس لقبول الأنواع الأخرى، وتجعل الناس مستعدة للانضمام إلى الأنظمة والمؤسسات والاتفاقيات الدولية والثقافة عنصراً أساسياً في حياة كل فرد ومجتمع وأمة، وتشمل التقاليد والمعتقدات والقيم وأنماط الحياة المختلفة والفنون والآداب وحقوق الإنسان إنها الهوية المُعَبِّرَة عن الشعور بالانتماء لدى أفراد كيان اجتماعي معين، والتي تُشْعِر أصحابها بخصوصيتهم، ورصيدهم من الخبرات والمعرفة وأنماط السلوك وللعولمة الثقافية وسائلها ومضامينها؛ فوسائلها هي هذه الآلات والأدوات والأجهزة التكنولوجية والإلكترونية، أما مضامينها ومحتواها فهي هذه البرامج الفكرية،والتصوراتٌ الأدبية والفنية، والمذاهبُ والنظرياتٌ النقدية، والآراء العقائدية الأيديولوجية، ووجهات النظر السياسية،ونمط الحياة والتقاليد الاجتماعية في الملبس والمأكل والمشرب،والبرامج التمثيلية والغنائية والموسيقية، وما شابه ذلك ومن هنا نجد أن العولمة ليست نظاماً اقتصادياً وحسب، بل ترتبط ارتباطاً عضوياً مع وسائل الاتصال الحديثة التي تنشر فكراً معيناً، وثقافة معينة، يمكن أن نطلق عليها اسم ثقافة الاختراق

وعلى الرغم من إقرار المجتمعات الإنسانية على مر التاريخ بوجود تمايز ثقافي فيما بينها، فثمة اتجاه سائد الآن تقوده الولايات المتحدة الأمريكية يدعو إلى إنكار هذا التمايز،على اعتبار أن التدفق الإعلامي عبر الحدود، وثورة المعلومات من شأنها نشر ثقافة كونية واحدة وتبرز قضية الهوية الثقافية بمجرد حديثنا عن الانتقال عبر الحدود خاصة في مجال المعلومات والأفكار والاتجاهات والأنماط السلوكية.

ولقد لعبت ثورة الاتصالات دوراً أساسياً في إحداث هذا التأثير الثقافي؛ فبدلاً من الحدود الثقافية الوطنية والقومية، تطرح أيديولوجيا العولمة حدوداً أخرى،غير مرئية، ترسمها الشبكات العالمية، بغرض الهيمنة على الأذواق والفكر والسلوك وقد أدى استخدام القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية الإنترنت، إلى تقلص دور الكلمة المكتوبة لحساب الصورة المرئية، ولهذا الأمر أهميته البالغة، لأن الكتاب مثلاً كان يخاطب النخبة في حين يتسع جمهور الصورة ليشمل مختلف شرائح المجتمع، ولأن الكتاب كان يتوقف أحياناً عند حدود الدول،وقد لا يسمح له بالدخول إليها، في حين تتخطى الصورة جميع الحدود السياسية والحواجز الجمركية وما يُقال عن الكتاب، يُقال أيضاً عن الصحف والمجلات وغيرها من المواد المكتوبة.

إن أكثر ما يلفت الانتباه من ظواهر العولمة في المجال الثقافي، هو المدى الذي بلغته الثقافة الشعبية الأمريكية من الانتشار والسيطرة على أذواق الناس في العالم فقد أصبحت الموسيقى وبرامج التليفزيون والمسلسلات والأفلام السينمائية الأمريكية، منتشرة في أرجاء العالم، كما أن النمط الأمريكي في اللباس والأطعمة السريعة والمشروبات وغيرها من سلع الاستهلاك انتشرت على نطاق عالمي واسع وصارت اللغة الإنجليزية لغة عالمية،وانتشرت اللهجة الأمريكية، على وجه الخصوص،انتشاراً واسعاً ومن أسباب هذا النفوذ الثقافي الواسع سيطرة الاقتصاد الأمريكي بوصفه سوقاً مستوردة ومصدرة، وهيمنة شركات الإعلان الأمريكية على التسويق العالمي، ولما للولايات المتحدة من تفوق واضح على منافسيها الاقتصاديين في المجالات الثقافية الشعبية ،وعلى الأخص في صناعتي السينما والموسيقى ويبدو أن الولايات المتحدة تعتمد في نشر نمطها الثقافي على تفوقها التقني وهيمنتها السياسية والعسكرية والاقتصادية،معرضة مقومات الهوية الثقافية للمجتمعات الأخرى إلى خطر الذوبان، وهو ما يدعونا إلى الاعتقاد أن الثقافة الكونية المُعَوْلَمَة ليست إلا نتاجاً لثقافة مُهَيْمِنَةٍ هي ثقافة الغرب وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية وليست نتاجاً لتفاعل الثقافات الأخرى وتضافرها وتناظرها ٠

وتجدر الإشارة إلى أن عملية الأخذ والاقتباس من الآخر لا يمكن أن تفرز لنا كياناً متطابقاً تمام التطابق مع هذا الآخر فعلى الرغم من هذا الاحتكاك الذي يحدث بين المجتمعات الأوروبية، نجد أن طبيعة المجتمع البريطاني مثلاً تختلف عن الفرنسي، وكلاهما يختلفان عن الإيطالي، سواء في النظام السياسي أو الاقتصادي أو السلوك الاجتماعي أو الفكر والثقافة ويظهر هذا الاختلاف بوضوح أكبر عندما نقارن بين الولايات المتحدة واليابان، فرغم اعتناقهما لنفس النظام الاقتصادي والسياسي، ومع غلبة مظاهر المجتمع الصناعي الحديث في كل منهما، فإن شكل الحياة وقيم المجتمع في اليابان ليست متطابقة مع تلك السائدة في الولايات المتحدة ويرى البعض أنه لا يوجد دليل على أن العولمة بالضرورة تهدف إلى محو الهويات الثقافية المتعددة، لأن العولمة ليست بحاجة إلى فرض نظام ثقافي موحد على مستوى العالم،ومن المستحيل محو التعدد الثقافي في العالم مهما خطَّط المُخَطِّطون فالاحتكاك بين الحضارات، والأخذ والعطاء، والتأثير والتأثر، لا يؤدي على الإطلاق إلى ذوبان هذه الحضارات في حضارة واحدة، حتى ولو على المدى البعيد ونحن لا نعتقد في إمكانية وجود ثقافة عالمية واحدة، وليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام مثل هذه الثقافة ويعرف عالمنا اليوم، كما عرف طوال التاريخ، ثقافات متعددة متنوعة، لكل منها خصائصها، ويحرص أصحابها على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة٠

والذين يرفضون العولمة ويرون فيها خطراً على الأفراد وعلى الأمة، إنما ينظرون إلى أنها تمثل ثقافة الولايات المتحدة الأمريكية على وجه التحديد،لذلك أطلقوا عليها اسم الأمركة وقد رفضت أوروبا هذه الأمركة، لذلك نجدها تحصن نفسها بالاتحاد الأوروبي حتى تتمكن من منافسة الولايات المتحدة، ومع ذلك، خشيت بعض دولها على ثقافتها وعلى لغتها من أن تطغى عليها هذه الثقافة الوافدة وكان من هذه الدول، فرنسا واليونان اللتان هاجمتا الولايات المتحدة هجوماً عنيفاً في المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية الذي نظمته اليونسكو في المكسيك سنة ١٩٨٢م، حتى إن فرنسا امتنعت عن التوقيع على القسم الخاص بالسلع والمواد الثقافية من اتفاقية الجات ٠

والخوف من الغزو الثقافي الأمريكي لم يقتصر على دول العالم الثالث التي توصف بأنها بلاد نامية، بل وجدناه يسيطر على دول كاليونان وفرنسا وبعض الدول الأوروبية الأخرى وإذا كان هذا هو موقف هذه الدول من العولمة، وهي دول تنتمي إلى نفس الحضارة التي تنتمي إليها الولايات المتحدة الأمريكية، فكيف تكون الحال مع شعوب العالم الثالث التي تختلف عن هذه الدول الغربية في الجوهر والكيان، وقد تصل ثقافاتها معها إلى حد التناقض؟٠

ومن اللافت للنظر أن دول الغرب، خاصة الولايات المتحدة، التي تنادي بالديمقراطية والتعدد، والرأي الآخر، وحرية العقيدة والتعبير، تصادر في نفس الوقت كلَّ ذلك وتلغيه حين تحاول أن تفرض على غيرها نمطاً واحداً من ثقافة واحدة، هي ثقافتها التي ترى أنها الوحيدة الصالحة للعالم،وبذلك تدمّر الخصوصيات الثقافية للشعوب الأخرى وتفرض عليها ما يخالف عقيدتها ويسلبها هويتها ففي وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مثلاً، نجد الكثير من البنود التي تصادر الرأي الآخر، وفيها إهدار لحقِّ الشعوب في أن تعيش وفق ثقافتها وعقيدتها، مما جعل البعض يرى فيها تعميماً لفكر غربي، وفرضاً للثقافة الغربية ومن هذه الوثيقة وغيرها من الوثائق والاتفاقيات والمعاهدات ندرك أن ديمقراطية الغرب تتناقض مع نفسها أحياناً، وتتنكر لدعوتها، حين لا تسمح بالتعدد والرأي الآخر وحرية العقيدة، عندما تفرض وجهة نظر واحدة وثقافة واحدة ٠

أثر العولمة على الهوية العربية الإسلامية:

العولمة ظاهرة أفرزتها ثورة الاتصالات وتقنية المعلومات في ظل النظام العالمي الجديد، الذي أتاح للولايات المتحدة ودول الغرب السيطرة الكاملة والهيمنة على العالم، في كافة المجالات وقد اهتم المفكرون بهذه الظاهرة وما يترتب عليها من ونتائج تؤثر على الناس في شتَّى مناحي الحياة،وبصفة خاصة، على هويتهم وعندما نذكر مصطلح العولمة ، أو نسمعه، فالذهن يتجه فوراً إلى الكونية، أي إلى الكون أو العالم الذي نعيش فيه، ومن هنا ندرك أن المصطلح يعبر عن حالة من تجاوز الحدود السياسية الراهنة للدول إلى آفاق أكثر اتساعاً تشمل العالم بأسره وهذا يعني تنازل الدولة الوطنية، أو حملها على التنازل عن حقوقها، لصالح العالم، أو بعبارة أدق، لصالح المتحكمين في هذا العالم وتحَكُّم الولايات المتحدة الأمريكية في أكثر من ٦٥% من وسائل الإعلام العالمية، ساعدها إلى حد بعيد في نشر الطابع الأمريكي ولما كان من اليسير على الولايات المتحدة نشر القيم والمبادئ الأمريكية، لامتلاكها وسائل القوة الاقتصادية والعسكرية، كان من البديهي أن تسخر هذه العولمة لصالحها فالعولمة هي هذا النظام العالمي الجديد، أحادي القطب، يدور في فلكه كافة دول العالم، ويسيطر اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وعسكرياً وتكنولوجياً وتلعب فيه الولايات المتحدة دوراً فاعلاً ومحركاً وأساسياً٠

وتركز بعض الكتابات العربية التي تعرضت للعولمة على المخاوف المتوقعة من غزو العولمة الثقافية وتهديد موجاتها المتدفقة للهوية العربية الإسلامية أو الهوية الثقافية القومية وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الهوية الثقافية القومية الذي يعنينا هنا، والذي يُقصد به الهوية المشتركة لجميع أبناء الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، لا يعني قط إلغاء ولا إقصاء الهويات الوطنية القطرية ولا الهويات المحلية والطائفية إنه لا يعني فرض نمط ثقافي معين على الأنماط الثقافية الأخرى، المتعددة والمتعايشة، عبر تاريخنا المديد داخل الوطن العربي الكبير وتعتبر اللغة من أهم العناصر التي تُشَكِّل هوية أية جماعة وأي وطن، وهي التي تطبع هذه الهوية بطابعها الثقافي المميز واللغة العربية هي اللغة المشتركة التي يتحدث بها جميع أبناء الأمة العربية ، وهي لغة التراث المشترك،ولغة العلم والثقافة، وبالتالي لغة والحداثة إنها الرابطة المتينة التي توحد بين مستويات الهوية في الوطن العربي، وهي الأداة التي بها يمكن للعرب الدخول في العالمية وتحقيق الحداثة ويمكن للغة العربية إذا أردنا أن تكون جسراً تعبر عليه ثقافات الشرق والغرب، فينتقل إلينا بواسطتها ما وصل إليه الآخرون من تقدم علمي وتكنولوجي ، ويكون دَوْرُنا الأهم في تفعيل حركة النقل والترجمة هو دقة الاختيار والتركيز على ما يفيد خططنا ولقد أنفقت اليابان عشرات المليارات على حركة الترجمة لتضع شعبها ومؤسساتها الأكاديمية على قدم المساواة معرفياً مع العالم الذي كانت تقوم عليه العولمة المعاصرة فهل يمكننا أن نفعل شيئاً شبيهاً بما فعلته اليابان في هذا المجال؟٠

إن الثقافة العربية بمختلف مستوياتها المادية والروحية تتميز بنوع من الثنائية، التي طبعتها منذ ما يقرب من قرنين، نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية، وهي ثنائية التقليدي والعصري التي كرست الازدواج والانشطار داخل الهوية الثقافية العربية وليست العولمة وحدها هي المسئولة عن نشر ثقافة دون أخرى في عالمنا العربي، وليست هي التي تقود معركة الغزو الثقافي،لأن جميع تكنولوجيات الاتصال في بيوتنا مفتوحة على العديد من محطات الإذاعة والقنوات الفضائية العالمية، والشبكة العنكبوتية الإنترنت وغيرها، ولم نعمل شيئاً في سبيل وقفها وهذا يعني أن ما يسمى بالغزو الثقافي للعولمة لا يتضمن أي نوع من الاقتحام القسري بواسطة قوة خارجية تقوم بانتهاك خصوصيتنا أو الاعتداء عليها وليس بالضرورة أن كلَ ما يهجم على هويتنا العربية والإسلامية قادمٌ إلينا من الخارج، فإن الذين يتابعون منّا القنوات الفضائية الأجنبية، والشبكة العنكبوتية الإنترنت، والمجلات والجرائد والكتب الأجنبية الخليعة،لا يزالون قلّة لكن الوسائل التي اخترقت كياننا وثقافتنا ووصلت إلى أبنائنا وبناتنا،صغاراً وكباراً، في بيوتنا ومؤسساتنا ، هي من صنع أنفسنا وتتمثل هذه الوسائل في بعض الإذاعات والقنوات الأرضية والفضائية العربية وعدد غير قليل من الصحف والمجلات التي تفاجئنا وتفجعنا بتقديم أكثر البرامج والكتابات والصور تهتّكا وبُعداً عن قِيَمنا الإسلامية وثقافتنا العربية ومع ذلك فإنه يتعين علينا أن نوجِد لدى جماهيرنا وعي بأن يختاروا من بين الصور والرسائل الإعلامية المختلفة ما يتفق مع قيمنا الدينية ومثلنا الأخلاقية ومعتقداتنا الاجتماعية

وتوجهاتنا السياسية، وبمعنى أعم وأشمل، ما يتفق مع ثقافتنا القومية دون أن نغالي في الحديث عن مساوئ العولمة وآثارها الضارة المدمرة وعلينا أن نوجِد آلية نتعامل من خلالها مع الجوانب السلبية للعولمة بالشكل الذي يحفظ للأمة العربية هويتها ويضمن لها مكانتها بين الأمم ويساعد على تحقيق آمالها، ويؤكد الحفاظ على حقوقها الكاملة في السيادة والتقدم والتعاون العادل المثمر بين الشعوب.

إن الأمة العربية والإسلامية لديها مقومات النهوض الثقافي والفكري، لكنها تحتاج إلى إرادة قوية قادرة على تفعيل هذه المقومات، ويمكنها وضع الآليات التي تستطيع من خلالها تنفيذ استراتيجيتها حتى نحتل موقعاً يرضينا على الساحة العالمية وإذا سلَّمْنا بأن العولمة هي واقع قائم لا مفرّ منه، بسبب ما يشهده العالم من تغيرات متلاحقة وسريعة في مجال الاتصال والتكنولوجيا، فالخيار الذي نأخذ به هو التعامل مع معطيات العولمة بصورة جادة وواقعية،و نحاول أن نأخذ موقعًا ملائماً في هذا العالم، دون أدنى تفريط في هويتنا وثوابتنا ونعي أن لكل إنسان مصالحه الخاصة، فكما أن لدينا مصالحنا، فلدى الآخرين مصالحهم في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والإعلامية وغيرها، وهم يعملون جاهدين على تحقيقها ولا نستطيع أن نوقف الآخرين عن تحقيق مصالحهم، لكن ما نستطيع أن نفعله هو التصميم على مواكبة العصر، والأخذ بما تصل إليه أيدينا من تقدم علمي وتكنولوجي ويرى المسلمون أن العولمة بمعنى التسليم للهيمنة الغربية،

وفرض التبعية للغرب، والسير تحت لوائه، أمر مرفوض تماماً ويعتقدون أن العولمة بالمفاهيم الغربية، ضد الدين الإسلامي الذي يفضحها ولا يقبلها ، وهم يرون في هذه القضية نوعاً من التحدي: فإما نكون أو لا نكون ويرى أصحاب هذه النظرة أن الأمة إذا قبلت أسس العولمة الغربية تكون قد فرطت في دينها، وإذا تمسكت بدينها فلا يجب أن تقبل شيئاً من هذه العولمة ، لما تجلبه من سلبيات وأخطار وإذا كان الأمر كذلك، فما العمل إزاء سلبيات العولمة وأخطارها التي يرى فيها البعض تهديداً للهوية الثقافية العربية والإسلامية؟ يرى البعض أن التعامل مع الغرب لا يمكن أن يتم بالاختيار والانتقاء، فإما أن نأخذ عن الغرب كل شيء، فنصبح غربيين أو أشبه بالغربيين، أو أن ندير ظهرنا كلية للغرب حماية لأصالتنا ونقائنا ومن الطبيعي أن تتفاوت وجهات النظر تجاه المواقف التي ينبغي تبنيها فيما يتعلق بالتعامل مع الغرب أو بالانفتاح على الآخر، وما ينجم عن ذلك من تأثيرات أجنبية تهدد هويتنا الثقافية وهناك موقفان سائدان، هما:

١ موقف الرفض المطلق وسلاحه الانغلاق الكلي الذي يُوَجَّه إلى الذات٠

٢ موقف القبول التام للعولمة وما تمارسه من اختراق ثقافي، أي الارتماء في أحضان العولمة والاندماج فيها ٠

وتجدر الإشارة إلى أننا لا نقلل، ولا نهوّن من الخطورة التي يمكن أن تلحقها العولمة الثقافية بهويتنا بوجه خاص، وبالتنوع الثقافي بوجه عام، لكننا في نفس الوقت، لا نميل إلى المبالغة في ذلك وحتى لا نُصاب بالجمود، فنتخلف عن مواكبة هذا التطور العلمي المتسارع من حولنا، يجب أن نتقبل الجديد، ونسعى إليه، مع المحافظة على هويتنا الثقافية بعيداً عن التعصب والانغلاق وإذا كانت ثقافتنا العربية تعاني اليوم من الثنائية والانشطار، ومن الاختراق الثقافي بفعل العولمة، فإن ما يجب أن نفعله هو الانطلاق من الداخل، أي من داخل ثقافتنا العربية نفسها، لأنه من المؤكد أنه لولا الضعف الداخلي لما استطاع الفعل الخارجي أن يمارس تأثيره بالصورة التي تجعل منه خطراً على الكيان والهوية والعولمة الثقافية ليست دائماً عدواناً مقصوداً مخططاً له، يُوَجَّه إلينا لاستلابنا حضارياً وثقافياً ويجب ألا نتعامل مع العولمة الثقافية من موقف التوجس والرفض والعدوانية دائماً، لأننا بذلك نكون قد شجعنا التقوقع والتراجع إلى الذات دون أن نستفيد من التفاعل الحضاري الضروري لتطور الثقافات وتطور الحضارات ولا بد أن نعي ونعترف أن في أوربا وأمريكا علماء ومفكرون اجتماعيون وسياسيون واقتصاديون، لهم مكانتهم وأثرهم في الفكر الإنساني وفي تطوير العلم والمعرفة، ولهم نتاج جدير بأن نطّلع عليه ونستفيد منه إذا أردنا لأنفسنا ولأمتنا أن نسير في ركب التقدم وأن نشارك في موكب الحضارة والعلم وليست الحياة في الغرب على النحو الذي تنقله لنا القنوات الأرضية والفضائية من مظاهر العُرْي الفاضح، والتهتّك،

وإنما فيها أيضاً من التستّر والاحتشام والتدين والعمل الجاد والسعي الدائب، بالقدر الذي أوصلهم إلى ما هم فيه الآن لذلك، يجب علينا أن نوجِد الآلية التي نختار بها ما لا يتعارض مع عقيدتنا وهويتنا، وأن نُكَوِّن الفكر الذي نستطيع به التعامل مع الفكر الآخر، الفكر الناقد الذي يستطيع أن يختار ما يناسبه ويطرح بعيداً ما لا يناسبه.

الليبرالية وتمييع الهويات:

لا يخفي على أحد أن الليبرالية صنيعة غريبة، وهي آخر منتج خارج من دولاب الفلسفات والمذاهب الغربية، وهي بحق أنضجها، حيث جاءت بعد عناء طويل تعددت فيه السقطات والإخفاقات، جاءت الليبرالية لتصلح ما أفسدته أنظمة كثيرة كالشيوعية والرأسمالية، والعلمانية وغيرها من المذاهب والفلسفات الغربية ومن جانب آخر جاءت لتحل محل الهويات المناوئة للهوية الغربية، وفي محيطنا العربي والإسلامي سعت الليبرالية منذ أن حطت رحالها إلى تذويب الهوية الإسلامية، ومحو معالمها.

فجاءت على عكس القومية لتجعل من المجتمع الواحد مجتمعاً مهترئاً ، لا رابط بين أفراده، ولا هم ولا قضية تجمع بينهم، فلا حاكم لأصحابها إلا الغريزة، ولا هدف لهم إلا الانفكاك من كل قيد، والأخطر من ذلك أنها سعت إلى إماتة كل العصبيات والهويات الصالح منها والفاسد، فبالإضافة إلى سعيها إلى القضاء على الهوية القومية والوطنية؛ قضت على الهوية الإسلامية، ومن ثم قضت على الشعور بالعداء نحو أي محتل، وأصدق مثال على هذا ما حدث في العراق وأفغانستان حيث وجدنا هذا الصنف من المفكرين من أوائل من ارتمى في أحضان الغزاة، وزينوا لهم أعمالهم بحجة الإرهاب، ونشر الديمقراطية.

البحث العلمي العربي في عصر المعلومات

لقد أصبح العقل شاغل الجميع بعد أن أصبح مصير الأمم والشعوب رهنا بنتاج العقول، وقدرة أصحابها على مواجهة القوى الاجتماعية الحاكمة: السياسية والاقتصادية والعسكرية، وكذلك القوى الرمزية التي يلعب فيها العلم دوراً رئيسياً وحاسماً،وإن كانت حكمة الماضي قد علمتنا أن المعرفة قوة، فقد أثبتت لنا حقائق الحاضر أن القوة أيضاً معرفة، فالقوة قادرة على توليد معرفة تخدم غاياتها، وتبرر ممارساتها وتؤازر أساليبها في إحكام قبضتها على المصادر والمصائر، وتأتي معرفة عصر المعلومات لتجسد المغزى الخطير لكون المعرفة قوة؛ فلم يعد ذلك هاجساً عابراً يثير القلق، بل واقعاً جاثماً يثير الذعر ويهدد مصير كوكبنا الهش الذي يشكو من التصدع ويزخر بالصراع،وهو أمر يتطلب تحليلاً دقيقاً لعلاقة تكنولوجيا المعلومات بالعقل صانع هذه المعرفة.

إن معرفة الحاضر تواجه الأزمات على جميع الجهات، فعلوم الإنسانيات باتت في أمس الحاجة إلى منهج جديد يخلصها من تبعيتها المنهجية لعلوم الطبيعيات، التي تواجه أزمة منهجية لا تقل حدة، والتي تعود أساساً إلى عجزها عن تناول ظاهرة التعقد، والفن الذي هو نوع من المعرفة يواجه أزمة عنيفة، وما أكثر ما واجه الفن من أزمات في الماضي إلا أنها لا تقاس بالأزمات التي فجرتها تكنولوجيا المعلومات في جميع أرجاء منظومة الإبداع الفني: على مستوى المبدع والمتلقي والعمل الفني ذاته ٠

خلصت دراسة حديثة لليونسكو إلى أن الفكر السياسي قد تخلف، وهناك بون شاسع بين خيالنا السياسي وخيالنا العلمي، وبالقطع لم يصب الخمول فكرنا السياسي دون سواه، ففكرنا الاجتماعي مازال يحوم حول أطلال ماكس فيبر ودوركايم وكارل ماركس؛ عاجزاً عن فهم طبيعة مجتمع المعرفة، وفكرنا الاقتصادي مازال أسير اقتصاد الكازينو يسعى دون جدوى لمد نموذج اقتصاد عصر الصناعة ليشمل الاقتصاد الجديد، اقتصاد عصر المعلومات، وأخيراً وليس آخراً، مازال فكرنا التربوي يقف حائراً غير قادر على استيعاب ما تعنيه نقلة التعلم عن بعد، والتعلم مدى الحياة، فمازال أسير ما خلفه له تعليم عصر الصناعة ذو طابع إنتاج الجملة، القائم على تجنيس العقول وقياسها ، وهو الطابع الذي ينكر على الصغار إبداعهم، ويخرس أفواه الكبار لينضموا تباعاً إلى جحافل الأغلبية الصامتة٠

العولمة ودورها في أزمة الثقافة العربية:

لاشـــك أن التغيرات والظروف التي اجتاحت البشـــرية في العقود الأخيرة من القرن الماضــي طالت وأصــابت ســهامها كل مناحي الحياة مما أدى إلى دفع الإنســـانية إلى الدخول في مرحله جديدة من مراحل تاريخها وهو ما أطلق عليه العولمة أي كان لها دور كبير في إخراج كثير من القضايا من أفقها المحلي الضيق إلى إطار أوسع وعالم رحب فســيح لتكون متاحة أمام العالم أجمع دون قيود أوحواجز موانع تعيق مسيرتها وتحولاتها ولاشك أنها بتجلياتها المختلفـــة فرضت على المجتمعات الانفتاح والتلاقي متناسيه خصوصيات الشـعوب مما أحدث سـجالاً عميقاً بين الأفراد سـواء على مسـتوى النخب أو على مسـتوى العامة مابين رافض وبشدة للعولمة باعتبارها طمس لهويه وخصوصية الأمم والشـعوب وتذويب لقيمها ومبادئها على حسـاب نشـر قيم غريبة عنها وصبغ العالم بصبغه واحدة لا ثاني لها هي الصبغة الغربية ،وما بين مقبل على العولمة بنهم وشـــغف دون أدنى تحفظ على كل أو جزء من تجلياتها ،فأحدث ذلك سجالات كثيرة على المستويات كافه ما زالت أحداثها تدور إلى هذه الســـاعة ويصـــعب القول أن منطقتنا العربية والإسـلامية بعيدة عن العولمة وتجلياتها لأنها أصـبحت واقعاً مفروضـاً لا يســتطيع أحد التعامي عنه والانكفاء على ذاته لان ذلك ســيلحق به أقصي ضرر لأن قافلة الحضارة الإنسانية تسير بسرعة فائقة ويكفي أن نعلم أن التطورات التقنية التي حدثت في العـــالم في العقـــد الأخير من القـــــرن الماضي تعادل ما حققته البشرية على مدى قرن كامل وأكثر من ذلك لذا فان التقوقع على الذات صعب وشاق في ظل هذه الظروف

،وما يهمنا في هذا كله هو الأزمه الثقافية التي نعيشـــها وما هو دور تطورات العولمة وتطور وسـائل تكنولوجيا المعلومات ونظم الاتصـال والمواصلات في تشكيلها التحدي الأكبر للثقافة والمثقف العربي وتعتبر وحدة اللغة عنصـر هام من عناصـر الوحدة القومية وهى أكبر عامل يولد في نفوس الناس إرادة الانتظام في أمة واحدة، وإذا كان الإنســان يتميز عن الحيوان بأنه مدني اجتماعي وناطق مفكر ، فالشـعوب تتميز بعضـها عن بعض بأن لكل منها لغة خاصـة تتكلم بها، فلاشـك أن اللغة هي أقوي رباط معنوي بين الأفراد ، وكما قالوا فاللغة أصـوات يعبر عنها كل قوم من أغراضهم ،ومعني هذا أن لكل قوم لغتهم ، ومتي تفاهم الأفراد بلغة واحدة تقارب تفكيرهم، ونشـأ فيهم شـعور بالتعاطف، قلما ينشـأ مثله بين أفراد يتكلمون لغات مختلفة ، وهذا التعاطف أمل عظيم في جعل المتكلمين لغة واحدة يؤلفون أمة واحدة ، ولما كانت اللغة هي عماد الثقافة للأمة ، والثقافة بالنسبة للأمة هي الروح بالنسبة للإنسان ، لذلك يذهب البعض إلي أن الأمة ليست ملايين من البشر ، يعيشون علي نفس الأرض أو يرجعون لأصـل واحد فحسـب ، بل وحدة من الفكر والشعور، والإرادة ، والعمل ، ومن أجل المشاركة في الفكر والشعور والإرادة والعمل، لابد أن يكون هناك اتصـال بين أعضـاء الجماعة القومية ، ومن ثم كان للغة أهميتها وأثرها كأداة فعالة في تشكيل الوحدة القومية ٠

نماذج للآثار السلبية للعولمة على الهوية

أمريكا لا تهدف إلى تطبيق قيمها فحسب، بل إنها تنطلق من مصالحها المجردة من المبادئ والتي تكيل بمكيالين وتشكل خطورة عظيمة على القيم والأخلاق والهويات لا سيما الإسلامية وهذه أمثلة:

يحرم الشيشان من الإنفصال عن روسيا ويجبر أهل تيمور على الانفصال من اندونيسيا بتدخل من استراليا ودعم الغرب وكذلك تنفصل تماماً دول البلطيق وجورجيا من روسيا بينما الدول الإسلامية فاستقلاها غير كامل ودية الأفغان الذين قتلوا في عرس ٢٠٠ دولار وقد اعترفت أمريكا بالخطأ بينما من قتل في لوكيربي ١٠٠٠٠٠٠٠ دولار أي ٥٠٠٠٠ ضعف ٠

فالعولمة تترك أمريكا تُهاجَم دولة ذات سيادة حتى دون إذن من الأمم المتحدة لشبهة أسلحة الدمار الشامل، وتُترَك دولة قريبة منها تمتلك أسلحة دمار شامل وتحتل أرض غيرها مخالفة لقرارات الأمم المتحدة ٠

أمريكا تمارس دوراً منفرداً حيث تدعم إسرائيل، وترفع الفيتو بعد الآخر لتتمكن من العدوان، وتعتدي على العراق بحجج واهية وحتى دون موافقة مجلس الأمن التي لها أكبر نفوذ فيه، وتأخذ المعتقلين من أفغانستان إلى جوانتنامو دون محاكمة عادلة، وتحارب الجمعيات الإسلامية وترهبها وتجمد أموال من تريد منها دون أدلة ٠

المنظمات الفلسطينية المقاومة للاحتلال إرهابية، والمحتل مدافع عن نفسه، والجماعات الإسلامية في أفغانستان المقاومة للاحتلال الأمريكي وحكومته إرهابية، بينما كان الوضع إبان الاحتلال السوفيتي وكانت تلك الجماعات مقاومة مشروعة مدعومة، مما يعني وجود اختلال حاد في موازين العالم تحت إمرة الحضارة الغربية الصليبية الصهيونية ٠

وهذا صمويل هنتجنتون في صدام الحضارات يدعو للتعصب للحضارة الغربية ومحاربة ما عداها لاسيما الإسلامي، وهو في كتابه مرة بعد مرة يمارس تحريضاً على الإسلام وتخويف الأوروبيين منه، للإنضواء تحت أمريكا والغرب وإشعال فتيل التعصب الديني ٠

وهذا ما حدا بتوم فريدمان للقول: نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة، والولايات المتحدة قوة مجنونة، نحن قوة ثورية خطرة، وأولئك الذين يخشوننا على حق وفي آخر سنة ٢٠٠٣م كانت استطلاعات الرأي في أوروبا أن أمريكا ثم إسرائيل تمثل أكبر خطورة على السلام العالمي٠

فالعولمة هجمة صهيونية شرسة لا تتقيد بالمبادئ، وفي أحسن أحوالها أمركة وتغريب ما لم نقم بدور فعال لتخفيف آثارها والتأثير فيها، وهي حتى لكثير من الغربيين ليست خير للعالم حتى في الجانب الاقتصادي الذي يبشر به البعض، حيث نجد أن هانس بيتر مارتين في كتابه الشهير فخ العولمة الذي ركز على العولمة الاقتصادية، يؤكد أن العولمة فخ كبير مليء بالأكاذيب

وهي في النهاية تزيد الفقراء، ونجد في الفصل الخامس من الكتاب على سبيل المثال عنوان أكاذيب ترضي الضمير أسطورة الميزة على استقطاب الاستثمارات وخرافة العولمة العادلة كما أن الشعوب حتى الغربية تخرج في مظاهرات شعبية عارمة معارضة لكل مؤتمرات العولمة لما يرونه من إضرار بهم ٠

ونجد أن الغرب لا يسعى لنشر قيمه الاجتماعية فحسب رغم عدم الاقتناع الواسع بها كقيم، بل إنه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب، حيث توالت مؤتمرات المنظمات الدولية بهذا الخصوص، مثل مؤتمر نيروبي عام ١٩٨٥م، مؤتمر القاهرة عام ١٩٩٤م، ومؤتمر بكين عام ١٩٩٥م، ومؤتمر اسطنبول عام ١٩٩٦م، ثم مؤتمر نيويورك عام ١٩٩٩م، ثم مؤتمر بكين، ثم نيويورك أيضاً عام ٢٠٠٠م، ومحور هذه المؤتمرات يدور حول الأسرة والمرأة والطفل، مركزاً على الحقوق الجنسية،والحق في الإنجاب والإجهاض، والشذوذ، وقضية المساواة بين الرجال والنساء، والمساواة في الميراث إلخ، وكل هذا من منظور الثقافة الغربية العلمانية المادية الإباحية التي تبيح الزنى واللواط وتمنع تعدد الزوجات ٠

والفصل السابع من وثيقة مؤتمر السكان يتحدث عن هذه الإباحية الجنسية ، فيقول: إنها حالة الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة،المنطوية على أن يكون الأفراد لاحظ تعبير الأفراد من جميع الأعمار أزواجاً وأفراداً فتياناً وفتيات، مراهقين ومراهقات، قادرين على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة لاحظ عدم اشتراط الحلال والشرعية هي كالغذاء، حق للجميع، ينبغي أن تسعى جميع البلدان لتوفيره في أسرع وقت ممكن، في موعد لا يتجاوز عام ٢٠١٥م أي أنه أكثر من مباح، فالسعي لتحقيقه بجميع البلدان في أسرع وقت ممكن، وقبل سنة ٢٠١٥م، واجب على جميع البلدان بل ولا تكتفي هذه الوثيقة بذلك، وإنما تتجاوز إباحة هذه الإباحية إلى حيث تدعو للتدريب والترويج والتعزيز لهذا السلوك الجنسي المأمون والمسئول ٠

ونجد ممارسات منفردة، حيث نجد أن أمريكا تضغط تارة باسم حقوق الإنسان التي أهدرتها في أبى غريب وجوانتامو ومذابح أفغانستان وقصف الفالوجة وتارة باسم الديمقراطية والحرية لتمرير ما تريد على دول العالم التي لا توافقها بينما الحرية والديمقراطية الغربية والقانون الدستوري جعل الغرب يسقط نتائج الانتخابات في تركيا والجزائر ونيجيريا لأن الناجحين مسلمين٠

للأسف الغرب حريص على فرض قيمه الاجتماعية والثقافية وعولمتها وهى تمثل أسوأ ما عنده بينما لا يسعى إلى عولمة العلم والتقدم حيث يجب الاحتفاظ به ومما يزيد خطورة العولمة ضعف العالم الإسلامي وهزيمته أمام الغرب وهذا ما يزيد اختراق العولمة الثقافية للهوية، كما قال ابن خلدون المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده فضلاً عن أن العولمة تحمل فكرة استبداد القوي الذي يسخر إرادات الشعوب الضعيفة لصالحه، وتكمن في فكرة سيطرة المهيمن على الاقتصاد العالمي والقوة العسكرية والإدارة السياسية على شعوب العالم الفقيرة، بل والسعي لإفقار ما ليست فقيرة، وتكمن كذلك في فكرة الإذابة التي يقوى عليها من يمتلك أدوات الاتصال والتحكم بها، وبالمعلومات وبإنتاجها،وتدفقها دون مراعاة لثقافات الشعوب وحاجاتها وخصوصياتها وإمكاناتها كما أن ما يزيد خطورة العولمة ذراعها الإعلامي الخاضع للسيطرة الصهيونية والتي تمسك بخيوطها، تسير هذه القوة في السيطرة مع القوة الغاشمة العسكرية في فرض العولمة على الآخرين، فوظيفة المنظومة الإعلامية هي أن تتسلى وتتلهى وتعلم وترسخ القيم والمفاهيم والمعتقدات وأنماط السلوك الأمريكي على الآخرين، كما يرى أحد الخبراء الأمريكين، ولتحقيق ذلك صارت ميزانية الإعلام موازية تماماً لميزانية الدفاع في بعض الدول، فإحصاءات عام ١٩٨٦م تقول إنه بلغ رقم اقتصاد الإعلام في الغرب والاتصالات مبلغ ١١٧٥بليون دولار تقريباً منها ٥٠٥ بلايين للولايات المتحدة الأمريكية،و٢٦٧بليوناً للجماعة الأوروبية، و٢٥٣ بليوناً لليابان ، و ١٥٠بليوناً فقط للآخرين في العالم

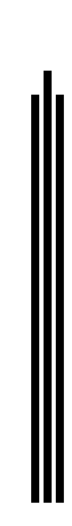
هذه الميزانيات الضخمة للإعلام في الشمال جعلته يتحكم بقوة في الإعلام المتدفق، في اتجاه الجنوب الأمر الذي أحدث خللاً في المنظومة الإعلامية، وقد فشلت جميع الجهود والمبادرات التي بذلت في إطار الأمم المتحدة لوضع أسس لقيام نظام إعلامي جديد يحقق التوازن بين الشمال والجنوب وهناك دراسات كثيرة تبين معاناة شعوب شرقية ليست إسلامية وسائرة في الفلك الغربي كاليابان وكوريا الجنوبية من العولمة ومن الدراسات الميدانية التي تمت لمعرفة تأثير المواد التلفزيون الأمريكي على شباب كوريا الجنوبية قام بها **كانج ومورجان** ومن نتائج هذه الدراسة أن هذه المواد أدت إلى تأثير بالغ على القيم التقليدية الكورية، فأصبحت الفتيات الكوريات أكثر تحرراً من القيم الأسرية والأخلاقية، ويعتقدن أنه لا حرج من الممارسة الجنسية خارج الزواج، وأن ذلك من قبيل الحرية الجنسية، وأصبحن يرتدين الملابس الأمريكية، ويحتقرن العقيدة الكونفوشيوسية٠

كما أننا نجد دولاً كالفلبين وهي دولة تصنف نصرانية سائرة في الفلك الأمريكي حيث نجد في دراسة أجريت على ٢٥٥ طالباً فلبينياً وجد أن التعرض لمواد التلفزيون الأمريكية قد ارتبط إيجابياً بتأكيد هؤلاء الطلاب على قيمتي: المنفعة والمادية، باعتبارهما القيمتين الأكثر أهمية في حياتهم، في حين تدنت لديهم قيم فلبينية أصيلة مثل: الصفح، والتسامح، والتضحية، والحكمة٠

وإذا كانت بعض دول الغرب نفسه أو من هو قريب منها يشكو من أثر عولمة الثقافة على الهوية، حيث نجد أن فرنسا مع أنها غربية نصرانية، لكن بسبب اختلاف اللغة فإنها أكثر الدول الغربية تشكو من عولمة الثقافة ومن هيمنة اللغة الإنجليزية، والخوف على الهوية الفرنسية لذلك لجأ الفرنسيون إلى وضع الثقافة في خانة الاستثناء، لأنهم تنبهوا إلى أن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي تؤدي إلى التغيير التدريجي في معايير السلوك وأنماط الحياة ٠

وهناك دراسة في استراليا وهي نصرانية تتحدث الإنجليزية أي مشاركة للولايات المتحدة في الهوية تقريباً تشكو من مواد التلفزة الأمريكية على الأطفال، لأنها تؤدي إلى فقدان الانتماء وإلى أزمة أخلاقية وغربة ثقافية، وكذلك كندا حيث عبرت وزيرة الثقافة الكندية عن انزعاجها من الهيمنة الثقافية الأمريكية، وتداخلها قائلة: من حق الأطفال في كندا أن يستمتعوا بحكايات جداتهم، ومن غير المعقول والمقبول أن تصبح ٦٠% من برامج التلفزيون الكندي مستوردة، وأن يكون ٧٠% من موسيقانا أجنبية، وأن يكون ٩٥% من أخلاقنا أمريكية ٠

وهذه الأمثلة توفرها مئات الدراسات في أنحاء العالم من خوف المثقفين على هوية شعوبهم من العولمة الأمريكية، ألا يحق لنا كمسلمين ونحن نحمل أعظم عقيدة وخير لسان نزل به القرآن، وأعظم تاريخ بالإضافة إلى القيم الحضارية العالية أن نخشى على تلك الجواهر من أثر العولمة على الهوية إن أخطر ما تحمله العولمة تهديدها لأصل العقيدة الإسلامية، لما تدعو له من وحدة الأديان، وهي دعوة تنقض عقيدة الإسلام من أساسها، وتهدمها من أصلها،لأن دين الإسلام قائم على حقيقة أنه الرسالة الخاتمة من الله تعالى للبشرية، الناسخة لكل الأديان السابقة التي نزلت من السماء، ثم أصابها التحريف والتغيير، ودخل على أتباعها الانحراف العقائدي كما أن العولمة تسعى لإعادة تشكيل المفاهيم الأساسية عن الكون والإنسان والحياة عند المسلمين، والاستعاضة عنها بالمفاهيم التي يروج لها الغرب ثقافياً وفكرياً، فالكون في نظر العولمة الثقافية والفكرية لم يخلق تسخيراً للإنسان، ليكون ميدان امتحان للناس لابتلائهم أيهم أحسن عملاً والإنسان لم يخلق لهدف عبادة الله تعالى وهذه المفاهيم الأساسية للعقيدة الإسلامية، ليست في نظر العولمة الفكرية والثقافية سوى خرافة ٠



الباب الخامس

أزمة الهوية الاسلامية

مفهوم الهوية الثقافية

الهوية هي وعي الناس بأنفسهم وبما يميزهم عن الآخرين وشعور الشخص بالانتماء إلى جماعة أو إطار إنساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات والمكونات الأساسية والسمات المشتركة التي تحدد مفهوم الهوية تتمثل فيما يلي:

١- المشابهة والمماثلة في كل شيء٠

٢- انعكاس فلسفي حول طبيعة التغيير، فالهوية كمعنى للثبات يهدف إلى التغيير أو كوحدة تهدف إلى التنوع٠

٣- البحث عن كينونة الإنسان باعتبار هويته متفردة متميزة عن هويات الآخرين٠

٤- الإنسان لا يعي ذاته إلا بعد أن يعي أن العالم الخارجي منفصل عنه ومختلف عنه٠

٥- الاحساس بماضينا ومستقبلنا والإحساس بالفردية

٦٠ - وعي الناس بأنفسهم وبالآخرين٠

وإذا كانت الهوية تعني شعور الشخص بالانتماء لجماعة أو لإطار انساني أكبر يشاركه في منظومة من القيم والمشاعر والاتجاهات فهي بذلك ترتبط بالثقافة السائدة لعملية التنشئة الاجتماعية والهوية الثقافية مفهوم اجتماعي يشير إلى كيفية إدراك شعب لذاته وكيفية تميزه عن الآخرين وهي تستند إلى مسلمات ثقافية عامة مرتبطة تاريخياً بقيمة اجتماعية وسياسية واقتصادية للمجتمع ٠

وعن أبعاها فـ**للهوية الثقافية أبعاد منها:**

- الثوابت الجغرافية من أرض ووطن وكيان مادي٠

- التأكيد الثقافي للذات من خلال التمسك باللغة والتراث٠

- التراث الروحي وشعور الفرد أنه جزء من هذا المكون الروحي٠

- الانتماء للثقافة يعني شعور الفرد بالوجود ضمن إطارها والاتحاد معها٠

- إحساس داخلي للفرد بالمشاركة والاندماج مع ثقافة معينة والمشاركة بما يملكه٠

- التماسك الاجتماعي والتمسك بالقيم والمعايير والأعراف الحضارية ومقاومة التأثير الخارجي ورفض القيم والأعراف المنقولة من مجتمعات أخرى٠

- التطور الإبداعي للأفراد مع الاحتفاظ بالمكونات الثقافية الخاصة بالجماعة التي تكونت بفعل التاريخ واللغة والقيم السيكلوجية المشتركة وطموحات الغد.

غياب الهوية الثقافية لدى الشباب

تظهر للمتأمل صراحة آثار غياب الهوية الثقافية على حال البلاد الاسلامية العربية التي تمتلك مخزوناً ثقافياً إسلامياً جعل منها إمبراطورية عالمية إبان تخلف الغرب في العصور الوسطى حيث امتلكت الإمبراطورية الإسلامية القوة السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية وكانت مصدر النور الحضاري للعالم أجمع في ذلك الزمان ، وما كان ذلك إلا من اعتزاز المسلم بهويته وشعوره بأنه الأفضل والأجمل لأنه يحمل راية العلم ويتحكم فى الاقتصاد ويمتلك من القوة ما لم تستطع دول العالم المفتوح مقاومته ،فانتشرت الثقافة الإسلامية في بلدان العالم لقرون عدة كان فيها المسلم يشعر بالتفوق ويتمنى الغربي لو ينتمي لهذه الأمة القوية ذات القيم و المبادئ الشاملة الخالدة الفاضلة.

حيث نجد في الفترة الأخيرة من القرن العشرين الكثير من شباب الأمة العربية والاسلامية قد تحللوا من هويتهم الثقافية وتخلوا عن عاداتهم وتقاليدهم التي هي أصل ومنبع الإسلام والعروبة واتجهوا يلهثون وراء تقليد الغرب فى أشياء غير مفيدة وعادات وتقاليد مختلفة وبعيده كل البعد عن أخلاقنا وعاداتنا لنجد الشباب العربي والمسلم غارق في بحر الأفكار الخاطئة والتقليد الأعمى والانبهار المغلوط بالغرب، وتعد دراسة الهوية الثقافية لشباب الأمة أمراً بالغ الأهمية لما يشاهد من سلوكيات بعض الشباب الرافضة لثقافة المجتمع والمتمردة عليها، ومحاولة تقمص ثقافات أخرى لإشباع طموحات معينة،

ومن ثم نجد بين الشباب من يتنكرون لهويتهم الثقافية ويتمردون على خصائصها،وقد يحتقرون عاداتهم وقيمهم وأصالتهم،فنجد من بين الشباب من يتشبث بالإفرنجية لهجة،ومن يشارك الفرنجة عاداتهم في الطعام والشراب والزي ونمط التفكير وأسلوب المعيشة بوجه عام، وقد اخذ هذا التقليد أشكالاً مختلفة كسراويل الشباب ذوات الخصر المنخفض الساقطة إلى أسفل الوسط وقصات الشعر والتسريحات العجيبة والتفنن القذر لقصات اللحية الشاذة والغريبة ودق الوشم وارتدائهم للإكسسوارات الغريبة والعجيبة والحركات النسائية خاصة عندما تجدهم في أروقة الشوارع والأرصفة يتمايلون ويرقصون رقصات عجيبة تدعو للاشمئزاز والحيرة إلى آخر ما هنالك من تلك الصرعات المشاهدة في الشوارع والحدائق والمراكز التجارية التي أصبحت واقعاً في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وفي خضم ما تفرضه تلك التحديات العالمية بأبعادها المختلفة، وما تحدثه من الاقتحام المتعدد الوجوه لأنماط الحياة، لم يعد أمام مجتمعنا الذي يقف متفرجاً ومشدوهاً ولا يدري أين موقعه، فيصبح التساؤل: هل نترك شبابنا يذوب وينصهر في تلك الثقافات الدخيلة؟ أو نتقوقع حول ثقافتنا المحلية ونعزل شبابنا عما يجري من حولهم ونتمسك بالماضي بما لا يقبل المسايرة؟ أم نفتح ثقافاتنا المحلية على الثقافة العالمية دون ذوبان لتأخذ منها ما وصلت إليه من تقدم وازدهار وترفض ما لا يتفق وإرثنا الثقافي أما الأسباب والدوافع فهي كثيرة ومتنوعة ومتشعبة، وربما من أهمها الفراغ الفكري والعاطفي بالإضافة للتشتت بين أصالة الماضي وحداثة المستقبل وعدم إمكانية الجمع بينهما في ظل غياب أو تغييب الدور الرائد لحضارتنا في واقع المجتمعات .

١/ ضعف الوازع الديني: فما أصاب شبابنا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب وعدم فهم الكثيرين منهم لحقيقته وما ذلك إلا لإعراضهم عنه وعدم تفهمهم له وتقصير الكثير من العلماء والأهل في شرح مزاياه وإبراز محاسنه وحكمه وأسراره ٠

٢/ ضعف التربية والتوجيه الخاطئ للأجيال: التربية أساس النشء وموضع ترسيخ للمفاهيم السليمة ونقطة التحول هنا أن يتربى الشاب أو الفتاة على محاولة البحث عن الترفيه والحياة الأمتع بدون قيود واضحة وصارمة فلا غرابة بعد ذلك أن نرى الانجراف الكبير من قبل هذا الشاب نحو المعتقدات الخاطئة ،كلما تقدم به العمر وذلك باعتقاد ربما يكون جاداً منه بأنه يريد أن ينبسط بحياته بعيداً عن الالتزام الديني الذي ربط وللأسف بصورة كاملة بالعادات والتقاليد البالية التي تنفر الجهال منه ، وبعض تلك العادات التي يتبعها شبابنا تندرج تحت الشرك بالله والعياذ بالله ٠

٣/ الإعلام: ومن أخطر وسائل الإعلام وأكثرها تأثيراً في الفرد هذا الفرد الالكتروني الذي أصبح أحد الأفراد المميزين فى العائلة الذي هو التلفاز فترك الأبناء يقضون الساعات الطوال في غسق الليل أمام التلفاز أسرى وعبيداً لا حول لهم ولا قوة ينصتون محلقين بأفكارهم وخيالهم لتلك الفضائيات غير الملتزمة التي تتخذ من الانحلال طريقاً للشباب في ظل الغياب الكامل والمعطل للأدوار التربوية المعهود عنها المسؤولية لهذا الجيل وقد استطاعت الافلام الغربية ومثيلتها من الافلام العربية في غالب الأحيان التسلل إلى عقول وعواطف ومشاعر أفراد المجتمع لاسيما جيل الشباب ، وقدمت النموذج الغربي على وجه الخصوص على أنه النموذج الوحيد للحياة الثقافية والاجتماعية الراقية ولعل أبرز الأدلة لمدى سطوة هذا التأثير ما تبثه القنوات الفضائية العربية من برامج وأفلام ومسلسلات مثل ستار أكاديمي ،الرئيس **Big brothers** وغيرها، التي تلقى رواجاً كبيراً لدى المتلقي العربي في حين أنها تبث الكثير من المفاهيم الخاطئة إلى المجتمع الإسلامي المحافظ كشرب الخمر وعقوق الوالدين والحرية الشخصية دون قيد ولا شرط ودون التفكير فى أصل ما يقومون بتقليده .

كذلك التقدم الراقي المتمثل في شبكة الإنترنت خاصة مع الهواتف المحمولة التي دخلت البيوت دون استئذان حيث أدخلت معها الفساد والانحلال الخلقي بأبشع صوره،فبينما كنا نخاف على الأبناء إذا خرجوا من البيت أصبحنا نخاف عليهم وهم في البيت بيننا، بل في غرف نومهم، فهذا الإنترنت وما أدراك ما الإنترنت؟ يحلق بهم إلى كل أصقاع الأرض من غير رقيب ولا وازع ديني أو أخلاقي يدلهم على الخير، أو يرشدهم إلى الفوائد العديدة من هذه التكنولوجيا التي قربت البعيد ونوعت وعددت وطورت مصادر البحث وآفاق المعرفة.

٤/ انبهار الشباب بالغرب: انبهر الشباب بالحضارة الغربية بسبب التفوق الغربي بالعلوم والصناعة والتكنولوجيا ،فيخلط شبابنا بين القيم الغربية والتكنولوجيا الغربية ويظنون أن الغرب متفوقون علينا في كل شي حتى القيم والتقاليد والعادات لكن الحقيقة الغرب متقدم تكنولوجيا فقط ومتأخر في جوانب أخرى روحية وأخلاقية واجتماعية.

٥ / الإحساس بالنقص وضعف الشخصية: يقول الدكتور طلعت عفيفي عميد كلية الدعوة بجامعة الأزهر: التقليد سبب خلل شخصية المسلم والشعور بالنقص والصغر والضعف والانهزام ثم البعد والعزوف عن منهج الله وشرعه كما أنه مع الأيام يسبب حب وولاء للمقلدين وكم من شبابنا يقلد الغرب في كل شيء، صحيح لديهم جوانب أخرى مميزه لكن المشكلة الكبيرة أن شبابنا العربي المسلم لا يقلدهم في الأشياء المفيدة مثل العلم والطب والفضاء وغيره بل تقليدهم الأعمى ينصب على الجوانب السلبية في الغرب فقط وهذه هي المصيبة التي يجدر بنا التنويه إليها ، فتجد شاب عربي يلبس ملابس غريبة ومضحكه أحياناً ويقول هذه موضة وهذه ملابس الفنان فلان الفلاني،وعندما تنصحهم يقولون لك نحن في القرن الحادي والعشرين ٠

أسباب ضعف هوية الأمة الإسلامية

إن المسار التاريخي أفرز فسحة في البناء الحضاري اسمها القابلية للاستعمار، وهذه الفسحة تعكس تنامي عوامل التفكك في الأبعاد الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية كما تعكس تراجعاً كبيراً في الانتماء العقائدي للشباب في تلك المساحة الاستعمارية التاريخية، فهنا إذن مساحة تسمح للبؤر الناشئة في عصر التفكك والضعف بالارتباط بمركز آخر للتلقي والتوجيه ونفس الشيء يحدث بالنسبة للوعي عندما يبدأ بالتواصل مع مرجعيات مغايرة وليس المهم أنها تابعة لمركز الاحتلال بقدر ما هي مبتعدة عن المركز الحضاري الأصلي

وهو في قضيتنا هنا الحضارة الإسلامية، وبالتالي فإن الوعي سيبدأ فى التغير وستفقد المقولات الأصلية التي تكون الهوية هيمنتها عليه فيغدو القبول بمقولات الآخر شيئاً مألوفاً،وبسلوكيات الآخر وطريقة تفكيره وربما يتنامى ذلك أيضاً للاعتقاد وهذا يعني إلغاء التجانس الاقتصادي، الاجتماعي، السياسي، الثقافي، الفكري، الاعتقادي ذلك الذي يعد أهم مظهر من مظاهر وحدة الحضارة وتحديد الهوية،لذا يمكن أن نعرف ذاك التجانس بأنه العناصر المشتركة التي تصلح كمقومات لبناء هوية مجتمع واحد للأمة، وعليه فإن مقابلة أي تعدد سيعني زوال ذلك التجانس الذي يفرز الحضارة ويبني الهوية، فكما أن قضية الهوية الشخصية يعد أزمة موجبة للعلاج فإنه لابد من النظر إليها من خلال أزمة أخرى أكثر إيجاباً للعلاج هي أزمة الهوية الاجتماعية التي تسبب الضياع الفردي والذوبان في الغير ٠

تاريخ أزمة الهوية :

عاشت الأمة الإسلامية معاناة لم يسبق لها مثيل، ،أضاعت ماتلقفته أوروبا وأقامت ركيزتها عليه فكانت النهضة العلمية والانطلاقة الهائلة للمجتمع الغربي،وبدأ الوهن يتطرق إلى الأمة الإسلامية من قبل نفسها ،وكأن عجلة الزمن في دورانها تنقل مركز الثقل إلى أوروبا التي كانت تغط في سبات عميق وغير أن الأمة الإسلامية عانت منذ القدم من هجمات ظالمة استهدفت وجودها وثقافتها، فلم يواجه دين من الأديان ولا عقيدة من العقائد مثل ما واجه الإسلام من تحديات، فقد واجه منذ فجر تاريخه تحديات عنيدة من مخالفيه،فواجه المشركين في مكة واليهود في المدينة، ولما فُتحت الأمصار، وانتشر الإسلام فيها، واجهت الهوية الإسلامية والفكر الإسلامي أفكاراً إلحادية وفلسفات وثنية[١] وتعرضت في نهاية العصر الأموي إلى حملات من الزندقة والإلحاد والتشكيك فى عقيدة التوحيد، وخاض الناس فيما امتنع عنه الصحابة والمسلمون من قبل، ونشأ علم الكلام وأصبح الجدل غاية وهدفاً بعد أن كان وسيلة لبيان الحق والدفاع عنه، وفي العصر العباسي أصبحت الفلسفة اليونانية بدعة المثقفين وبرز عدد من الذين يمثلونها ويدعون إلى الاستعاضة بها عن الفكر الأصيل[٢] لكن الإسلام ثبت أمام هذه التحديات وانتصر عليها، فقد كان المجتمع الإسلامي آنذاك يعي الإسلام وعياً كاملاً،ويدرك أخطار الأفكار والاتجاهات التي كان يطرحها الفلاسفة والزنادقة وما تحمله من شبهات

، وفي جملتها تعمل على نقل الفكر من أصالة الفطرة ومنطق العقل الصحيح إلى الإلحاد والإباحية وكان للأئمة أمثال ابن حنبل وابن تيمية أثر كبير في إعادة الأمور إلى نصابها، عن طريق الاحتجاج بالقرآن الكريم والحديث النبوي أساساً للوصول إلى الحق ، وإعادة النقاء إلى الفكر الإسلامي الأصيل، الذي أعطى العرب

١-عز الدين التميمي، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص٣١ ٢- انظر: الشيخ أحمد حسن – نقلاً عن د/ عبدالكريم عثمان ،الثقافة الإسلامية، خصائصها، تاريخها، مستقبلها – منشور

على**wwwiuedusa/magazine/١/٤doc**

والمسلمين عموماً شخصية فكرية متميزة لم تكن لهم من قبل، حيث كانوا يفتقدون أهم ما يكون الأمة ويكمل شخصيتها ويشعرها بذاتها ويمنحها الثقة بنفسها ألا وهو الرسالة والعقيدة والفكر الموحد ولنا أن نتصور الحال التي كان من الممكن أن تكون عليها العلوم والمعارف من النماء لو أن المفكرين المسلمين حافظوا على أصالة التوجيه الإسلامي ولم ينحرفوا عن النهج الصحيح إلى الاستغراق في جدل ونقاش فلسفي كان نتيجة ضياع الطاقات الذهنية [1] لكن الفكر الإسلامي بعد ذلك بمراحل من أطواره التاريخية وجد نفسه في مواجهة أعظم تحد يشكل تهديداً للذات الإسلامية وهويتها الثقافية، تحد أشد ضراوة مما فعلته دسائس عبدالله بن سبأ التي مثلت بداية تأزم الهوية الإسلامية،في حين أن التحدي الأعظم للهوية يتمثل في الغزو الفكري المعاصر، الذي كان تبعة لأحداث عِدة، كالتنازلات التي قدمها السلاطين العثمانيون، للقناصل الأجنبية لتعيث في بلادهم وتستوطن وتؤثر،حتى أُسقطت الخلافة الإسلامية، بالإضافة إلى قيام حملات استعمارية غربية حديثة موجهة إلى البلاد الإسلامية، يواكبها غزو فكري ومن أبرز عمليات هذا الغزو المركب ،حملة نابليون بمدفعه ومطبعته، والحملة التي نجح فيها القس دنلوب بقلب ميزان التعليم الإسلامي، وإقامته على أساس الفصل بين الدين والحياة، لتتخرج أجيال متغربة من المثقفين بينها وبين هويتها حواجز نفسية، وقد أكد على هذا أحد رواد التغريب وهو اللورد كرومر في تصريحٍ له يذكر فيه إن الشباب المسلم الذي دخل طاحونة التعليم الغربي، ومر بعملية الطحن يفقد إسلامه، وعلى الأقل أقوى عناصرها وأفضل أجزائها، بتجرده عن عقيدته الأساسية وهذا هو التحدي الخطير الذي تواجهه الهوية الإسلامية، كونه الأصل الذي ترتكز عليه جميع الأبنية وتتأثر به ٠

أزمة الهُوِيَّة : الاضطراب الذي يصيب الفرد فيما يختصّ بأدواره في الحياة ويصيبه الشكّ في قدرته أو رغبته طبقًا لتوقّعات الآخرين عنه ، كما يصبح غير متيقن من مستقبل شخصيته إذا لم يتيسّر له تحقيق ما يتوقَّعه الآخرون منه فيصبح في أزمة.

أزمة الهوية الإسلامية

تنتمي أزمة الهوية الإسلامية المعاصرة للشباب المسلم لذلك النوع من الأزمات المزمنة الذي تتشعب أسبابه وتتفرع متعلقاته، فالنظرة لها يجب أن تكون نظرة شاملة متعمقة دارسة للواقع الفعلي لذلك الشباب المسلم وتيارات التأثير التي تؤثر فيه ومنابع المد التي تمده وتغذيه، فهي أزمة تجتمع فيها مسارات سياسية وعقائدية وفكرية ثقافية وتنموية واجتماعية تجتمع كلها لتشكل أزمة التكوين الثقافي والسلوكي والعقائدي والفكري لذلك الشباب المسلم الذي ينتشر في ربوع الأرض، بعضه يعيش في موطنه والبعض الآخر خارج وطنه، والغريب الداعي للبحث أن كليهما يعاني من أزمة الهوية

إن المسار التاريخي أفرز فسحة في البناء الحضاري اسمها القابلية للاحتلال،تعكس تنامي عوامل التفكك في الأبعاد الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية كما تعكس تراجعاً كبيراً في الانتماء العقائدي للشباب فهى مساحة تسمح للبؤر الناشئة في عصر التفكك والضعف بالارتباط بمركز آخر للتلقي والتوجيه ونفس الشيء يحدث بالنسبة للوعي عندما يبدأ فى التواصل مع مراجع مغايرة وليس المهم أنها تابعة لمركز الاحتلال بقدر ما هي بعيدة عن المركز الحضاري الأصلي وهو في قضيتنا هنا الحضارة الإسلامية،وبالتالي فالوعي سيبدأ بالتغير وستفقد المقولات الأصلية التي تكون الهوية هيمنتها عليه فيغدو القبول بمقولات الغير شيئاً مألوفاً،وبسلوكه وطريقة تفكيره وربما يتنامى ذلك أيضاً للاعتقاد.

المحتوى العربى على الإنترنت وأزمة الهوية

حين تجرب، غير مرة، البحث بالعربية في الإنترنت ولا تجد ما يشبع حاجتك، تعرف أن المحتوى العربي على الإنترنت يعاني نقصاً كبيراً لا تحتاج إلى جوجل أو غيرها لإخبارك أن نسبة ١% التي يمثلها المحتوى العربي من مجموع المحتوى على الإنترنت، نسبة ضئيلة جداً أنت تدرك ذلك منذ زمن، كما تدرك أنه قد مرت سنوات منذ سمعت أول مرة أن المحتوى العربي على الإنترنت بالكاد يمثل تلك النسبة الهزيلة، ولا شيء تغير طيلة تلك السنوات فالكثير من الحبر سال حول الموضوع،

وكثير من المؤتمرات انعقدت دون فائدة المأساة أنك لو تتبعت تفاصيل تلك المؤتمرات التي تتحدث عن أزمة المحتوى العربي، لوجدت كل المتحدثين فيها يتحدثون حول الموضوع بالانجليزية ولا شك، لو حاولت تبادل الحديث مع أحدهم، ولو في الشارع في موضوع عام، لما وجدته قادراً على تركيب جملة عربية خالصة لا تدخلها كلمات إنجليزية أو فرنسية بمناسبة أو دونها تلك هي المشكلة الحقيقية، إنها أزمة هوية وليست أساسا مشكلة محتوى.

الإنترنت فيما يخص المحتوى مجرد وسيط لا أكثر، مثله مثل الكتاب والتلفزيون إذا كان الإنتاج العربي للكتب لا يصل إلى ١١% من الإنتاج العالمي، فمن البديهي أن يكون الأمر مشابها على الإنترنت المشكلة الحقيقية ليست نقص المحتوى على الإنترنت، بل هي التخلف العربي عموماً ولا يمكن تجاهل أن نقص المحتوى العربي على الإنترنت أزمة تتطلب حلاً مستعجلاً، لكننا لن نستطع تطبيق أي حل ما لم نرتب أولوياتنا أولاً، ما لم نحل المشكلة الحقيقية.

أولا: مشكلة الهوية

ربما أغلبكم يعرف موقع Yamli الذي يتيح لمن لا يملك لوحة مفاتيح عربية تحويل الكلمات العربية المكتوبة بحروف إنجليزية إلى حروف عربية مؤخراً أعلن الموقع إحصائية لافتة جدا للنظر تقول الإحصائية أنه طيلة الأربع سنوات من عمر الموقع، تم استخدام الخدمة لكتابة مليار ي كلمة نعم، ٢ مليار يبدو ظاهريا كأن هذا المشروع عمل عبقري لمساعدة من لا يملك لوحة مفاتيح عربية للكتابة بالعربية لا، الحقيقة أنه ككل الحلول العربية- مجرد حل ترقيعي لا غير، يؤزم الأزمة أكثر مما يحلها فلو نظرنا إلى قائمة الدول الأكثر استخداما لذلك الموقع سنجد: السعودية، تونس، مصر، لبنان، المغرب والأردن هل ترون المشكلة؟ هذه كلها دول عربية، رغم عدم وجود مشكلة في الحصول على لوحة مفاتيح عربية كل أنظمة التشغيل الرئيسية حالياً تأتي تلقائيا بدعم العربية، وسعر لوحة المفاتيح أرخص حتى من الفأرة فلماذا يصر الكثيرون على كتابة العربية بحروف غير عربية، ويتبجحون: سوري، لا نملك لوحة مفاتيح عربية فالقضية ليست لوحة مفاتيح عربية أو دعم النظام للعربية، إنها مسألة هوية وإحساس بالانتماء لو أردت العمل في أي دولة من العالم،في وظيفة غير الوظائف المهمشة، عليك أولا أن تتقن لغة ذلك البلد، إلا الدول العربية، فهي تستقبل كل من هب ودب، وتجبر الآخرين على أن يعملوا تحت إمرته بلغته هو

كندا تحتاج إلى الكثير من أصحاب الكفاءات، لكنها لا توظف إلا من يتحدث الفرنسية أو الإنجليزية ألمانيا تحتاج أيضاً للكثير، لكنك لن تخط حدودها قبل إتقان الألمانية وفرنسا تدفع للجامعات المغربية لتدريس مناهج معينة وتمنح الطلاب منحاً كاملة للدراسة في فرنسا، لأنها تحتاج إلى أصحاب الكفاءات، لكنها قبل ذلك تزرع فيهم الثقافة الفرانكفونية لكن في الجانب الآخر، يستقبل المغرب الفرنسيين بأذرع مفتوحة لإدارة شركات مغربية بالفرنسية دول الخليج تحتاج للكثير من الكفاءات الموجودة أصلاً في الدول العربية، لكنها تتجاهلها وتأتي بكفاءات من بريطانيا وأمريكا وتمنحهم حق فرض الانجليزية كلغة وحيدة للتخاطب معهم، في أماكن العمل وفي الحياة العامة وتلك هي المشكلة الأكبر ولا يمكن إنكار أزمة نقص المحتوى العربي على الإنترنت، لكننا لن نحل تلك الأزمة بالمؤتمرات والمقالات، بل لا نحتاج أصلاً إلى حلها هي ستحل من تلقاء نفسها يوم نقدر فعلاً هويتنا العربية ويوم نحس بانتمائنا الحقيقي.

لقد استفاد العالم العربي كثيراً من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتطبيقاتها في كل المجالات وتشير الدراسات الى أن عدد مستخدمي الانترنت في العالم العربي سيبلغ ١٩٧ مليون شخص عام ٢٠١٧ أما دول الخليج فقد حققت تقدماً ملموساً في هذا المجال، حيث سيصل عدد مستخدمي الانترنت الى ٤٠ مليون شخص، بينما سيزيد تغلغل الانترنت الى ٦٧% خلال السنوات الثلاثة القادمة

وتحتل الامارات العربية المتحدة المركز ٤٢ في دليل اقتصاد المعرفة بنقاط تبلغ ٦٩٤ كذلك نشير الى أن خمس جامعات عربية أربع جامعات سعودية وأخرى مصرية دخلت في التصنيف الاكاديمي لقائمة شنغهاي ورغم المؤشرات السابقة الناتجة من مسح ودراسات البنك الدولي الاّ ان هناك تحفظات مؤداها أن ارتفاع معدلات انتشار تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في مجتمع معين قد لا يؤدي مباشرة الى تحسين الفوائد الاقتصادية وذلك يعني ضرورة دراسة السياق الثقافي والاجتماعي للمجتمع الحاضن لهذه التكنولوجيا والتطورات الحادثة فيه ورغم التأثيرات الايجابية لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات على التنمية لكن هناك تأثيرات سلبية قد تؤثر وتعيق الاستفادة من جانبها الايجابي، ويتمثل ذلد في المشاكل المرافقة لاستخدامها فمثلاً، في الجانب الاجتماعي أصبح الانسان يميل الى التواصل الالكتروني مع غيره بدلاً من العلاقات الاجتماعية المباشرة، كما تتيح منظومة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات امكانية استخدامها في الغش والاحتيال وتنامي الفساد إذا استخدمت تطبيقاتها بشكل غير قانوني ولا ننسى الاباحية والسطو على حسابات الاشخاص والدخول غير القانوني على المواقع الالكترونية فذلك يدعو الدول إلى تطوير التشريعات القانونية المتعلقة بالجرائم الرقمية والرقابة المستمرة على سريان المعلومات للتأكد من إطارها القانوني والتعاون الدولي للتأكد من استخدامات الشبكة اللاكترونية في التطبيقات التي تخدم الانسان وتحافظ على البيئة

وتساهم في تنمية دائمة وأخيراً، مهما قيل عن التكنولوجيا وتأثيرها على الانسان والمجتمع يبقى الانسان هو صانع هذه التكنولوجيا لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما عبّر عنه انشتاين ذات يوم عندما قال أخاف اليوم الذي تتفوق فيه التكنولوجيا على النشاط الانساني، عندها سيصبح العالم لديه أجيال من الحمقى والحديث عن الهُوية في الواقع المعاصر، ليس مِن قبيل الترَف الفكري، بل أصبح منَ الأساسيات التي ينبغي أن يتوفر عليها جُهود واعية مثقَّفة مِنْ أبناء الأمة.

كيف هددت هويتنا؟

الهوية الإسلامية مستهدفة من يومها الأول، فمنذ بعثة النبي ص ومشركوا قريش والمنافقون في توافق تام لوأد هذه الدعوة، وإيقاف مدّها، وبتعاقب السنوات، وتبدل الدول؛ ازدادت الهجمة شراسة وقوة، وبلغت هذه الهجمة ذروتها في العصر الحديث، فلم يدخر أعدائنا جهداً في تفريغ هذا الدين عن محتواه لطمس الهوية الإسلامية والعربية، وقد سار هذا الأمر وفق منهج مرتب ومنظم نوجزه في النقاط الآتية:

١- إضعاف العقيدة، وزعزعة الإيمان.

٢- التآمر على اللغة العربية.

٣- تقسيم الدين إلى قشر ولُب.

٤- استلاب الهوية الإسلامية وتشتيتها.

٥- استقطاب المرأة المسلمة، والتغرير بها.

٦- إشغال المسلمين بالترفيه والشهوات٠

٧- السيطرة العلمانية، والترويج لدعوى العولمة والتغريب٠

٨- الاهتمام المبالغ فيه بإحياء الأساطير الوثنية والخرافات الشركية٠

٩- طمس المعالم التاريخية، والحفريات التي تصحح تاريخ العقيدة٠

١٠- النشاط التنصيري الذي يستغل الفقر والمرض٠

١١- استغلال العامل الاقتصادي في تذويب الهوية٠

١- الحرب النفسية المدعمة بالأساليب التعسفية ٠ [١]

<u>لغة الشباب وضياع الهوية:</u>

بعض الشَّباب يُتْقن التحدُّث بلغات جديدة، والغريب أنَّها ليست لغة

١- الهوية أو الهاوية للدكتور محمد إسماعيل المقدم؛ ص: ٣١-٤٢

عربيَّة أو إنجليزيَّة أو هنديَّة، حتَّى إنَّها لا تتبع أيَّة دولة، بل هي قاموس شبابي خاصّ جدًّا من عيّنة: حطيت إيدي على البالف، ادعك في الفانوس دلوقتي، كبّر الجمجمة، وغيرها من عبارات يصْعب حصرُها، وتختلف من مجتمَع لآخر حسب لهجتِه وعاداته وتندرج الألفاظ السَّابقة وغيرها تحت ما يُعرَف بمصطلح الرَّوشنة الَّذي ارتبطَ ظُهوره وراج كثيرًا في أوْساط الشَّباب كأحَد سِمات مرحلة المراهقة، والمفهوم يُعنى بالشَّكل الخارجي ستايل للتصرّف من خلال سلوك أو هيئة أو كلمة، والغالب فيه أنَّه يكون تقليدًا أعمى لتقاليع مستوْردة وسلوكيَّات جنونيَّة، بحسب تأْكيد عادل هندي الخبير في العلاقات الإنسانيَّة ويرجع السَّبب في انتِشار مثل هذه العبارات إلى ضعْف الوازع الدّيني، وتغْييب معنى الهدف والغاية، وكذلك الاغتِرار بكلّ ما هو غربي، والاعتِقاد بأنَّ الغرب هو المُنْقِذ، مع بطلان هذا الاعتِقاد فيما هو معلوم من إحصائيَّات المجتمع الغربي المؤكّدة لانحِداره أخلاقيًّا، إضافة إلى سوء التَّربية للأبناء والبنات ويُعَدّ غياب القدوة الصَّالحة النَّافعة من أسباب انتِشار ألفاظ الرَّوشنة، وكذلك الإعْلام له دَور أيضًا في تَمييع الشَّباب، من خِلال تَمثيل صورة البطل على أنَّه الشَّابّ الروش المعاكس للفتَيات النَّاطق بالكلِمات الخبيثة، والَّذي يتحدَّث لغة سفيهة، وكذلك دوْر الإعلام في تشْويه صورة الدِّين والتديُّن، وتفريغ عقول الشَّباب من القضايا المهمَّة في الحياة، كقضيَّة الغاية وقضايا الأمَّة بوجه عامّ

وتحمل لُغة الشَّباب الجديدة إذا صحَّ هذا التَّعبير كثيرًا من التمرّد والعدوان ؛ لأنَّ المتحدّث بها يريد أن يقول كلامًا يَحتوي على رموز لا يفْهمُها الكبار، بحيثُ تحمل مدلولات غريبة بعض الشَّيء، فمثلاً كلمة ادعك في الفانوس دلوقتي تعني: اذهب من أمامي، وكلمة حطيت إيدي على البالف؛ يعني: أنَّني فهمت الموضوع، وذلك حسب تفسير الدّكتور محمَّد المهدي - أستاذ الطّبّ النَّفسي بجامعة الأزْهر للحالة النَّفسيَّة التي يعانيها مَن يتحدَّثون بهذه اللَّهجة ويعود السَّبب في انتِشار مثل هذه الألفاظ والكلِمات على لسان العديد من الشَّباب إلى بعض الأفلام والأعمال الفنّيَّة الَّتي شهدت تداوُلاً كبيرًا في العالم العربي، وأصبحت محلَّ اقتِباس وتقليد من المُشاهِد العربي، وكما يقول المهدي في برنامج مع الشباب على قناة الرَّحمة، منها على سبيل المثال لا الحصْر مسرحية مدرسة المشاغبين، وكذلك أفلام محمد سعد اللمبي، وعوكل، لافتًا إلى أنَّ الفضائيَّات العربيَّة نجحتْ لِلأسف في فرْض هذه الأعمال وغيرها كمادَّة شبه يوميَّة على أجندة المشاهد العربي بشكْلٍ عامّ، ومنه الشَّباب بشكْلٍ خاصّ، ما يفسّر إلى حدّ كبير انتِشار هذه اللُّغة على ألسِنة الشَّباب دون إدراك حقيقي لخطورتها.

يشاركه الرَّأي الدكتور هندي مؤكّدًا أنَّ هذه المصطلحات يردّدها شباب فاقد الهويَّة الإسلاميَّة، ويعيش مرحلة من الضَّياع والفراغ على كافَّة المستويات، كما تهدف الروشنة إلى فقدان قيود الرَّقابية مما يساعد على الانفِلات الأخلاقي، وتعْليم الفوضى والتسيّب، إضافة إلى انتِشار السلبيَّة في المجتمع؛ ممَّا يعطّل تقدّم الأمّة٠

ويمكن معالجة هذا النَّوع من أنواع تمرّد الشَّباب بعمل حملات إعلاميَّة هادفة، تبيّن فضل وأصالة اللّغة العربيَّة ومكانتها بين اللغات، إضافة إلى وقْف هذه العبارات في الأفلام والمسلْسلات والمسرحيَّات، وانتشال الشَّباب من دوَّامة الرَّوشنة الَّتي يعيشُها إلى ساحات المساجد والنَّدوات الثَّقافيَّة والعلميَّة، هذا بالإضافة إلى تعْزيز انتِماء الفرْد لدينه وعدم الانسياق وراء كلِمات غريبة تتردَّد في أرْوِقة الكوفي شوب والمنتديات، وتردّدها أفلام هابطة وممَّا يُساعد في العلاج أيضًا: عوْدة دور التَّربية إلى دورها الحقيقي تربية الأبناء منذ الصِّغَر، تَّربية الضمير، والرقابة الدَّاخليَّة، وتنمية الحاسبة النَّفسيَّة، وتفْعيل دور المدرسة والجامعة في تصْحيح مفهوم الشَّباب الحقيقي في الحياة، وكذلك تفقُّد الأصحاب والأصدِقاء الصحبة الصالحة، إضافة إلى تدريس القدوات الصَّالحة للشَّباب والفتيات كنماذج من الشَّباب النَّاجح من جيل الصَّحابة والتَّابعين والعصر الحالي، وكذلك دور الدُّعاة إلى الله في احتِواء الشَّباب بتغْيير لغة الخطاب وإعلان الحرْب على لغة الرَّوشنة، وحثّ الشَّباب على مقاطعتِها٠

غياب وعي الأنا:

ثمَّة وسطٌ تنمو فيه هذه الهزيمة وتكبر، ويمكن أن نَصِف هذا الوسط، أو نحدِّد ملامحه في ملمحَين هامَّين عياب وعي الأنا ويقظة وعي الآخر ومِمَّا يُؤسَف له أنَّه غياب مركَّب على أكثر من صعيد، وفي أكثر من اّتجاه، أمَّا الأصعدة فتبدأ من العامَّة، وتنتهي بالنخب والمثقفين ممَّن يوجِّهون الرأي العام، ويؤثِّرون فيه، والسياسيِّين وأصحاب القرار في مواقعهم المختلفة، كلٌّ هؤلاء غائبون أو مغيَّبون عن قضية العربية، وهذه الأصعدة جميعًا تجعل من مسألة الغِياب سرطانًا يَستشري في جسد المؤسَّسات العلميَّة والتعليميَّة والإعلاميَّة، وبذلك تكتمل منظومة الغياب، التي تُعد أكبرَ تحدٍّ يواجه العربية اليوم، والتجليات واضحة: انزواء العربية في عقول النخب، بوصفها قضيةً حضاريَّة لها دورٌ هام في أيِّ مشروع للنهضة، وعدم حضورها على ألسنتهم في إشارة واضحة إلى الإهمال، ثم النظرة الدونية للغة، سواء في مؤسَّسات البحث أو التعليم بمختلف مراحله، أو الإعلام بمختلف أشكالهَ فمؤسَّسات البحث لا تحفل اليوم بغير توصيل المعنى،ولا ترى في الخطأ والرَّكاكة والعُجمة ما يَشين، ومؤسَّسات التعليم تحاصر العربية في مادة من موادَّ عديدة، ومع كلِّ عام دراسي جديد يُختصر منها أو يُحذف، ومؤسَّسات الإعلام لا ترى في العربية إلاَّ تقعرًا لا داعي له، وهنا أيضًا تُحاصر اللُّغة لتصبحَ مجرَّد ألفاظ تُردَّد في سياق عمل فني للإضحاك والتهريج.

والحقُّ أنَّ ذلك كلَّه ليس سوى تعبير بأشكال مختلفة عن فقدان الهدف، وضياعه،وارتباك العقل واضطرابه، واهتزاز الثِّقة بالنفس، بل احتقارها، ولنا أن نتصوَّر إنسانًا يهزأ بنفسه وينتقص من عقله، وجماعة تجعل من هويتها مادة للضَّحِك والسُّخرية وإذا كان هذا غيابًا للوعي اللغوي، فإنَّه جزء من حالة الغياب الشاملة، الغياب الحضاريِّ والعلمي، والسياسي والثقافي، والاقتصادي.

وفي مقابل غياب وعي الأنا بخطر اللُّغة وأهميتها نجد أنَّ الآخر بعولمته التي يريد أن يفرضها، ومصالحه التي يسعى لتحقيقها متيقظٌ تمامًا؛ لذلك فإنَّه لا يألو جهدًا في محاربة العربية، هذه الهُويَّة التي تربط بين نحو أربعمائة مليون إنسان، والإسلام هذا الدِّين الذي يجمع ما يَزيد على مليار وخمسمائة مليون إنسان، وليس الوعي بخطر اللُّغة والدين مستورًا، يُستنبط أو يُستشف من الكلام أو الأفعال؛ لكنَّه صريح مباشر لا غموض فيه ولا لَبْس، كما أنَّه ليس وعيًا يظهر على ألسنة المغمورين وأنصاف المثقَّفين والساسة،وفي أفعالهم ممَّن قد يجهلون دلالاتِ الألفاظ، إنَّه عند أولئك المنظرين الإستراتيجيين الذين ينتمون إلى مؤسَّسات أبحاث رفيعة المستوى تُعدُّ مراكز لدِّراسات المستقبل، وتحظى بدعم أصحاب القرار السياسي في أعلى مستوياته، وتُعتمد في اتخاذ القرارات وبناء السياسات،ونكتفي بواحد فقط من هؤلاء صمويل هنتنجتون صاحب الكتاب الذائع صراع الحضارات، الذي يؤكِّد أنَّ اللُّغة والدين هما العنصران المركزيان لأيِّ ثقافة أو حضارة، في إشارة واضحة إلى أنَّ الساحة الأخطر للصدام هي ساحة اللُّغة والدِّين، فإذا ما تحقَّق الانتصار فيهما أصبح من السَّهل الهيمنة على الحضارة المعادية واستتباعها.

وبين غياب وعي الأنا ويقظة الآخر، تبدو الهُويَّة العربية الإسلامية، وفي القلب منها اللُّغة مكشوفة، غير قادرة على المواجهة، ويصبح خطرُ الزوال أو الانحسار أو التشويه واردًا، فعن طريق هذه الهُويَّة، وهذه اللُّغة ، سيحدُث الاختراق اختراقُ العقل العربي الإسلامي والعبث في خلاياه بما تَعنيه من خصوصية وقِيَم، وتاريخ وحضارة، فهل ننتظر حتى يحدُثَ ذلك؟ أم سنقف بالمرصاد، خاصَّة أنَّ العابثين يلحُّون في طَرْق الأبواب، ويسلكون مختلف الطُّرق منذ أكثر من قرن؟!

خطر الغزو الإعلامي والثقافي على المجتمع العربي

تعتبر مســـألـة الغزو الثقافي والإعلامي من أولى المســـائل التي واجهت وتواجه الأمة الإسلامية والوطن العربي تحديداً فقد وعت الدول الغربية العظمى خطر يهدد قوتها واستمرار سيطرتها على العالم، وهذا ما لا يروق لها ويقض مضاجعها فبدأت بوضع كافة إمكانياتها للوقوف في وجه هذا التهديد وتنبهت للطرق الأســهل والأســرع فتوجهت للفكر العربي من خلال إعلام صنعته لتغريب هذا الفكر وجعله أسيرا لما يراه ويشــاهده فلا شــك أن الإعلام بكل أنواعه وتقنياته أحرز نجاحاً باهراً في جميع المجالات وهو من أقوى وســـائل الإقناع في أتباع الأســـلوب الهادئ والرزين دون اللجوء إلى العنف؛ لكنه في نفس الوقت أنفذ إلى القلوب من السهام وأشد وقعاً ،

إذ له ظاهر أنيق ومنظر جذاب إضـــافة إلى مجموعات الإثارة الكاملة إلى ما لا نهاية، من التصـــوير والإضـــاءة وما شـــابه؛ فلا بد من تأثيره الفعال ونفاذه إلى الأعماق بصورة سريعة ومباشرة ، والغرب من حيث طول الباع لديه في هذا المجال واهتمامه التام في تطويره قطع شـــوطاً مهماً في سـبيل ذلك؛ولكن هل نصـدق كل ما يقوله الإعلام الغربي عن الإسـلام والمسـلمين وأنه من نتائج صـدام الحضـارات الذي يدعو إليه ســاســة الغرب ومفكروه، والحملات الإعلامية المتعاقبة التي لا يكاد ينجو منها بلد مسلم ليست إلا وجهاً من وجوه حرب الإساءة والتشويه التي اعتمدتها سلاحاً ماضياً في صراعها إن له قوة هائلة التأثير تغطي القارات الخمس بلا منازع لتزرع في أذهان الشـــعوب ما تشـــاء من الصـــور، لا تبالي ما تتناوله من أحداث العالم بالعرض والتحليل إلا ما تراه يخدم مصالحها وينجح في إيصال ما تريد وترغب وقد لعبت ثورة الاتصـالات دوراً كبيراً في نجاح هذا الإعلام وجعلت منه قوة تفوق قوة السـلاح فبعد أن كان توزيع الصـحيفة لا يتجاوز البلد الذي تصـدر به جاءت وسـائل الاتصـال الحديثة لتلغي حدود الدول وتوصـل المعلومة للقارئ أينما كان، فشـعوب العالم لا تعرف في معظم الأحوال عن الإسلام وقضاياه إلا من خلال ما تتلقاه من الإعلام الغربي مع كثير من التحريف والتضليل والإساءة ، وحذرت دراسة علمية من ظاهرة الغزو الإعلامي الأجنبي في وسائل الإعلام العربية، وبالذات البرامج المعربة من البرامج العالمية، وأظهرت الدراســة الغزو الإعلامي والانحراف الاجتماعي

وأظهرت أن وسائل الإعلام العربية شاركت في تعميق الغزو الإعلامي الأجنبي، من خلال ما تعرضه من البرامج الغربية،وبالأخص ما يسمى ببرامج تلفزيون الواقع دون أن تضع تلك الفضائيات فى الحسبان قيم المجتمع العربي وتقاليده وأنماطه الاجتماعية فمنذ متى تعرض الفضائيات العربية برنامج تقوم فكرته على عرض فتيات للزواج ومرافقة الكاميرا لهن حتى في غرف النوم وهذا ما تقوم عليه فكرة برنامج على الهوا سوا الذي بثته إحدى القنوات الفضائية ولاحظت من خلال الإحصائيات العلمية الجديدة،أن برامج القنوات الفضائية العربية تقتصر على المادة الترفيهية وأفلام الجريمة والعنف والرعب والجنس، أي أن ثقافة الصورة تطغى عليها أكثر من ظاهرة سلبية تتمثل فى الاغتراب، القلق، إثارة الغريزة، الفردية، العدوانية، دافع الانحراف، وكلها مفردات تتأسس في إدراك الشباب وسلوكهم ومعارفهم بحيث تتحول من مجرد صورة ذهنية إلى نشاط عملي عن طريق المحاكاة والتقليد وعمليات التطبيع الاجتماعي بالإضافة إلي أن الأطفال والمراهقين والشباب يتأثرون بنتائج هذه الثقافة الإعلامية، ومن المحتمل أن تخلق برامج الفضائيات العربية الاضطراب الاجتماعي، وعدم الاستقرار في العلاقات العامة الاجتماعية، وتنمية الفردية والروح الاستهلاكيّة، والهروب من التصدي لواقع الحياة، والاستسلام له، والانبهار بالنموذج الأجنبي على حساب الهوية الثقافية، وكذلك تراجع الانتماء للهوية وازدياد اليأس والإحباط وجدت الدراسة أن القنوات الفضائية العربية،وبالذات الخاصة، بدأت تتسابق علي إرضاء الجمهور العربي، خاصة الشباب،

وجذبها لهم بأي صـــورة من خلال المواد الترفيهية التي تتعارض مع التنشـــئة الاجتماعية العربية ومقوماتها، خاصـــة في إشـــاعة النماذج الغربية من البرامج المستنسخة التي تحفل بأنواع فنون الإثارة الجسدية والغريزية وبمواصفات قد لا نجدها حتى في القنوات الفضائية الأجنبية فمثلاً أصـبحنا نرى على الفضـــائيات الأغنية المصـــورة أو ما يســـمى بالفيديو كليب وما يرافقها من مشـــاهد خليعة، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل أصـــبحنا نلمس في مجتمعاتنا العربية التقليد الأعمى لهذا المضـــمون الهابط فمثلاً أصـــبحت الفتاة تقوم بحركات المغنية فلانة أو تختار ملابس شـــبيهة بملابس الفنانة فلانة وكأنهن اتخذن تلك الفنانات قدوة لهن في كل شـيء وأشارت الدراسة إلى ضرورة الانتباه إلي هذه الظاهرة لأنها قد تحمل توجهات ســـياســـية وفكرية ملغومة تريد تدمير الواقع العربي وثقافة المجتمع وقيمه وخرجت بعدد من التوصـــيات أبرزها ضـــرورة الاعتراف بأن انفجار المعلومات والمنجزات التقنية في زمن العولمة لا يلغي حقيقة أن الثورة الحضـــارية ينبغي اســـتيعابها وتقبلها بوعي حضـــاري واســـتيعاب ذكي، بما يجعلنا قادرين علي الاســـتفادة منها، بمعنى اقتناء المفيد من المعلومات والبرامج وأخذ ما يتناسب مع واقعنا العربي وأهمية تعميق وعي الشباب العربي وثقافته وممارســـته للديمقراطية وتعوده على التعامل الحضـــاري مع المعلومة بايجا بياتها وسلبياتها، إضـافة إلي أهمية وضـع خطة إعلامية من قبل الدول العربية تأخذ مسارين:

ـ الأول :خطة إعلامية لمواجهة الغزو الإعلامي والثقافي٠

ـ الثاني :خطة إعلامية لتحصين الشباب٠

بمعنى أن مواجهة الغزو لابد أن تستند على خطة تتعلق بالطرق والوسائل الكفيلة للتقليل من طوفان المادة الإعلامية الأجنبية في التلفزيون العربي، ومحاولة منع ظاهرة البرامج الواقعية التي لا ترتبط بقيم المجتمع وثقافته، وتطوير وسائل الإعلام الوطني ومضامينه، كذلك تأتي مسألة الغزو الثقافي للمجتمع الإسلامي من أولى المسائل التي أخذت حيز كبير لدى الباحثين نتيجة الأثر الواضح الذي خلفه هذا الغزو في البلاد العربية والإسلامية الذي قامت على نشره وترويجه مؤسسات ومنظمات ومراكز متعددة منها الصهيونية والتبشير والاحتلال والأيديولوجيات المعادية للإسلام كالديمقراطية الليبرالية والشيوعية والقومية والفلسفات الهدامة فنتيجة الصحوة الإسلامية المعاصرة تفاقمت نزعة العداء نحو الإسلام من قبل أعدائه، وبالتالي ازدادت جهودهم لتوسيع المفاهيم الخاطئه عن الإسلام في أذهان الغربيين من جهة، وتصعيد عمليات الغزو الثقافي للعرب من جهة أخرى٠

والمؤسف أن بعض المفكرين يرفضون مصطلح الغزو الثقافي أو الفكري لأن الغزو مصطلح عسكري، ويطالبون بأن نتحدث عن استيراد فكري أو إيديولوجي بمعنى التفاعل مع الغرب، لهذا فإن الحديث عن الغزو الفكري في رأيهم يعني الانغلاق على الهوية، وهو ما يجب أن يتحاشاه المسلمون، ولكي نوضح أن ما يحدث هو غزو وليس تبادلاً فكرياً نورد بعض أشكال وأساليب هذا الغزو حيث نجد أن أهم ما يلجأ إليه الغرب في حربه ضد المسلمين والإسلام هو عرضه الخبيث للفارق بين واقع المسلم وواقع المواطن الغربي من جميع النواحي، فهم يصورون الغربي فى حالة من الرفاهية والنعيم يصعب على المسلم أن يصل إليها، وفي حالة من الحرية والرخاء وحرية القول والعمل، بينما المسلم مكبوت مضطهد لا يستطيع أن يتصرف أو يتكلم بحرية وبعد أن يرسخ أعداء الإسلام هذه المفاهيم في الأذهان وكأنها أمر واقع لا سبيل إلى تغييره يمضون في بث الشعارات والمفاهيم المغرضة، ولنعترف أن هذه المفاهيم المغلوطة قد تكونت لدى كثير من الأجيال المعاصرة واستطاعت أن تحدد للدين دوره بمعزل عن الحياة وفي زاوية ضيقة يلخصها شعار فصل الدين عن الدولة أو تلغي دوره من الحياة أساساً، فهو لا يرتبط بالواقع من خلال المعاني التي تصنع القوة والحركة والتقدم، بل ينظر إليه باعتباره سبب الضعف والجمود والتأخر كما تدل على ذلك شعارات كاذبة مثل الدين أفيون الشعوب والدين ضد العلم ويمكن أن نعدد أيضاً من أساليب الغزو الثقافي المحاولات التالية:

١. توظيف السينما والتليفزيون، فثمة مئات من الأفلام السينمائية الغربية التي تحاول تشويه صورة العرب والمسلمين، ويومياً تبث القناوت الفضائية عشرات المسلسلات التلفزيونية التي تكرس فكرة تخلفهم.

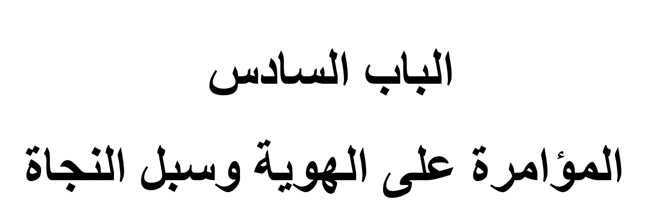
٢. توظيف الكثير من الكتاب والمؤلفين ليكتبوا ما يشوّه صورة الإسلام بأسلوب خبيث ذكي وليتسرب بذلك السم إلى عقولنا .

٣. تشجيع الخلافات المذهبية بين المسلمين وتعميقها ثم إبرازها عبر القنوات الإعلامية على أنها تمثل الإسلام.

ويشير د محمد عبد العليم مرسي إلي مفهوم الغزو الثقافي وأثره على المجتمعات العربية واصفاً إياه بأنه أحد أشكال الاحتلال الجديد ويسميه الصليبية الجديدة التي تعمل على تنصير العالم ومحاولة فرض التغريب على بعض الأقطار عبر النخب الحاكمة والمثقفين المنبهرين بحضارة الغرب ويشير الكاتب إلى أن بعض الدول العربية تأخذ ماهو سطحي وخالي من المضمون من المادة الإعلامية الغربية وتقدمه للمتلقي العربي رغم تعارضه مع مبادئ الدين الإسلامي؛ وقد وصل الغزو الثقافي إلى حد إهمال اللغة العربية في الكليات العملية وبالتحديد الطب والصيدلة والهندسة، حيث يجرى التدريس فيها باللغة الإنجليزية .

مقارناً ذلك بموقف اليابان التي رفضت بإصرار شديد، أي تعديل في لغتها من جانب الأمريكيين عند توقيع معاهدة السلام عام ١٩٥٠م، ونلاحظ في بعض الدول العربية مسألة شيوع اللهجة العامية في بعض القنوات الفضائية والإذاعات منها إذاعة الجنوب اللبنانية التي تلقي معظم برامجها باللهجة العامية لكن الحقيقة ماهي إلا محاولة من إسرائيل التي كانت تسيطر على هذه الإذاعة لتشويه اللغة العربية وإفراغها من محتواها وشيوع العامية وقد وجدت إسرائيل ضالتها في تحقيق ذلك من خلال بعض المفكرين والشعراء اللبنانيين أمثال الشاعر سعيد عقل الذي دعا إلى التخلص من قيود الفصحى ونشر العامية على أساس أنها لهجة قريبة من المتلقي وأسهل للفهم، إلا أنه أمر بعيد كل البعد عن الحقيقة فالمشاهد أو المستمع الذي يفهم لهجة بلده مثلا ليس بالضرورة يستطيع فهم اللهجات الأخرى وبالتالي تكون الفصحى أكثر فهماً لجميع الأقطار العربية ٠

وللغزو الثقافي جوانب تشمل تقلص حجم العلوم الشرعية ومقررات الهوية الإسلامية في المدارس والجامعات العربية والتوسع في إقامة المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، وهنا تأتي أهمية الثقافة في أنها تعمل على تماسك البناء الاجتماعي داخل المجتمع، وتحقيق الطمئنينة للفرد وإشباع حاجته للأمن، وتحفظ للمجتمع تراثه القديم، وما نراه من غزو ثقافي أمريكي تجاه المنطقة في صور التعاون المشترك في مجال البحث العلمي والبحوث المشتركة الذي بدأ يتزايد مع بداية القرن العشرين٠



الباب السادس

المؤامرة على الهوية وسبل النجاة

مراحل المؤامرة على الهوية

كان لانتصار الإسلام على أصحابِ الدِّيانات والهويات الأخرى أعظم الأثر في نُفُوسهم، فكان منهم مَن أحسَّ بعظمة الإسلام، فدخله بنفسٍ راضية، واجتهد في تعلُّم العربية، وأقبلَ عليها بشَغَف؛ ليفهم القرآن الكريم وأحاديث رسول الله ص ومنهم من أكل الحقد قلبه، ولكنه لإدراكه قوة الإسلام،وعلم أنَّ السبيلَ للقضاء على قوة المسلمين ليس في مُواجهتهم بالسلاح، إنَّما في استخدام المكر والحيلة، فأخذ يتظاهر بالإسلام، ومن خلال هذا التظاهُر أخذ ينشر أفكارَه القديمة، وآراءه التي تفرق وحدة المسلمين، وتضعف قوتهم٠

وقد اتَّخذ هذا الأسلوب بعضُ اليهود وبعض النصارى الذين أكل الحقدُ قلوبَهم؛ بسبب انتصار الإسلام عليهم، وإجلاء الرسول لهم من المدينة، ووصيته في آخر كلام له بإخراج يهود الحجاز ونصارى نجران من اليمن من جزيرة العرب، وقد تم إخراجهم في عهد عمر رضي الله عنه واختار لهم أرضًا جديدة بين الشام والعراق٠

وكان ممن أكل الحقدُ قلبه ولم يستطعْ أن ينتقمَ لدولته التي قوَّض الإسلام أركانها: بعضُ الفرس، وبعض الروم، وبالأخص أنهم كانوا ينظرون إلى العرب بازدراء واحتقار، ولعلَّ مما يلفت النَّظر لمدى هذا الاحتقار تلك الكلمة الخبيثة، التي قالها ملك الفرس لما وصله كتابُ رسول الله صَ فقال: عبدي يكتب إليَّ، وما كتبه يزدجرد إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قائد معركة القادسية، يقول له: إنَّ العرب مع شرب ألبان الإبل وأكل الضب بلغ بهم الحال أن تمنَّوا دولة العجم، فأفٍّ لك أيها الدهر الدائر٠

بدأ هؤلاء الأعداء المتسترون في الإسلام يضعون الخطط؛ للتخلُّص من هذا الدين القوي،الذي قوَّض أركان دولتهم، ولا يُمكنهم مواجهته بالسِّلاح، إنَّما عليهم أن يواجهوه بتدبير خبيث يتم في السرِّ وفي مأمن من ملاحقة الدَّولة الإسلامية اليقظة، وإليك بعضَ نماذج هذا الكيد المستتر:

أولاً:الحركات الباطنية أولى حلقات المؤامرة على الهوية الإسلامية:

بدأت هذه الحركات في وقت مُبكر، وفي تستر كامل؛ نظرًا لضعفها، وإدراكًا منها لوعي المجتمع، وقوة إحساسه بأي أمر دخيل يُخالف هُوِيَّته وعقيدته وكانت حركة السبئيِّين، بقيادة عبدالله بن سبأ اليهودي هي أولى هذه الحركات، التي بدأت محاولات تشويه الهوية الإسلامية، من خلال المبادئ التي أخذ ابن سبأ ينشرها، وهي أنه وجد في التوراة أنَّ لكل نَبِيٍّ وصيًّا، وأن عليًّا وصيٌّ محمد، وأنه خير الأوصياء، كما أن محمدًا خير الأنبياء، ثم إن محمدًا سيرجع إلى الحياة الدنيا، ويقول: عجبت لمن يقول برجعة المسيح، ولا يقول برجعة محمد، ثم تدرج إلى القول بألوهية عليٍّ رضي الله عنه فهمَّ علي بقتله، فنهاه عن ذلك عبدالله بن عباس رضي الله عنه فنفاه إلى المدائن، ولما استشهد علي، استغلَّ ابن سبأ ألَمَ الناس لفقده، وعاد إلى أباطيله مدعيًا أن المقتول ليس عليًّا، إنَّما هو شيطان تصوَّر فى صورته إلى غير ذلك ثم على منهاج ابن سبأ تتابعت الحركات الباطنية، التي رأت أنَّ خير وسيلة للقضاء على الإسلام هي تشويهه في نفوس أتباعه، تحت ستار من المكر والدَّهاء وكان من هذه الحركات كذلك الراوندية التي نسبت إلى مدينة راوند، التي اتَّخذها أتباع الحركة مقرًّا لهم وبدأ أتباع الحركة أعمالهم بالترويج للمُعتقدات الفارسية، وقد مكن الله عزَّ وجلَّ أبا جعفر المنصور أن يقضيَ عليهم.

ثم ظهرت الخرَّمية، وهي حركة أخذت اسمها من زوجة مزدك زعيم الإباحية القديم عند الفرس، واسمها خُرَّما واستطاع الخليفةُ المعتصم أن يقضيَ عليهم بعد قتل زعيمهم بابك الخرمي وكذلك ظهرت حركة الزنج ٢٥٦هـ، وحركة القرامطة ٢٧٧ هـ، وسار على نهج هذه الحركات إخوان الصفا، والإسماعيلية، تلك الحركات التي أرادت أن تقضيَ على مفهوم الإسلام الصحيح بدعوى أنَّ القرآن له ظاهر وباطن، ومُحاولة نشر عقائد المجوس والزرادشتية بين المسلمين؛ سعيًا لبث الفرقة بينهم، ومن ثم يتخلصون من الإسلام دون مُواجهة بالسلاح وبالرغم من خطورة هذه الحركات، إلا أن يقظة المجتمع الإسلامي حُكاماً ومحكومين لم تُمكّنها من الوصول إلى هدفها الخبيث وكما كان الحكام يواجهون أتباعها بالسَّيف، كان العلماء يواجهونهم فكريًّا، ويظهرون للمسلمين ضلالهم وأهدافهم، ولعلَّ كتابَ الإمام الغزالي فضائح الباطنية كان حلقة من حلقات المواجهات الفكرية، التي أظهرت زيفَهم وخطورتهم على الإسلام والمسلمين.

ثانيًا: ترجمة كتب الفلسفة الإلهية عند اليونان:

من المعروف أنَّ السلفَ الصالح رضوان الله عليهم لما انفتحوا على حضارات ما قبل الإسلام، أخذوا منها النافع المفيد، وتركوا ما يتعلق بعقائدهم، ووثنياتهم، وفلسفاتهم الجدلية العقيمة، التي لا نفعَ يُرجى من ورائها لقد اجتهدوا في أخذ ما يتعلَّق بالعلوم المادية من طبٍّ، ورياضيات، وفلك، وكيمياء؛ وذلك سيرًا على منهجِ القرآن في الأمر بالنَّظر في الأشياء؛ {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} وظل الأمر على ذلك حتى أواخر العصر الأموي، وأوائل العصر العباسي، ثم بدأت تتوارد على العقل المسلم الفلسفة الهندية، واليونانية، ولما كان الكثير من الطوائف المجوسية واليهودية والنصرانية دخلت في الإسلام، وكان الكثير يتظاهر بالإسلام، ويبطن دينه، فقد بدأ هؤلاء ينشرون بين المسلمين ما يشككهم في عقائدهم،وكانت فرقة المعتزلة قد ظهرت، وبدأت تنهج النهج العقلاني في الردِّ على هذه الفرق، ومن ثم رأى المعتزلة أنه لا بد من دراسة الفلسفة اليونانية؛ حتى يتمكنوا من الرد عليها، ولما طَمَّ سيل الإلحاد والزندقة في العصر العباسي، ووجد الخلفاء العباسيون أثر المعتزلة في مُواجهة هذه الطوائف، وقوة تفنيدهم لحجج الزندقة، قاموا بتشجيعهم، ووصل الأمرُ بالمأمون أنه كان يعدُّ نفسه من علماء المعتزلة وكان ينهج نهجهم في هذا الاتّجاه العقلاني، الذي جعلوا العقل فيه أساس بَحثهم، وحكموه في كل شيء، حتى أوَّلوا النص؛ كي يتَّفق مع العقل، بل يُمكننا أن نقول:

لقد وصلوا إلى درجة تقديس العقل، ولا يستطيعُ أحد أن ينكر فضلَ المعتزلة في دفاعهم عن الإسلام، وتفنيدهم للأسس التي ترتكز عليها الفرق الضَّالة التي كانت تستتر في زيِّ الإسلام، وتُحاول أن تقوض بنيانه بتلك الفلسفات الملحدة لكنهم لم يلبثوا أن غُلُو في نظرتهم للعقل، وكان ذلك إيذانًا بتلاشيهم من ميدان البقاء وكان هذا الوضع من تدبير أعداء الإسلام، والدليل هذه الحادثة التي ذكرها العلاَّمة مُحب الدين الخطيب رحمه الله يقول: إنَّ قصة المسلمين مع الفلسفة اليُونانية قصة مَليئة بالفواجع والنَّكبات، والغريب جدًّا أنه لا يزال الكثير من مُثقفينا يعتقد أن سبب نهضة المسلمين يعود إلى هذه الفلسفة، مع أنَّها كانت من أعظم أسباب نزاعهم وبُعدهم عن دينهم،وقد تَحقَّق فيهم خبرُ أحد الأحبار، وتفصيل ذلك انَّ المأمون لما هادن بعضَ ملوك النصارى طلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيتٍ لا يظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصَّه من ذوي الرأي، واستشارهم في ذلك، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه إلا واحد، قال جهِّزها إليهم، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلاَّ أفسدتها، وأوقعت بين علمائها وِّكان أولئك النصارى قد طمروا هذه الفلسفة تحت الأرض تخلُّصًا من شرها؛ لما لمسوه من فسادها،وهدمها للدين والفضيلة فما كاد علماء المسلمين بعد أن بلغ مجد الإسلام ذِرْوَته في القوة والفتح والعلم يشتغلون بفلسفة اليونان،حتى راحوا يؤوِّلون نصوص الشريعة الإسلامية؛ حتى تتَّفق مع هذه الفلسفة، فمسخوا الإسلام، وأخذوا يزعمون أنَّ له ظاهرًا وباطنًا، ظاهره للعامة، وباطنه للعلماء والحكماء

، وأخذوا يشتغلون بعلم الكلام يسمونه ظلماً ـعلم التوحيد،ولا يكاد يكون فيه من التوحيد إلا الاسم، أما محتواه، فهو الفلسفة نفسه وكان لإعلاء المعتزلة شأن العقل، ورفعه إلى درجة التقديس؛ إيذانًا بخروجهم عن روح الهوية الإسلامية القائمة على السهولة واليُسر، والخالية من التعقيدات الفلسفية أعظمُ الأثر في مواجهة العلماء لهم، واجتهاد أئمة الإسلام أمثال مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم في الردِّ عليهم ومُواجهة تلك الفلسفات الدَّخيلة على هوية الأمة، والتي لم يألفها السَّلف الصالح رضوان الله عليهم يقول الشيخ محمد الغزَّالي ـ رحمه الله ـ: أين كانت الخلافة العبَّاسية أثناء الهجوم على الفكر الإسلامي بهذه الطَّريقة الوضيعة؟ لم تكن تكترث بالنَّتائج، وعندما تحركت الخلافة تَحرَّكت؛ لتنصر انحراف المعتزلة في بعض قضايا الكلام، وأمرت بسجن وجلد ابن حنبل، الذي يُعَدُّ زعيمَ المحافظين في ذلك الوقت على أنَّ علماء الإسلام، ووراءهم السواد الأعظم من الأمة قاوَموا هذا الغشَّ المفروض على ثقافتهم الدينية مُقاومة ناضجة،وأمكن حصر الإسرائيليَّات، والنصرانيَّات، والإغريقيات، وكل القمامة الفكرية، التي أرادت الالتصاق بالرِّسالة الخاتمة، وتم تحذير الناس منها.

ثالثًا: الهجوم المسلح صليبي ووثني تتري:

تعرض العالَمُ الإسلاميُّ لعدة قرون مُتوالية لهجمة صليبيَّة وثنية شرسة، تدفقت إلى عالمنا الإسلامي مُتعاونة مُتعاضدة من عدَّة اتجاهات: من الشمال عن طريق بيزنطة، ومن الشرق بالغزو التَّتري المغولي، الذي تآمر مع الصَّليبيِّين لمدة ١٩٠ عاماً من سنة ٦١٦ ـ ٨٠٧ هـ، وكان أقواها حملة جنكيز خان، وهولاكو، وتيمورلنك، ومن الغرب عن طريق الأندلس بغزو الفرنجة والاسبان وكان الغرضُ الأساسيُّ لهذه الهجمة هو القضاء على والمحو التَّام لمعالم الإسلام، وتكشفت الأحداثُ والوقائع عن مدى ترصُّد ومراقبة القوى المعادية لأحوال العالم الإسلامي، حتَّى إذا تأكدوا من حدوث أمرين بدأوا في هجومهم:

الأول: ضعف الجبهة الداخليَّة وتفككها.

والثاني: وجود تناقُض بين قيم الإسلام وأعمال المسلمين وأخلاقهم

؛ إذ أنَّ التوافق بين قيم الإسلام وأخلاق المسلمين من أقوى الدِّلالات على القوة المنبعثة من قوة العقيدة والإيمان نعم، إذا تَمزَّقت الوحدة، ووقع الصراع بين أجزاء العالم الإسلامي، ثم ضعفت القوة الرادعة كان ذلك مقدمة لتجمُّع الأعداء للانقضاض،لكن اللافت للنَّظر في تاريخنا الإسلامي تلك الظاهرة العجيبة ظاهرة الانبعاث الداخلي، سواء في مجال المواجهة المسلحة للغزو الخارجي،

أم في مَجال الفكر لمواجهة الانحرافات الطارئة على الدين لم يقف عالم الإسلام صامتًا، ولم يستسلم، بل واجه العَدَاء بالمقاومة والوحدة والقتال،واستطاعَ أن يديلَ القوى الصَّليبية الشَّرسة، وأنْ يصهر القوى التَّترية المغولية في بوتقته، حتى أصبحت هذه القوى التي جاءت تريد القضاء على الإسلام من أقوى وأضخم القوى التي حملت راية الإسلام فيما بعد؛ حيث تحولوا إلى مسلمين مُخلصين وأصبح هذا الحدث الضَّخم هجوم التتار على بغداد أولاً، ثم إسلامهم وحملهم راية الإسلام ثانيًا من أقوى الأمثلة على قُدرة الهوية الإسلامية على إخضاع الهويات الأخرى وصهرها لها، حتى وإن كان المسلمون في حالة ضعف وانهزام ثم كان لظهور المماليك والعثمانيِّين، وحملهم راية الإسلام أعظمُ الأثر في كسر الغرور الصليبي ،وبالأخص بعد فتح القسطنطينيَّة على يد القائد الشاب محمد الفاتح، ولكن أنَّى للحقد الصليبي أن ينام أو يقر له قرار؟ تتابعت الحملات تريد القضاء على الإسلام، إلاَّ أن الأعداء كانوا يدركون أنَّهم لن يبقوا في هذه البلاد أبدَ الدَّهر، مهما تغلَّبوا على أهلها المسلمين في فترات معينة،طالت أم قصرت لذا؛ فقد عملوا على تسليم مقاليد الحكم في هذه البلاد الإسلامية لشخصيات مُوالية لهم من أبناء هذه البلاد، تعمل بتوجيه الاحتلال على إخراج أجيال مفرَّغة من ثقافتها الإسلامية، ومن انتمائها إلى دينها وعقيدتها، ثم ما تلبث أن تتولى هذه النوعيات المفرَّغة مقاليد التوجيه الثَّقافي والصَّدارة الإعلامية

، ومن ثم يتمكَّن الاحتلال من السيطرة على البلاد الإسلامية، وطمس معالم هويتها، فهم وإن كانوا قد رحلوا بأجسامهم وسلاحهم، فقد بقُوا بعقولهم وعملائهم وكانت هذه الخطة الخبيثة أقوى أثراً على الهوية الإسلامية من الهجمات الشرسة المدججة بالسلاح،إنَّها خطة الغزو الفكري، تلك المؤامرة الحديثة، التي وضعها الأعداء للقضاء على الهوية الإسلامية.

رابعًا:الغزو الفكري والتَّغريب ومُحاولات القضاء على الهوية الإسلامية: كان فشل الصليبيِّين في الحملات التي شنُّوها على عالمنا الإسلامي سببًا في التفكير لتغيير أسلوب الغزو ووسائله؛ حيث أدرك الصليبيُّون أنَّ عقيدة المسلم ودينه يَحملانه على بذل النَّفس والنفيس في سبيل المحافظة على مُقدساته، وأرضه، وعرضه من الغازي المحتل.

وكانت بدايات التفكير في تغيير أسلوب الغزو حينما أُسر قائد الحملة الصليبية لويس التاسع، وسجنه المصريون في المنصورة، واستطاعَ أن يفدي نفسه بمال كثير وحينما كان لويس هذا قابعًا بين جدران سِجْنه، أدرك أنَّ الغزوَ المسلح لن يستطيع الانتصار على المسلمين؛ لذلك فكَّر في طريقة أخرى خلاصتها إبعاد المسلم عن دينه، وتفريغه من عقيدته، بذلك يُمكن تحويل أحفاد الأسود إلى ظِبَاءٍ جَفُولَةٍ، لا تعتز بدينها ولا تحرص على حفظ عرضها ووطنها من الأعداء، بل إنَّهم يرون التمدُن والترقي في التشبه بغير المسلمين وحينما يُمكَّن لهذه الشخصيَّات من قيادة البلاد الإسلامية، فإنَّهم سوف ينوبون عن أعدائهم في القضاء على الهُوية الإسلامية، والقضاء على حملة الإسلام،تحت مُسمَّيات خادعة مثل: القضاء على الإرهاب، والتخلص من الرجعية، ومحاربة الجمود إلخ.

حرص الأعداء على إرسال بعض الأفراد مستشرقين يدرسون الثَّقافة الإسلامية دراسة وافية،ثم يقومون بإثارة الشُّبهات ضدها، لكنَّهم وجدوا أنَّ الأُمَّة لا تثق فيما يصدر عنهم ولا تتأثَّر به، إذًا كان لا بد أمامهم من استقطاب بعض الأفراد من أبناء الأمة فهؤلاء لو تَمَّ استقطابهم، فسيكونون بمثابة الثقوب، التي يدخل منها الأعداء إلى ثقافة الأمة، كما تدخل الحشرات إلى جسم الشجرة الوارفة، وتظل تسعى حتى تصل إلى النَّواة، فتفسد الشجرة كلها وكانت بدايات حصول الغرب على هذه الشخصيات التي أعدُّوها لتنفيذ الخطة:

لما بدأ الضعف يَدِبُّ في جسم الدولة العثمانية، التي ظلّت تحمل راية الإسلام في وجه الأعداء عدة قرون، وبسبب البُعد عن تعاليم الإسلام، وعدم الأخذ بالأسباب في جوانب الحياة، والثّقة الزائدة بالنفس، وعدم الاكتراث بالأعداء، وفي المقابل كان العدو المحيط بالدولة يتربَّص بها الدَّوائر بكلِّ جهده في إعداد نفسه؛ ليثأر لكرامته بعد تجرع كأس الذُّل بفتح القسطنطينية، وتحويل أكبر كنيسة بها إلى مسجد.

لما أحس بعضُ سلاطين آل عثمان بالخطر، وفي مُقدمتهم محمود الثاني،حاول أن ينهضَ بالدولة، وكان يوقن كما يقول باول شمتز أنَّ أوربا لا يُمكن أن تُضرَب وتُرَدُّ إلى ديارها إلاَّ بسلاح أوروبي، وبغير هذا لا يستطيع الشرق أن يقفَ أمامها ويوقف زحفَها وبهذا بذل جهده، وحاول بكلِّ الوسائل أن يُحقق لبلده المستوى الحضاري الأوروبي؛ كي يستطيع مقابلة هذا الخطر الداهم، ويكون لديه إمكانية ردعه، والوقوف أمامه، وكان ينقص هذا دراسة أحوال وظروف الشَّعب الذي أُريدَ رفعُ مستواه.

فلا جدالَ في حتمية وجود أرض خصبة لبذر هذه الحضارة، وإلاَّ يبست قبل أن تنبت، ويَعتريها الذبول إن نبتت بين شعبٍ لا يَملك مقومات رعاية الحضارة، وليست لديه رغبة تقبلها؛ أي: لا بد من وجود عوامل تتناسَب مع إرادة التطوُّر، وتساعد على دفعها ورعايتها، فحياة شعوب الشرق اتَّسمت بالجمود، لا تعرف له بديلاً، ولم يكن من السهل إثناء الشَّعب عما اعتاده،أو تغيير هذه العادات، فمحمود الثاني حاول وضع الحضارة الأوروبية على أرز شرقي يبس وتحجَّر، وصار غير مستساغ وقام الحكام بعملين يتطلَّعون من ورائهما إلى النهوض بالأمة:

الأول: إرسال بعثات إلى الغرب:فقد حاول الحكام إرسال بعض الشخصيات؛كي تتزود بخبرة الغرب،وتأتي وهي مزودة بالعلم والحضارة ، ولكن هذه الشخصيَّات ذهبت وهي مفرغة من عقيدتها، فكان من السَّهل أن تتلقفهم المحافل الماسونية، ووقعوا فريسة في أيدي أعداء الإسلام، وقاموا بإعدادهم؛ كي يقطع الشجرة أحد فروعها، وعادت هذه الشخصيات وهي مُتنكرة لا تحمل لأمتها انتماء٠

والثاني: استقدام خبراء من الغرب: وبالنسبة للخبراء الذين قدموا من الغرب؛ كي يطوروا الدولة العثمانية جاؤوا بامتيازاتٍ تثبِّت أقدامهم؛ بحيث لم تستطع الدولة أن تتخلص منهم؛ يقول باول شمتز: إنَّ العقل الأوروبي الذي استعانت به تركيا ليساعدها على تنفيذ برامج الإصلاح؛ كي تستطيع الدِّفاع عن نفسها، وتتمكَّن من الوقوف ضِدَّ الهجوم عليها لا يستطيع أحد التخلص منه أبدًا، فقد أُعْطِيَ من الامتيازات، ونال من الفرص ما يُمكِّنه من تثبيت أقدامه فوق هذه الأرض وحدث في كثير من البُلدان الإسلامية مثل ما حدث في تركيا، إلاَّ أن مصر لمكانتها الثَّقافية لاقت من عناية الأعداء وحرصِهم على السيطرة عليها بالأخص السيطرة الثقافية ما لم تلقَه دولة أخرى، وترتب على ذلك فقدان مصر سيادتها،وسقطت أمام البريطانيِّين عام ١٨٨٢م، ومنذ أن سيطر الخبراء الغربيُّون وتلاميذهم على مقاليدِ البلاد الإسلامية، حرصوا على إخراج أجيال لا تعرف دينَها، ولا تعتزُّ بالانتماء إلى عقيدتِها ولغتها ووطنها،ولا تعتز بتاريخها وتراثها، ولما كان للهُوية الإسلامية خمسة أركان، هي: الدين، اللغة، الأخلاق، التاريخ، التراث، فقد اجتهد الأعداء في السَّعي لطمس هذه الأركان؛ كي يطمسوا هوية الأمة بين الأمم٠

أولاً: الهُوِيَّة الدينية ومحاولات طمس معالمها:

كان سعيُ الأعداء لطمس معالم هويتنا الدينية، ذات الصبغة المتميِّزة عن سائر الهويات في مخبرها ومظهرها، والتي تغرس في نفسِ المسلم روحَ الاعتزاز والتأبِّي على الظُّلم والاحتلال هو الهدفَ الأهم، والغرض الذي يرون في تحقيقه نيل مرادهم، وإطفاء غيظ صدورهم، ولكي يُحققوا هدفهم؛ كان عليهم أن يعدوا خطة ذات اتِّجاهات متعددة، إلاَّ أنَّها تسير في خطوات منسجمة مع بعضها البعض كان من أهمها:

أولاً: أن يسيطروا على التعليم، ويمكّنوا عملاءهم من إدارته:

إذا كانت وقائع التاريخ قد لقَّنت أعداءَ الأمة درسًا خلاصته أنَّ الأمة لن تركع لغازٍ مهما كانت قُوته، طالما كانت مُتمسكة بدينها؛ لذا فقد عملوا على تغيير أسلوبِ غزوهم، ووضعوا خُطة جديدة، تسعى هذه الخطة إلى ترويض أبناء الأمَّة على قبول الغزاة والمحاولات الضيِّقة لا تُجدي سريعًا مع المحتلين، إذًا كان لا بُدَّ أن يقوموا بعمليات واسعة النِّطاق،وهذه لا تتم إلاَّ بالسيطرة على التعليم، فمن خلال منهجٍ معدٍّ بإتقان من سن الطُّفولة إلى نهاية الجامعة، يتخرَّج حفيد أبطال الإسلام، من أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والقعقاع، وأبي عبيدة، وخالد وهو ظبي جفول وديع قد قلّمت هذه المناهج أظافره

هذا هدفهم، وتلك نتيجة خطتهم:تعليمُ اللَّيث الإسلامي جَفْلة الظبي، ومحو قصة أُسْدِ الإسلام من العلماء والزُّهَّاد والمجاهدين من تاريخ القرون الفاضلة الأولى لهذه الأمة المجاهدة.

وأنتجت خطط التربية ذلك الظبي الجَفُول، الذي لم يَعد يقتحم، واستبدل التلفُّت بالعزم، وتعلم المسارعة إلى الهرب، إنَّهم هذا الجيل من أبناء المسلمين، شبل أسد تَحوَّل إلى ظبي وديع، وحر استرقوه ففرح إنه التخطيط الخبيث الساعي إلى قتل الرجولة، وحب التميُّز في أبناء الأمة، ويرحم الله الشاعر أكبر الإله أبادي حينما قال عن خطورة هذه المدارس والكليات والمناهج التي أعدَّها الأعداء لقتل رجولة أبناء الأمة يا لَبلادة فرعون الذي لم يصلْ تفكيرُه إلى تأسيس الكليات، وقد كان ذلك أسهلَ طريق لقتل الأولاد، ولو فعل ذلك لم يلحقه العارُ وسوء الأحدوثة في التاريخ وحتى تسير الخطة في خطواتها المرسومة دون تعثُّر؛ لا بد من تمكين صنائع المستعمرين من دعاة التغريب من مراكز التوجيه الثَّقافي، وفي المقابل إبعاد كل مُستعصٍ على الترويض متنَزه عن العمالة، عن طريق الخطة، وتنحيته عن المراكز القيادية الثَّقافية، فإذا تمكن هؤلاء دعاة التغريب من كراسي التوجيه الثقافي،كان عليهم أن يقوموا بتدريس المنهج المعد المفرغ من مضامينه الإسلامية بإخلاصٍ وتفانٍ، بل بزيادة في الإخلاص، وردًّا لجميل أصحاب الفضل عليهم في وصولهم إلى هذه الكراسي، بالرَّغم من وجود الأجدر بها منهم، كان عليهم أن يقوموا بعملٍ آخر، وهو استقدام مستشرقين لتدريس بعض المواد التي تُمثل أخصَّ خصائص هُويتنا ،

بالرغم من وجود الأكْفاء عندنا، ومن هذا القبيل استقدامَ طه حسين للمستشرق كازانوفا مدرس العلوم الشرقية بباريس؛ ليدرس مادة فقه اللغة العربية ولم يكتفِ طه حسين بذلك، بل َيقول عن كازانوفا هذا أريد أن يعلم الناس أنِّي سمعت هذا الأستاذ كازانوفا يفسر القرآن الكريم تفسيرًا لغويًّا خالصًا، فتمنيت لو أتيح لمناهجه أنْ تتجاوز باب الرواق العباسي ولو خلسة؛ ليستطيع علماء الأزهر الشريف أنْ يدرسوا على طريقة جديدة نصوصَ القرآن الكريم من الوجهة اللغوية الخالصة على نحو مفيد حقًّا والسؤال الذي يتبادر إلى الذّهن: كم يا ترى كان يظهر عندنا كتابات في الشعر الجاهلي لو حدث ذلك؟ لا شكَّ أن الكثير من الكتابات التي كانت تظهر مُتطاولة على ثوابت الإسلام والهادمة لثقافة الأمة لو حدث ذلك ستكون أضعاف أضعاف عددها الكائن بالفعل وكان لمثل هذه الأعمال استقدام المستشرقين ليدرِّسوا ثقافتنا أعظم الأثر في نفوس النابهين والغَيورين على هوية الأمة، وكان ذلك بالطبع يدفعهم إلى كشف زَيْف التغريبيين وفساد أعمالهم.

ومن هذا القبيل قولَ الشيخ محمود أبو العيون رحمه الله في مُواجهته ونقده لطه حسين في استقدام كازانوفا أشدّ ما أحسنت إلينا أيها الأستاذ بهذا الاستكشاف الحديث، حقًّا إننا في حاجة إلى مثل هذا العالم اللغوي الأعجمي الجليل؛ ليدرس لنا كتاب الله وسنة رسوله ص وفي حاجة ماسَّة إليه لتدريس الشريعة الغرَّاء وأصولها المستنبطة من الكتاب والسنة، وفي حاجةٍ أمسَّ إلى مثله يُعلمنا البلاغة؛ لأنه يعرف لغة القرآن وأسرارَ النزول، أين نحن يا ترى؟ وفي أيِّ عالم نعيش؟ لا شَكَّ أننا في عالَم وهمٍ وخيالٍ، لقد سُلِبنا العقولَ، وحجبنا عن الإدراك، وعمينا عن الحقائق، وأصبحَ الأعجمي بدويًّا قحًّا يعلم كتابَ الله كما أنزل، وأصبح العربي أعجميًّا لا يعرف من لغة العرب شيئًا، والأمر يومئذ لله.

ولا شكَّ أنَّ أمثال كازانوفا حينما تتاح لهم الفُرصة؛ ليدرسوا للأجيال المسلمة الناشئة،فلن يترك الفُرصة تَمر دون أن يشوه عندهم الإسلام: عقيدة، وشريعة، ولغة، وتاريخًا، بل إن أول ما سيقومون به هو تجهيل العلم، وربطه بالإلحاد والكفر بالله سبحانه وتعالى على خلاف ما هو متعارَف عليه في الإسلام، بل إنَّ عملهم ولا يزال عملاً شموليًّا يسعى لهدم التعليمي من جميع أركانه،من خلال وضع الكثير من العوائق والتحديات في طريقها، ومن أهمها:

محاولات هدم أركان عملية التعليم:سعى أعداء الإسلام لهدم أركان العملية التعليمية في بلاد الإسلام، وقد اتَّخذوا لذلك عدة خطوات، من أهمها:

أولاً: السعي لهدم المنهج الدراسي وتفريغه من مضامينه الإسلامية:

اتَّخذ الأعداء عدة وسائل لتفريغ المنهج الدراسي من مضامينه وقيمه الإسلامية، وكان من أهم هذه الوسائل:

أولاً: تجهيل العلم بإبعاده عن الله أو تلحيده بمعنى أصح وكانت هذه الخُطوة من الأساسيات التي سعى أعداءُ الإسلام لتحقيقها في عالمنا الإسلامي، كما حقَّقوه في بلادهم فالمعروف أنَّه منذ بعث الله رسوله محمدًا ص والعلم في الإسلام يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإيمان والعقيدة والأخلاق، وفي عالمنا الإسلامي لا تعرفُ الأمة في ظل الإسلام ذلك الخصام الذي وقع بين رجال الدِّين وعلماء الكونيَّات في الغرب، فعالم الدين عندنا هو عالم فلك ورياضيَّات وطب وغير ذلك ولا شك أنَّ هذا الارتباط بين الدين والعلم هو عاملُ دفع للأمام وتوافُق وانسجام في شخصية المسلم؛ إذ عدم الارتباط بين الدِّين والعلم يُحدث في نفس الإنسان ما يشبه الانفصام بين عقيدته وأبحاثه، ومثل هذا لا يرجَى منه عمل نافع ومن هنا بدأ الأعداء يَفصلون العلومَ والمناهج عن الدِّين، حتى وصل الأمر ببعض العملاء أن جعل دراسة اللغة من أجل الدين سببًا من أسباب ابتذالها وبدأت نظريَّات الإلحاد تتطرق إلى المناهج الدراسيَّة،

وكان من هذا القبيل: تدريس نظرية دارون القائلة بتسلسُل الإنسان في نشأته من كائنات دُنيا حتى صار قردًا، ثم بالارتقاء مع الزمن وصل إلى إنسان، والعجيب أنْ تُدرَّس هذه الخرافات المضادة للدِّين، وهي مغلفة بستار زائف من البحث العلمي٠

فهل إذا درس التلميذ هذه النظرية تحت اسم البحث العلمي، هل تظل عقليته راسخة؟ أم أنَّه يبدأ في الشك في صحة النُّصوص الدينية؟ وهذا ما حدث بالفعل مع بعض الذين قرأوا كتاب دارون، وكتابات شبلي شميل، وسلامة موسى، ويَعقوب صروف، مِمَّن اعتنقوا مذهبَ دارون ودعوا إليه، ولعلَّ الأستاذ إسماعيل مظهر كان أحدَ هؤلاء الذين قرأوا فوقعوا في الشك والاضطراب، حتى يقول عن قراءته لكتاب شبلي شميل فلسفة النشوء والارتقاء: فأحدثت قراءتها في ذهني من الانقلاب ما يعجز قلمي عن التعبير عنه أو وصفه، ثم يلخص نتيجة خَوضه في بحر الأفكار المادية قائلاً:على أنِّي إن خرجت من كل ما قرأت، واستجمعت من الآراء والنظريَّات فكرة يصح أنْ يقال فيها: إنَّها الفكرة المسلطة الآن على مشاعري ، فهي فكرة تتراوح بين الشك واليقين وكذلك الذي يقرأ في مذكرات الأستاذ محمد لطفي جمعة، وكيف تأثر بكتابات دارون، وشبلي شميل، ويعقوب صروف يدرك مدى هذا التأثُر في سن الصبا، ولعلَّ هذا التأثر هو الذي كان يدفعه لمحاولات الجمع بين مذهب دارون ونصوص الدين بالرغم من عدم إمكانية الجمع في قضية خلق الإنسان وهذا أيضًا الدكتور مصطفى محمود، يتحدَّث عن نفسه في سِنِّ الصِّبا، فيقول: وغرقتُ في مكتبة البلدية بطنطا وأنا صبيّ،

أقرأ لشبلي شميل، وسلامة موسى، وأتعرَّف على فرويد، ودارون، ثم كان ما كان من تأثُّره بالفِكرة المادية: لنرفضَ الغيبيات، ولنكفَّ عن إطلاق البخور، وترديد الخرافات،مَن يعطينا دبَّاباتٍ وطائرات، ويأخذ منا الأديانَ والعبادات؟ وهؤلاء الأساتذة الثلاثة إسماعيل مظهر، ومحمد لطفي جمعة، ومصطفى محمود قد منَّ الله عليهم بالانخراط في تيَّار الأصالة، والدِّفاع عن ثوابت الأمَّة بعد ذلك،وإن كنا قد ذكرْنا بعضَ كتاباتهم المبكِّرة، فما ذلك إلا لأنَّها تمثل طورًا فكريًّا مرُّوا به هم، وغيرهم من الشباب الذين حاولوا التعمُّق في الفِكر المادي، وقرأوا لدعاته.

وأليس من قبيل تجهيل العلم، وتشكيك الناشئة في مُسلَّمات دينهم أن يكتب طه حسين كتابه في الشعر الجاهلي، ويُدرِّسه للطلبة، وينكر فيه وجودَ سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مغلِّفًا هذا الفكر في ثوب الاعتماد على ما أثبتَه البحث الحديث على حدِّ زعمه في وجود خلاف جوهري بيْن لُغة العدنانيِّين والقحطانيِّين، فيقول: فواضحٌ جدًّا لكلِّ مَن له إلمام بالبحث التاريخي عامَّة، وبدرس الأساطير والأقاصيص خاصَّة: أنَّ هذه النظرية مُتكلَّفة مصطنعة في عصور متأخِّرة، دعتْ إليها حاجة دينيَّة، أو اقتصادية أو سياسية، للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يُحدِّثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يَكْفي لإثبات وجودهما التاريخي؟.

فإذا دَرَّسَ الأستاذ هذا الفكر، وغلّفه بغلاف البحث العلمي، ألاَ يَفتح المجال أمامَ الطلبة أن يُعمِّموا هذا الضلال، لا على قصَّة واحدة من قصص القرآن، بل على كلِّ القصص القرآني؟ وهذا ما حَدَث بالفعل، وهذا ما قام به الطالِب محمد أحمد خلف الله في رسالته للدكتوراه، والمسماة الفن القصصي في القرآن الكريم، حيث ذهب إلى أنَّ ما بالقصص القرآني من مسائلَ تاريخية ليستْ إلا للصور الذهنية لِمَا يعرفه المعاصرون للنبي عليه السلام عن التاريخ، وما يعرفه هؤلاء لا يلزم أن يكون هو الحقَّ والواقع، كما لا يلزم القرآن أن يردَّها إلى الحقِّ والواقع؛ لأنَّ القرآن كان يجيء في بيانه المعجِز على ما يعتقد العربُ، وتعتقد البيئة، ويعتقد المخاطَبون، ومعنى هذا: أنَّ القصص القرآني ليس من قبيل الحقائق التاريخيَّة، وإنما هو ترديدٌ للقصص المتعارَف عليها بين أهل الجاهلية، وإن كانتْ هذه القصص خرافات، فقد قرَّر القرآن هذه الخُرافات ومِن عجيب ما يُذكر: أنَّ الدكتور المشرف على هذه الرسالة الدكتور أمين الخولي دافَع عن فكرة الرِّسالة الضالة دفاعًا شديدًا، حتى قال: إنها لحقّ، ألقوا بي في النار، ولمَّا أصرَّتِ اللجنة المناقشِةُ رفْضَ الرسالة؛ لِمَا فيها من تكذيب لصدق القصص القرآني للواقع التاريخي، انتقدها الكاتبُ توفيق الحكيم نعم، فهؤلاء رُوَّاد التنوير عندنا ولم يكتفِ بالنقد، بل لقد استعْدَى على الأساتذة المناقِشين رئيسَ الوزراء في ذلك الوقت قائلاً له: فالأمر خطيرٌ يا رئيس الحكومة،

إلى حدٍّ أطالبك معه بواحد من أمرين، لا ثالث لهما: إما أن تدرأ في الحال الخطر المحيق بهذه المناورة الفكرية والرُّوحيَّةوإمَّا أن تستقيل فانظر كيف لا يتوقَّف الأمرُ على ترويج الضلال، بل إنَّه يمتد لحالة الإرهاب الفِكري لكلِّ مَن يواجهه، فإذا كانتْ هذه هي الثقافة التي تبثُّها المدارس والجامعات في نفوس الطلاَّب، فهل يبقى للهُويَّة الإسلامية أثرٌ يُذكَر في نفوس الأجيال المُقبلة؟.

إن أبْسط وصْفٍ للهيئة التعليمية التي تتبنَّى نشْرَ هذه المناهج: أنَّها هيئة خائنة للأمَّة في أثمن ما تملك من كنوز، وأعزِّ ما تملك من ثروة؛ لأنَّ كنوز الأرض لا تساوي شيئًا بدونها، إنها الثروة البشرية بما تنطوي عليه مِن قُوى مادية، ومِن مَلَكاتٍ عقليَّة وخلقيَّة هذه النظرة العميقة للمؤسَّسة التعليمية وللمدرسة بصفة خاصَّة هي التي ينطلق من خلالها الكيانُ الصِّهْيَونيُّ في إنشائهم لأجيالهم.

يقول اليهودي ساشر: إنَّنا لا ننظر في إيجاد مدرسة في فلسطين كمجرَّد وسيلة لتعليم عدد من الطلاَّب اليهود هناك، بل أبعد مِن ذلك، إنها رمزُ المهمة العظيمة الملقاة على عاتقنا في تربية ذاتنا إنها رمزٌ لإعادة بناء أجيالنا بناءً قوميًّا، ووعْد بالاستمرار القومي في المستقبل وقال جاكوب كلاتزمان: تؤلِّف دباباتُ سنتوريون عاملاً من عوامِل الأمن والسلامة على المدى القريب، ولكنَّ المدرسة والجامعة هي العوامل الأكثر أهميَّةً بالنِّسبة للمستقبل البعيد هذه نظرة أعدائنا إلى المدرسة والجامعة، وهذه نظرةُ القائمين عليها في بلادنا،ومِن ثَمَّ كان للقِسِّ زويمر أن يفخر قائلاً: لقد قضيْنا على برامج التعليم في الأقطار الإسلامية منذ خمسين عاماً، فأخرجْنا منها القرآن، وتاريخ الإسلام،ومِن ثَمَّ أخرجْنا شباب المسلمين من الوسائط التي تخلق فيهم العقيدة والوطنية،والإخلاص والرجولة، والدِّفاع عن الحق، والواقع أن القضاء على الإسلام في مدارس المسلمين أكبرُ واسطة للتنصير، وقد جِئْنا بأعظم الثمرات المرجُوة منه وإذا كانتْ هذه هي الحالة الفِكرية التي وصل إليها بعضُ الطلاَّب الذين يتلقَّوْن العلم من خلال المناهج الدراسية في أقطارنا الإسلامية فما بالنا بِمَن يذهبون إلى الغرب بعد أن يرضون عنهم، ويأخذونهم في بعثات دراسيَّة في بلادهم؟ وما هو يا ترى الإعدادُ الذي يعدُّه الغرب لهم،والمناهج التي تُدرَّس لهم، والدور الذي يُطلَب منهم بعدَ ذلك؟ •

جاء في كتاب المشكلة الشرقية لا شكَّ أنَّ المنصِّرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فَشِلوا تماماً، لكن هذه الغاية يمكن الوصولُ إليها من خلال الجامعات الغربية، فيجب أن تَختارَ طلبةً من ذوي الطبائع الضعيفة، والشخصية الممزَّقة، والسلوك المنحلِّ من الشرق، ولا سيَّما من البلاد الإسلامية،وتمنحهم مِنحَ دراسية، حتى تبيعَ لهم الشهادات بأيِّ سعر؛ ليكونوا المبشِّرين المجهولين لنا، لتأسيس السلوك الاجتماعي والسياسي، الذي نصبْوا إليه في البلاد الإسلاميَّة.

إنَّ اعتقادي لقويٌّ بأنَّ الجامعاتِ الغربية يجب أن تَستغلَّ استغلالاً تامًّا جنونَ الشرقيِّين للحصول على الدرجات العِلمية والشهادات، واستعمال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشِّرين ووُعَّاظ ومدرِّسين لأهدافنا ومآربنا باسم تهذيب المسلمين والإسلام فهذا هدفٌ يسعَوْن إليه، وهناك هدفٌ آخرُ أوْجزه اللورد كرومر مِن هؤلاء المبعوثين عندما قال إنَّ الشباب الذين يتلقَّوْن علومَهم في إنجلترا وأوربا يَفقِدون صلتَهم الثقافية والرُّوحيَّة بوطنهم،ولا يستطيعون الانتماءَ في نفس الوقت إلى البلد الذي منَحَهم ثقافته، فيتأرجحون في الوسط، ويتحوَّلون إلى مخلوقات شاذَّة ممزَّقة نفسيًّا وهل هناك خيرٌ يرجى للأمَّة من وراء إنسان أصبح ممزَّقًا نفسيًّا؟ بل أوليستْ هذه كذلك أعظمَ خسارة تخسرها الأمَّة، حينما يتحوَّل أبناؤها إلى هذه الحالة؟.

ثانيًّا: غرْس ثقافة الاستسلام من خلال المنهج الدراسي:

كان للسيطرة والهيمنة الأمريكيَّة على دول العالَم الإسلامي خاصَّةً الدولَ العربية أعظمُ الأثر في تفريغ المناهج الدراسيَّة مِن كل ما يَغْرس في نفوس الناشئة الرجولة وحبَّ الجهاد، وحبَّ الدِّفاع عن الأوطان، ووضعوا مكانَ ذلك ما يغرس في نفوس الشباب الخنوعَ والاستسلام، تحت مسميات كاذبة، مثل السلام والأخوة بين البشر، والمحبة بيْن الناس، وغير ذلك وقد مهَّدَتْ لذلك في مصر هيئةُ المعونة، عندما أنشأَتْ شُعبة تطوير المناهِج والبرامج التعليمية عام ١٩٨٧،ومعظم خُبرائها من الأمريكان، ويحصلون على ٧٠ ٪ من أموال المعونة، وقد قامتْ هذه الهيئة بحذف ٣٠ ٪ من المناهج تحت مسمَّى حذْف الحشو؛ مما أدَّى إلى غياب الفِكر والمادة العِلميَّة من المنهج وبداية من أغسطس عام ١٩٩٢، تم تطوير ٥٧ كتابًا بمختلف مراحل التعليم، خاصَّة مواد اللُّغة العربية، والتربية الدينية، حيث شَهِد كتاب التربية الدينية للصف الخامس تشويهاتٍ شديدةً أدَّت إلى ثورة في الأزهر، ومركز البحوث التربوية وتولَّى مرْكز تطوير المناهج برئاسة كوثر كوجك استكمالَ لعبة التغيير في المناهج، حيث كشف تقريرٌ سِريٌّ للمركز عن قيام فريق أمريكي برئاسة يرالد تيرث،وعضوية دبيتر نومان دوجوان بمراجعة ووضْع ٧٠ كتابًا في مختلف الفِرق الدراسية في التعليم العام، كما وضعوا دليلاً لإعداد المناهج والموادِّ التعليمية، أسموه مصفوفة المدى والتتابع، وظلَّ هذا المركز يَعقد حلقاتٍ نقاش مع الخبراء الأمريكان،

ومؤلِّفي الكتب المدرسيَّة؛ لتحديد التعديلات الجديدة المصبوغة بالصِّبْغة الأمريكية وعام ١٩٩٦ ظهرتِ التغييرات بشكل عملي في جميع المناهِج، ولجميع سنوات التعليم الأساسي، حيث تمَّ خفضُ حجم المناهج، مع تضمين جميع الكتب للمفاهيم والقضايا والتوجُّهات التي تريدها أمريكا، بل وسارتِ المناهج في اتجاه التطبيع مع إسرائيل، حيث الدعوةُ للسلام، والتربية من أجل السلام، والتآخِي والتسامح بين الشعوب وكشفتْ دراسةُ الدكتور علي الجمل أستاذ تدريس المناهج بتربية عين شمس عن أنَّه منذ اتَّجهت الدول العربية إلى السلام مع إسرائيل خاصَّة مصر بدأتْ مناهجُ التاريخ تخدُم هذه الفِكرة، وترتَّب عليه تغيُّرٌ في المناهج الدراسية، واختفى منها كلٌّ ما يحضُّ على الجهاد والتضحية باعتبارها مصدرًا للعنف والتطرُّف، وبث كلِّ معاني الحبِّ بهدف إعداد جيل مسالِم يدعو للحبِّ والسلام، ولا يعرف شيئًا عن عدوِّه، ومِنْ ثَمَّ غابتْ عن مناهج التاريخ الكثيرُ من المبادئ والمواقف والأحداث، التي تستطيع الإسهامَ في إعداد المواطِن ذي الوعي المستنير،القادر على الدِّفاع عن وطنه وقتَ الحرْب، وتنميته وقت السلم وتقول الدراسة: إنَّ السؤال الذي يطرح نفسَه هو: هل سنظلُّ نغرس في نفوس أبنائنا السلامَ فقط، ونهمل إعدادَهم على التضحية والفِداء، والدِّفاع عن الأرض والوطن الذي يُنتهَك في كلِّ شبر من أرض الإسلام؟ ويتساءل متعجِّبًا في دراسته: كيف نربِّي أبناءنا على السلام فقط، ويربِّي أعداؤُنا أبناءَهم على قتْلنا، وسَفْك دمائنا؟ فلو نظرْنا إلى النظام التربوي الإسرائيلي نَجِد ظاهرةَ التعصُّب الصِّهْيوني واضحةً في مناهجهم

، وأنَّ التوجُّه العنصري ضدَّ العرب واضحٌ في تلك المناهج، فتعرض العربيَّ على أنه متخلِّف في مقابل اليهودي المتقدِّم ويقول الأستاذ علي الجمل في دراسته: إنَّ الموضوعاتِ التي تعرضها مناهج التربية والتعليم في إسرائيل ليستْ نكتة أو فكاهة، بل حقيقة تربوية أدَّتْ إلى مجازرَ عسكرية، ومطاحنَ بشرية، يتربَّى بنو إسرائيل على إدارتها وإشاعتها، ومنها مسألة حسابية، تقول: هناك ١٠٠ عربي قتلْنا منهم ٣٠، فكم الباقي الذي يلزمنا قتلُه؟ ونحن ما زالتْ مناهجنا لا تعرف غير: الأُخوة بين البشر، السلام العالمي، المساواة، وغير ذلك من الركائز التي يدعمون من خلالها ثقافة الاستسلام،وقلْم الأظافر، والترويض والتدجين للأجيال المسلِمة.

ثالثاً: تحديات تواجه التلميذ:

التلميذ هو الهدف والغاية من وراءِ العملية التعليمية؛ لذا فقد وضعتِ التدابير المُحكَمة كي يتحوَّل إلى نموذج مهزوز، مفرَّغ من القيم الإسلامية والرجولة، بل وجَعْله يرى كلَّ غربي على أنه مظهر الحضارة، والنموذج الذي ينبغي أن يُحتذَى وفي المقابل ينظر إلى كلِّ إسلامي على أنَّه مظهرُ التخلُّف والجمود، أوَليستْ هذه النتيجة التي ذكَرَها اللورد كرومر حينما قال عن الشباب الذين تثقَّفوا على يدِ الغربيين يتأرجحون في الوسط، ويتحوَّلون إلى مخلوقات شاذَّة ممزَّقة نفسيًّا؟ وهي النتيجة التي ذكرها على سبيل الافتخار بإنجازهم القِسُّ زويمر حين قال: لقد قضيْنا على برامج التعليم في الأقطار الإسلامية منذ خمسين عامًا، فأخرجنا منها القرآن وتاريخ الإسلام،

ومن ثَمَّ أخرجْنا شباب المسلمين من الوسائط التي تخلُق فيهم العقيدةَ والوطنية، والإخلاص والرجولة، والدِّفاع عن الحق والواقع: أنَّ المؤامرة على التلميذ في العملية التعليمية قد امتدتْ لتشمل أولاً: قتْل مواهب الإبداع لدى التلميذ وفي سبيل تحقيق ذلك عَمَد الأعداءُ وعملاؤهم إلى تنحية كلِّ ما مِن شأنه أن ينمِّي مواهبَ التلميذ،ويغرس في نفسه حبَّ إعادة أمجاد أجداده المسلمين٠

يتحدَّث الأستاذ فهمي هويدي عن نموذج في هذا الصَّدد في إحدى الدول العربية، تمَّ فيه حذْف عِدَّة دروس كانت مقرَّرة على التلاميذ، يقول: أثار انتباهي بشدَّة مضمونُ تلك الدروس المحذوفة، فأحدها تحدَّث عن القعقاع بن عمرو التميمي، الذي اشتهر بالجِهاد والقوَّة، وكان إضافة مهمَّة لقوَّة ونصْر أي جيش ينخرط فيه ودرس آخَرُ عنوانه حاجة الشرق إلى التربية الحربية تحدَّث عن أهمية التسليح كي لا نكونَ نهبًا للظالم،وفريسة للمعتدي،وأشار إلى أنَّ التربية الحربية التي يجب الالْتزام بها في الشرق ينبغي أن تكونَ على أحدث نهْج، وأفضل نُظم الحرب؛ لأنَّ القُنبلة لا تُواجَه بالسيف وهناك درس آخر بعنوان على غار حراء تحدَّث الدرس عن الإسلام دِين العلم، وفيه ردٌّ على الذين ادَّعَوْا أنَّ رسالة الإسلام هي شِرعة السيف وحْدَه ٠

ومن المحذوفات أيضًا: وصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص، حين أمَّرَه على الجيش المتجه إلى العراق، ومما ورد في الكتاب قولُ عمر: ولا تؤت بأسير ليس له عَقْد أو عهد إلاَّ ضربت عنقه لتُرهبَ به عدوَّ الله ومن المحذوفات كذلك درسان يتحدَّثان عن علوم العَرَب،وأثرها في نهضة أوربا، ودرس آخر موضوعه: الموسوعات العربية في العصر المملوكي، ودراسة في كتاب صبح الأعشى، وقد تضمن استعراضاً للفساد، وتدهور القيم الأدبية، وأشار أنه بفساد السلطة ينتشر الجهل، وتنهار الأمم، كما تحدَّث عن نِفاق البعض الذي يؤدِّي إلى تصويب الخطأ الذي يرتكبه رؤساءُ القوم، وتحسين القبيح وبعدَ أن استعرض الأستاذ فهمي هويدي الموضوعاتِ المحذوفة، قال إذا صحَّ أن النصوص المحذوفة بالمضمون الذي سبق ذِكْرُه وأغلب الظنِّ أنه صحيح فإنَّنا نكون بصدد نموذج استبعدتْ منه قيمة الشجاعة والبطولة في درس القعقاع،قيمة الإعداد تحسبًا لاحتمالات العدوان، وضرورة توفير القُدرة العسكرية للأمَّة في درس حاجة الشرق إلى التربية الحربية، أهمية التعلُّق بالعِلم والتمكُّن من السلاح للتغلُّب على الذين يُعطِّلون سعينا إلى السلام، مع احترام أصحاب العَهْد في درس غار حراء، والاعتزاز بما حقَّقه العرب من نهضة في الماضي واستفاقتهم في الحاضر، والتنبيه إلى أنَّ مِن شأن فساد السلطة انتشارَ الجهل،

وانهيارَ الأمم، مع التحذير من النِّفاق في الحياة العامة في الدرس الأخير المتعلّق بالموسوعات العربية حين يُدقّق المرء في مضمون تلك النصوص، والمعاني والقِيم التي تبثُّها في مدارك الطلاب والطالبات، يلاحظ أنَّ الذي حُذِف هو بالضبط ما يُرجَى من العملية التعليمية أن توصلّه، أو تزرعه في نفوس الأجيال الجديدة **و**لا نعرف المعاييرَ التي على أساسها تَمَّ الحذْفُ، كما أننا لا نستطيع أن نُعمِّم تلك المعايير، أو نفترض ما حَدَث في هذه الدولة العربية تَكرَّر بنفس الأسلوب في بقية الدول العربية، مع ذلك فبوسعنا أن نُقرِّر أمرين:

أولهما: أنَّ النموذج الذي بين أيدينا يذهب إلى أبعدَ بكثير مِن تجفيف منابع التطرُّف، أو مكافحة الإرهاب، بل هو أقربُ إلى تجفيف الشخصية نفسِها، وتحويلها إلى نموذج باهِت، مهزوز القِيَم، عاجز عن أن يكون غيورًا على أمَّته، أو إيجابيًّا في مواقفه، أو حتى معتزًّا بهُويته٠

أما الأمر الثاني: فهو أنَّ عملية مراجعة المناهِج الدراسية شملتْ جميعَ الدول العربية،وأنها كانت أحدَ المطالب التي ضغطتْ لتحقيقها الإدارةُ الأمريكية عقب أحداث ١١ سبتمبر في إطار ما سُمِّي حرْبَ الأفكار، التي استهدفتْ تغيير المدارك والعقول؛ لكي تصبحَ أكثر استعدادًا للتكيُّف مع أوضاع الهيمنة الأمريكيَّة والإسرائيلية على المنطقة فانظر كيف يجتهدون في حذْف كلِّ ما مِن شأنه أن يُخرج مسلمًا مثقَّفًا، مستنيرًا واعيًا، قادرًا على العطاء، معتزًّا بتاريخه، معتزًّا بهُويته٠

ثانيًا: غرْس قيم الفكر الغربي في نفوس التلاميذ:لم يَكتفِ الأعداءُ وعملاؤهم بعملية مسْخ المناهج، ولا بتجفيف مواهبِ التلميذ الذاتية بدل تنميتها بل سَعَوْا إلى غرْس قِيم الفكر الغربي في نفوس التلاميذ منذ سِنٍّ مبكِّرة وكلَّ هذه الخُطوات هي ما أطلق عليها علماؤنا سياسة التفريغ والملء، فهم يُفرِّغون عقل التلميذ من قيمه الإسلامية، حتى إذا أصبح هذا العقل صفحةً بيضاء، قاموا بتلقيحه بقِيَم الفكر الغربي وانظر إلى هذه الخُطوة تقول جريدة آفاق عربية: أكَّدتْ مصادرُ بوزارة التربية والتعليم بمصر أنَّ الوزارة ستعقد اتفاقيةً مع الوكالة الأمريكية للتنمية، سيتمُّ بموجبها تعميمُ مشروع أمريكي جديد تحت عنوان مكتبتي العربية، حيث سيتمُّ توزيع كتب ذات طباعة فاخِرة ملونة، مترجمة عن كتب أمريكية تتبنَّى قِيَمًا غربية؛ لترويجها بين تلاميذ الصفَّيْن الثالث والرابع بالمرحلة الابتدائية، وتناقش الكتبُ الموضوعاتِ الجنسيَّة وهذا المشروع لم يقتصرْ على مصر،بل سيُعمَّم على كل الدول العربية، ويستهدف ثلاثة آلاف مدرسة عربية،وسيتمُّ من خلاله توزيعُ مليون كتاب على ١٢٠ ألف طالب وطالبة بالمرحلة الابتدائية، و٦ آلاف معلِّم ومعلِّمة.

وبالإضافة إلى ذلك، ولتتم عملية غسيل المخ، أوملء الفراغ على خير وجهٍ؛قاموا بتلك الخُطوة التي تَرْمِي إلى رصْد مائة مليون جنيه بالتنسيق مع الجامعة الأمريكية ووزارة التعاون الدولي؛ لتنفيذ برنامج لإعداد وتنمية القادة من خِرِّيجي المدارس المصرية، ويستوعب هذا البرنامج ١٦٢ طالبًا وطالبة؛للحصول على شهادة البكالوريوس في خلال ثلاث سنوات، واشترط على المرشحين أن يكونوا من الحاصلين على ٨٥ ٪ على الأقل في الثانوية العامة،ودرجات عالية في اللغة الإنجليزية، وسيُلحق المتميِّزُون بعد البكالوريوس بالجامعات الأمريكية، وسيتمُّ إلحاق قادة المستقبل هؤلاء بالولايات المتحدة لفَصْل دراسي كامل وانظر إلى خطورة هذه الخُطوة على عقول أبناء المسلمين وهُويَّتهم الإسلامية، التي حذَّر منها أهلُ الغَيْرة على ثقافة الأمَّة وقيمها، وكان من بينهم الأستاذ علي لبن أحد نوَّاب الكتلة البرلمانية لجماعة الإخوان المسلمين بمجلس الشعب المصري الذي تقدَّم بطلب إحاطة إلى رئيس مجلس الوزراء، ووزير التربية والتعليم: يقول: إنَّ إدارة العلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التربية والتعليم أرسلتْ خطاباتٍ إلى جميع مديريات التربية والتعليم بمحافظات مصر،تطلب فيها من جميع المدارس الإعدادية والثانوية ترشيحَ عدد ٣٠ طالبًا وطالبة من المتفوِّقين، ممن تتراوح أعمارُهم ما بين سن ١٥ و١٨ سنة للسَّفَر والإقامة المجانية بالولايات المتحدة الأمريكية؛ لمعايشة بعضِ الأُسَر هناك لمدَّة لا تقلُّ عن عام وكشف الأستاذ علي لبن عن أنَّ هذه المِنحة المجانية تقف وراءَها منظَّمة عالمية، مقرُّها نيويورك تُسمَّى الشبكة العالمية للتربية والمصادر

، وأنَّ مؤسسها يُدعَى بيتر كوين، وهو يهودي الأصل، ودخلتْ مصر عن طريق التعاقد مع وزارة التربية والتعليم عام ١٩٩٩م،وتضمُّ في عضويتها اثنين من السِّفارة الأمريكية بالقاهرة ومن أهداف الشبكة غرْسَ ما يُسمَّى بقِيم التسامح والإخاء العالمي بغَضِّ النظر عن الدِّين والجنس، واعتقاد أنَّ العالم كله أسرة واحدة كبيرة، لا يمكن أن تتجزأ، وهي نفس أهداف الماسونية العالمية التي تتعارض مع ثوابتِنا الإسلامية الصحيحة، فضلاً عن سعيها إلى طمْس هُويتنا، ومَحْو خصوصيتنا الدِّينيَّة والثقافية أرأيتَ ما يُعدُّ لأبنائنا التلاميذ؟ أترى أنَّ هؤلاء يعودون وهم يعتزُّون بدِينهم ووطنهم وثقافتهم؟أم أنهم يعودون لا يُمجِّدون ولا يعرفون سوى الغَرْب وثقافة الغرب، والخضوع للغرب؟ بل إنهم بعد أن يُصبحوا قادةً للمجتمع يقومون بكَبْت كلِّ صوت،أو فكر يُخالِف أهدافَ الغرب وأغراضه نعم، إنها النتيجةُ الحتمية التي تنتجها التربيةُ الغربية إلا ما رحم ربُّك وانظر إلى هذه الإجابة مِن جان بول سارتر عن سؤال وُجِّه إليه، وهو: كيف يظهر المفكّر في الشرق الإسلامي؟٠

فأجاب: كنَّا نحضِّر أبناء رؤساء القبائل وأبناء الأشراف والأثرياء والسادة مِن أفريقيا وآسيا، ونطوف بهم بضعة أيام في لندن وباريس وأمستردام، فتتغيَّر ملابسُهم، ويلتقطون بعضَ أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة،ويرتدون السترات والسراويل، ويتعلَّمون لُغتَنا وأساليب رقصنا، وركوب عرباتنا، وكنَّا نُروِّح بعضهم في أوروبا، ونلقِّنُهم أسلوبَ الحياة على أثاث جديد، وطرز جديدة من الزِّينة، واستهلاك أوربي، وغذاء أوربي، كما نضع في أعماق قلوبهم أوروبا، والرغبة في تحويل بلادِهم إلى أوروبا، ثم نُرسِلُهم إلى بلادهم،حيث يُردِّدون ما نقوله بالحَرْف تمامًا، مثل الثقب الذي يتدفَّق منه الماء في الحَوْض، هذه أصواتُنا تخرج من أفواههم،وحينما كنا نتحدَّث كنَّا نسمع انعكاسًا صادقًا وأمينًا لأصواتنا من الحلوق التي صنعناها،وكنَّا واثقين أنَّ هؤلاء المفكِّرين لا يملكون كلمةً واحدة يقولونها، غيرَ ما وضعنا في أفواههم، ليس هذا فحسبُ، بل سَلَبوا حقَّ الكلام مِن مواطنيهمَّ هذه الكلماتِ تبيِّن لنا سببَ حرص الغرب على مِثْل هذه البعثات المجانية لأبناء المسلمين في هذه السِّنِّ المبكرة، بل ودمجهم في أُسَر أمريكية أو غربية، لها فِكرُها وقيمها، وتقاليدها المغايرة تمامًا لقِيَمنا الإسلامية، إنهم بحقٍّ قادة المستقبل بأيدٍ وفِكر أمريكي وغربي،أُعِدُّوا إعدادًا خاصًّا؛ ليكونوا في المستقبل بعد أن يصبحوا القادة أبواقًا تُردِّد ما يقال لها من الغرب،وسلاحًا يسحقُ كلَّ صوت يخالف ما يريده الغرب.

الركن الثالث: تحديات في مواجهة المعلم:

والمعلم في العَمليَّة التعليميَّة لا يقلُّ أهميةً عن المنهج، والتلميذ، ولمكانة المعلّم وأثره في بناء المجتمع، فقدْ حثَّ الإسلام على احترامه وتكريمه، إذ بدون احترامه وتكريمه لن يُخرِجَ ما عنده من علوم ومعارفَ، ولا شكَّ أنَّ عدم احترامه، ومِنْ ثَمَّ عدم نصحه، يُحدِث انقطاعًا في التراكم الثقافي بين أجيال الأمَّة، ولا يخفى أثرُ هذا الانقطاع على تقدُّم الأمة وتحضُّرها، ولعلَّ هذا الأمرَ هو الذي جعل الحكوماتِ الواعية الجادة في إيجاد نهضة حقيقية تبدأ أوَّلاً بإعطاء المعلّم مكانتَه في المجتمع، ونحن في هذا الصدد نتذكَّر على الفَوْر اليابان؛ تلك الدولة التي ضُرِبت بالقنبلة الذرية، وبالرغم من ذلك تصبح في مدَّة عقدين من الزمان من أكثر دول العالم تقدُّمًا، وما ذلك إلاَّ لأنها اهتمتْ بالمعلّم، فأعطته مرتَّبات الوزراء، ومنحته صلاحياتِ وكلاء النيابة أما المعلم عندنا:

أولاً: تجد وسائلَ الإعلام تسعى جاهدةً لضرب قِيمته في المجتمع، مِن خلال إظهاره مُزدرى الشكل والهيئة، كما تسعى لضرْب قِيمته في المدرسة،وداخل الفصل بين التلاميذ، وليستْ مسرحية مدرسة المشاغبين خافية على أحد، والإنسان يتساءل: كيف تنهض أمَّةٌ تغرس في نفوس الطلاَّب أن يتعاملوا مع المعلّم بهذه الكيفية؟ وكم كان عرْض هذه المسرحية سببًا في تطاول الطلاَّب على الأساتذة.

ثانيًا: ضعْف راتب المعلّم؛ مما يجعل مع غلاء المعيشة الكثيرين منهم يُقصِّرون في الشرْح في الفصل كي يَحملَ الطلاَّبَ على الدروس الخصوصية، وفي مقابل ضعْف راتب المدرِّس تجد ما يُشبه الجنون في الإنفاق على الأفلام والكُرة، وغير ذلك ولا شكَّ أنَّ هذا الوضع المزري للمعلّم أدبيًّا وماديًّا أدَّى بالطبع إلى غياب الاحترام والتقدير اللّذين كان يحظى بهما في الماضي، وممَّا ساعد على انتشار هذه الظاهرة عدم احترام المعلم ما حاولتِ المؤسَّسات التعليمية تقريرَه وبقُوَّة وهو منْع التأديب المتمثّل في الضرب غير المبرِّح ، بل وأصبح تأنيبُ الطالب وزجره وتقويمه جريمة نكراء، فكان لا بدَّ أن تبدأ ظاهرةُ التطاول على المعلّم، ووصل الأمر إلى الاعتداء عليه داخلَ المدرسة أو خارجَها،وربَّما يقف المعلّم أمام القضاء كسائر المجرمِين ؛ لأنَّ طالبًا قد اشتكاه، ولا شك أنَّ هذا الوضع يصرف المعلّم عن الاهتمام بأداء واجبه،ومِنْ ثَمَّ تقوَّض أُسس التربية، وقواعدُ الأخلاق، وينقطع سَيْل تراكم المعرفة، فتتخلف الأمَّة عن ركْب الحضارة.

ثالثًا: إبعاد المدرِّسين الملتزمين دينيًّا، وتحويلهم إلى إداريِّين:

وتُعتبر هذه الخطة من أخبث ما دبَّرَه أعداؤنا، ونفَّذه عُملاؤهم في بلادنا؛ إذ الثابت أنَّ المعلِّم المتديِّن انطلاقًا من إدراكه لواجبه ومسؤوليته أمامَ الله، فإنَّه يجتهد في توصيل مادته العِلمية لأولاد المسلمين، ثم انطلاقًا من غَيْرته الدينيَّة، فإنَّه يسعى جاهدًا لغَرْس مبادئ الإسلام في نفوس التلاميذ، وتعريفهم بعَظمة الإسلام، ولَفت أنظارهم إلى المؤامرة على عالَمنا الإسلامي، وكلُّ ذلك يخشاه أعداؤنا، ويخافون مِن خروج أجيال مسلِمة تعي ذلك، ومن هنا حَرصوا على إبعاد كلِّ المدرسين الذين يأتَّى منهم إفساد خطتهم وإذا كانت حكوماتُنا تجتهد في إبعاد المتدينين مشاركةً منهم في سياسة تجفيف المنابع الدينية، فهل تُلام سلطاتُ الاحتلال اليهودي في فلسطين إذا قامتْ بفصل مجموعات من المعلِّمين النشطِين فصلاً تعسفيًّا، كمحاولة منها لقطْع أرزاقهم، وحرمان الأجيال المسلِمة من التربية الإسلامية الصحيحة، وترْك هذه الأجيال تتخبَّط في ظلمات الجهل؟ بالطبع لا يُلام الصهاينة؛ إذ إنَّهم رأوا حكوماتِنا سبقتهم في هذا وحازوا قصَبَ السَّبْق في هذه المنطقة الإسلامية بعدَ مجرمي الشيوعية في روسيا، وما فعلوه في المسلمين هناك كي يُجفِّفوا منابع الإسلام هناك على المدى البعيد، ولعلَّ هذا الكلام يقودنا إلى الحديث عن خطَّة تجفيف المنابع الإسلامية في روسيا، وكيف سار على نهجها عملاءُ الاحتلال في بلادنا الإسلامية ليست مشكلة تجفيف المنابع الإسلامية وليدةَ السياسة المعاصِرة، أو وليدةَ الفكر الحديث؛ بل سياسة قديمة قِدَم ظهور الإسلام، وما محاولة المشركين التخلُّص من رسول الله ص

إلاَّ بدايةٌ لهذه المؤامرة، وهل كان وقوف قريش ضدَّ كلمة التوحيد كي لا تصل إلى آذان القادِمين إلى مكة للتجارة أو الحج إلاَّ من هذا القبيل؟ وهل كان قتل الصحابة وحمَلَة القرآن الذين كان يبعثهم النبي ص لتعليم الناس مبادئ الإسلام؛ كأصحاب الرجيع وبئر معونة وغيرهم إلا من قبيل تجفيف منابع الإسلام؟ لكن هذه المحاولات ما كانت لتصمد أمام تيَّار الحق الجارِف الذي حملته نفوس آمَنت وصدقت في حمل رايته ،وظلَّت أساليب سياسة تجفيف المنابع في الأعم الأغلب تتَّبع نفس أساليب المشركين القديمة، حتى كان العصر الحديث، وكان تفكير الاحتلال الخبيث، وما بدأ دُهاة الغرب يضعونه من خطط لمواجهة الإسلام دون حدوث صدام مسلَّح يدرك الأعداء نتيجته مسبقًا؛ لوعيهم وحسن قراءتهم لخطِّ سَيْرِ التاريخ، ونتائج الصراع المسلَّح مع الإسلام.

وسوف نتحدَّث عن نموذج يُعَدُّ النموذج الأمْثَل عند أعداء الإسلام لخطَّة تجفيف المنابع الإسلامية، بل يُعَدُّ كذلك النموذج الذي احتذاه كثيرٌ من الحكَّام العلمانيين في الدول الإسلامية لمواجهة المد الإسلامي المعاصر إنها تجربة الحزب الشيوعي في بدايات القرن الماضي عندما حاول منظِّروه القضاء على الإسلام؛ كي تتمكَّن الشيوعية من الهَيْمَنة على البلاد التي حكمَتْها ومن عجيب ما يُذكَر أن هذه التجربة الأم لسياسة تجفيف المنابع رسمها مفكِّر شيوعي من أصل مسلم، اسمه سلطان جاليِيف، وقام الحزب الشيوعي بتنفيذها في البلاد الإسلامية التي بدأت الشيوعية تسيطر عليها ولما كان الإسلام هو الدين القادر على الصمود أمام زحف الشيوعية، فقد عمل جاليِيف على اتخاذ سياسة النَّفَس الطويل للقضاء عليه.

أبعاد خطة جاليِيف ومراميها:

أولاً: عمل على وجوب إبعاد المسلمين عن دينهم بمراحل تدريجية لا تُثِير صدامًا أو مقاومة، قد تتَّخذ شكل حرب وطنية مع محاولة الشيوعية التظاهر بأنها لا تشنُّ حربًا على الإسلام وما كادت الحرب الأهلية تنتهي حتى بدأت الحكومة السوفيتية تهاجِم الإسلام بطريقٍ غير مباشر، وذلك بالقضاء على:

أولاً: الأوقاف باعتبارها القوة الاقتصادية التي تمدُّ علماء الدين.

ثانيًا: المحاكم الشرعية التي تمنح الإسلام السيطرة على حياة المسلمين الخاصة.

ثالثًا: التعليم الديني الإسلامي؛ لما له من أثر في تخريج أجيال مسلمة ملتزمة بدينها، معتزَّة بعقيدتها.

وقد شنَّت الشيوعية الحرب على هذه الهيئات الإسلامية في وقت واحد وفي سنة ١٩٣٠ قضت حكومة موسكو عمليًّا ونهائيًّا على مؤسسات الوقف الكائنة في طول الاتحاد السوفيتي وعرضه بعد خطوات تمهيدية تحت وعْدِها بأن توزع الأرض على الفلاحين، وبذلك حُرِم علماء الدين من مصادر رزقهم، كما حرمت المساجد والمدارس من الوسائل المادية لدوام بقائها ومع هذه الحملة بدأت حملة أخرى على علماء الدين، وأخذت تتَّهمهم بالجهل وعدم فهم القرآن، ثم تطوَّرت إلى اتهام العلماء بالسرقة والإجرام، وأخيرًا بسوء السيرة والخلق، ولك أن تتنبَّه إلى هذه الطريقة التي تَمَّ بها التخلُّص من المحاكم الشرعية في بعض الدول الإسلامية خاصة مصر ثم تطوَّرت الحملة إلى مهاجمة الإسلام في جوهره وصميمه وبعد هذه المراحل التي تمَّت بدون صدام اتّباعًا لسياسة النَّفَس الطويل التي رسمها جاليف فقد رأت الحكومة السوفيتية أنه قد أصبح بالإمكان تنفيذ المرحلة الثانية؛ وهي الكفاح في سبيل إقامة مجتمع شيوعي بعيد كلَّ البُعْدِ عن الأفكار الدينية ومن العجيب أن الحكومة الشيوعية لمَّا قرَّرت مجابهة الإسلام والقضاء عليه لم تترك أعضاء حزب الجديد، بل تم تصفية أكثر أعضائه أمثال سلطان جالييف

خطة تجفيف المنابع ووسائل تنفيذها في العالم الإسلامي:

اتَّخذت الحكومات العلمانية التسلُّطية في عالمنا الإسلامي وفي الدول العربية بالذات من سياسة تجفيف المنابع التي رسمها جالييف خطَّة تسير على هداها، وتنسج على منوالها، في مجابهة الإسلام والتضييق عليه، إن لم يكن القضاء عليه وهذه بعض النماذج في الدول العربية:

أولاً: القضاء على التعليم الديني والتضييق على معاهده وجامعاته:

يُعتَبر التعليم الديني بمعاهده وجامعاته أقوى رافد يمدُّ المجتمع الإسلامي بالشباب المسلم المتفقّه في دينه، العالم بعظمة الإسلام، المعتز بهويته، وطالما أدرك الأعداء أن هذا الرافد التعليم الديني حجَر عَثْرَة في طريقهم؛ فلا بُدَّ أن يسعوا للقضاء عليه، وبالفعل تَمَّ القضاء على العديد من الجوامع الإسلامية والمعاهد التي كانت تقوم بنشر التعليم الديني؛ أمثال جامع الزيتونة، وجامع القرويِّين،وأخيراً المعاهد العلمية في اليمن، ولأهمية الأزهر في العالم الإسلامي وخبث ما يُعَدُّ له؛ سوف نخصُّه بشيءٍ من الإيضاح والتفصيل فالمؤامرة على الأزهر في العصر الحديث تمتدُّ جذورها إلى الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت، الذي أحسَّ بقوَّته ومدى التفاف الشعب حول علمائه؛ فأراد أن يتخلَّص منه ومن علمائه، فضربَه بالمدافع وحوَّله إلى إسطبل للخيل،وحاوَل أن يقضي على ما فيه من نفائس الكتب والتراث الفكري الإسلامي، ورغم ذلك،فشل في نيل مراده وبعده جاء الاحتلال البريطاني بدُهَاته وخبثائه أمثال اللورد كرومر، والقس دانلوب

الذي سَيْطَر على مقاليد التعليم في مصر وأدرك هؤلاء الخُبَثاء خطورة الأزهر على وجودهم في مصر، حتى قال كرومر إن التعليم الوطني في قبضة الأزهر الشديد المتمسك بالدين، والذي يقف حاجزًا في طريق أيِّ إصلاح تعليمي، وكان الطَّلَبة الذين يتخرَّجون منه يحملون قدرًا عظيمًا من التعصُّب الديني، فلو أمكن تطويره لكان خطوة جليلة الخطر، فليس من اليسير أن يُتَصوَّر أيُّ تقدُّم لنا طالما ظلَّ الأزهر متمسِّكًا بأساليبه، وإذا بدا أنَّ مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها، فحينئذ يصبح الأمل محصورًا في التعليم اللاديني، الذي يُنافِس الأزهر حتى يُتاح له الانتشار والنجاح ومن هنا بدأت الحملة ضدَّ الأزهر ومنافسته بالتعليم اللاديني، وكانت هذه هي الخطة التي بدأ بها دانلوب حرب الأزهر، حيث أراد أن يخنق الأزهر ثم يقضي عليه، دون صدام مباشر كما فعل نابليون وفشل من قبل.

بدأ دانلوب يُنشِئ مدارس مدنية، ليس القرآن ولا الدين من موادها الأساسية كما هو الشأن في الأزهر، هذه المدارس كان الناس في البداية ينظرون إليها على أنها مدارس الكفر،ويحذِّرون من إدخال أولادهم فيها، إلا أن الخطة جعلت أبناء هذه المدارس هم أصحاب المكانة والوجاهة، وهم الأكثر ثراءً؛ فسنوات التعليم قليلة، والمرتَّبات مرتفعة، ووظائفهم جاهزة،أمَّا أبناء الأزهر فمدَّة الدراسة طويلة،والوظائف قليلة،وإن وُجِدت فمقيم شعائر في مسجد بأجر زهيد أضِف إلى ذلك حرص الخطَّة على إبعاد الأزهريين عن مراكز التأثير،خاصة الثقافي والسياسي، ثم تضافرت في هذه الخطوات وسائل الإعلام

التي أسهمت في تشويه صورة عالِم الدين الأزهري، وإظهاره في الأفلام وغيرها في صورة ساخرة نفَّرت الناس خاصة الناشئة من أن يكونوا أزهريين كل هذه الترتيبات جعلت الناس ينصرفون عن الأزهر،ويرمون أولادهم في أحضان تلك المدارس التي كانوا يرونها مسبقًا مدارس الكفر.

أضِف إلى ذلك ما قام به الأعداء وعملاؤهم من إنشاء الجامعة الأمريكية، التي أُرِيدَ بها تحويل الأنظار وجذب الناس بعيدًا عن الأزهر؛ لما أصبح ينتظر أبناءَها من مستقبل باهر ومرتَّبات مرتفعة، وذلك بترتيبات الأعداء وإنشاء الجامعة المصرية التي حملت منذ اليوم الأول مخطَّط التعليم العلماني، وقام عليها طه حسين، وأمين الخولي، وأحمد أمين ولم يكتفِ القائمون عليها بذلك، بل طالب بعضهم أمثال طه حسين تمشِّيًا مع سياسة الاحتلال الرامية إلى عَزْلِ الأزهر عن الحياة وحبسه في المساجد بقصر أهداف التعليم في الأزهر على تخريج وُعَّاظ، ونادَى بعدم إقحامهم في الوظائف الأخرى.

ثانيًا: مصادرة الأوقاف التي كانت تمدُّ الأزهر بالقوَّة الاقتصادية:

وكانت هذه الخطوة من الخطوات الخطيرة، ومن الضربات القاصمة التي وجَّهوها إلى الأزهر وعلمائه وطلاَّبه؛لأن استقلال الأزهر بمواردِهِ المالية يُعتَبر من أقوى الضمانات لاستقلال قراره وقوَّة كلمته، فعملت القُوَى المعادية على تجريده من جميع أوقافه ونهبها، منذ عصر محمد علي وهم يحتالون للأمر حتى أمكنهم بالمكر والخديعة أن يستولوا على أوقاف الأزهر ويعطوه مالاً من خزانة الدولة وأشار إلى هذه الخديعة الدكتور محمد البهي فيقول: إنه في عام ١٩١٥ ورَدَت رسالة من دانلوب إلى شيخ الأزهر تتأسَّف فيه وزارة الخزانة لأن المبلغ الذي خُصِّص للأزهر قليل، وقد وعد أن تصرف وزارة الخزانة مبلغ ثمانية آلاف جنيه للأزهر، بشرط أن تنتقل أوقاف الأزهر إلى وزارة الخزانة ثم أُنشِئت وزارة الأوقاف التي استمرَّت بميزانية مستقلة حتى جاءت حركة الجيش في يوليو ١٩٥٦ حيث صدر قرار بضم الأوقاف إلى الحكومة وحينما ننظر إلى عملية التخلُّص من الأوقاف الإسلامية التي كانت تمدُّ الأزهر، نجد أنها قريبة من عملية التخلُّص منها في الدول الإسلامية التي سيطرت عليها الشيوعية، والتي خطط لها سلطان جالييف فالاحتلال مهَّد لها منذ عام ١٩١٥م ثم لمَّا أزعجهم دور الأزهر في ثورة ١٩١٩، قاموا باقتحام مكتبة الأزهر واستولوا على حجج أوقاف الأزهر؛ للقضاء على قوَّته وإضعافه وتدميره، ثم كانت الخطوة النهائية بضمِّ الأوقاف إلى الحكومة عام ١٩٥٦ .

ثالثًا: تطوير الأزهر: نظر الأعداء إلى الأزهر، فلم يرقهم ذلك، وعملوا على تغيير طرق الدراسة،والمناهج المقررة تحت مسمى تطوير الأزهر وكان هذا العمل مقدِّمة لما يُراوِد المحتلِّين من أماني في تطوير الأزهر كله، وتغيير معاييره ومفاهيمه الإسلامية ليصبح شيوخه أكثر قبولاً للأوضاع الوافدة، كالوطنية والقومية، ولتنحل فيهم عقدة رفض كلِّ ما هو غير إسلامي، حتى يمكن التفاهم مع أجيالهم الحديثة؛ لتعايش العلمانية على الأقل، إن لم يمكن احتواؤهم، ونقل ولائهم التام إلى هذه الجاهلية الطاغية وليس هذا ظنًّا أو تخمينًا، وإنما هو فعلاً السياسة الثابتة للاحتلال وكان من خطوات التطوير التي سعى إليها دُهَاة الاحتلال: أن بدأوا يتطلَّعون بمساعدة عملائهم من أبناء المسلمين إلى إنشاء كلية لتخريج القضاة الشرعيين بعيدًا عن الأزهر وأشار اللورد كرومر إلى هذه الخطوة في تقريره حيث يقول: كنت أتَّصل بالبارون كالي حاكم البوسنة لتبادل الرأي في الموضوعات ذات الطابع المشترك، واستطعت أن أحصل بفضل مساعدته ومساعدة خَلَفه على معلومات وافية عن الكلية التي أنشأتها حكومة النمسا والمجر في سرايييفو لتخريج القضاة يقصد قضاة الشرع المسلمين وهي كلية أثبتتْ نجاحها من كلِّ الوجوه، ووضعتُ هذه المعلومات تحت تصرُّف لجنة ذات كفاية ممتازة يرْأسها المفتي الأكبر السابق يعني: الشيخ محمد عبده بقَصْدِ وضْع خطَّة مشابهة تُلائِم ظروف مصر وحاجاتها،و أتمَّت اللجنة عملها ، ووضعت النُّظُم المقتَرَحة تحت تصرُّف الحكومة،

وهي الآن قيد البحث في وزارة العدل وهذه النُّظُم تزوِّد الطالب ببرامج ثقافية ذات طابع تحرُّري، لا تحصر الطالب في الدراسات الدينية الخالصة إنها خطَّة تسير في تدرُّج حَثِيث بمناهج خاصة تُنشِئ جيلاً جديدًا من رجال الشريعة، يَقْبَلون التعايُش مع النُّظُم العلمانية، إن لم ينخَرِطوا فيها بأنفسهم وإذا كان الأعداء عجزوا عن تنفيذ كلِّ أهدافهم في محاربة الإسلام ومحاربة الأزهر، باعتباره أقوى هيئة دينية تسعى لنشر الإسلام الصحيح، وتبصِّر المسلمين بمبادئه فقد قام عملاؤهم ممَّن يتسمَّون بأسماء إسلامية ،ويتظاهرون بالإسلام بإكمال ما بدأه أعداء الأمَّة وكان موضوع تطوير الأزهر من الأمور التي سهر لها الأعداء، إلا أنهم لم يُكمِلوا الخطة إلى نهايتها، إنما قام بإكمالها عملاؤهم فيما بعد وكان قرار تطوير الأزهر الذي صدر سنة ١٩٦١م من الأمور التي دبِّر لها بليلٍ، والذي من خلاله استطاعوا أن يُبعِدوا الكفاءات علمًا وسلوكًا عن قيادة هذا الصرح الإسلامي العظيم هذا الأمر الذي وصَفَه الدكتور عبدالعظيم المطعني بأنه تأميم المناصب العليا في الأزهر ويقول ونعني بالتأميم هنا: شغل هذه المناصب المؤثرة بقرار سياسي سيادي، وهذا أمر طرَأ على الأزهر مع صدور قانون تطوير الأزهر والهيئات التابعة له هذا القانون أحدث تغييرات جوهرية في رسالة الأزهر تعليمًا ومناهج وإدارة وتنويعًا، وكان من أبرز ما فيه بالنسبة لموضوعنا ما يأتي:

١- جَعْلُ منصب شيخ الأزهر بالتعيين، وكان يتمُّ شغل هذا المنصب الجليل عن طريق الانتخاب من أعضاء جماعة كبار العلماء.

٢- إلغاء جماعة كبار العلماء، وتغيير الوسيلة التي كانوا يُنتَخبون بها أعضاءً في تلك الجماعة.

٣- تنصيب رئيس لجامعة الأزهر عن طريق القرار السياسي السيادي.

٤- شغل جميع المناصب القيادية في إدارة الأزهر وإدارة الجامعة عن طريق التعيين السياسي السيادي.

وكان لهذا أثر كبير في مجال الدعوة كمًّا وكيفًا، وأصبح أصحاب هذه المناصب يدين بشدَّة بالولاء لِمَن بيديه التعيين والعزل، وتولَّد عن هذا إحساس بالرغبة والطمع في نفوس المعيَّنين، إلا مَن عصمه الله ومن التغييرات التي أحْدَثها قانون تطوير الأزهر في الأقسام بالكليات وفي المناهج كذلك أنهم:

١- قاموا بإلغاء تخصُّص القضاء الشرعي من كلية الشريعة، وكان ذلك تبعًا لإلغاء القضاء الشرعي جملة، بعد المسرحية التي مثَّلوها ولفَّقوا فيها تهمة نكراء لقاضيين شرعيين الشيخ الفيل، والشيخ سيف.

٢- إدخال القانون الوضعي في صُلْبِ برامج الدراس لكلية الشريعة بجامعة الأزهر، وتسميتها: كلية الشريعة والقانون.

وحتى يتمَّ تحويل ولاء حمَلَة الشريعة والقانون إلى القانون الوضعي بالتدريج أولاً، وحتى يضمنوا التسليم بمبدأ ضمِّ الأحكام الشرعية إلى القانون؛ ممَّا يُتِيح للحكومات فرصة تحويرها أو تغييرها، باعتبارها جزءًا من القانون لا من الدين ثانيًا؛ فقد نصَّ قانون السلطة القضائية المصرية رقم ٤٣ لسنة ١٩٦٥م على تعيين خريجي كلية الشريعة والقانون في وظائف معاونين ووكلاء للنائب العام للأحوال الشخصية ولا شكَّ أن هذا من الاستدراجات الخطيرة؛ حتى يضمنوا سكوت هؤلاء الخريجين وكان أخطر ما انطوى عليه هذا القانون أنه مكَّن عملاء الاحتلال من وضع غير الأكْفَاء على هذه الهيئة الدينية الخطيرة، وهذا العمل كفيلٌ بإسقاط دولة من أعظم الأمم، فكيف بهيئة يتفنَّن لإسقاطها الأعداء؟•

مظاهر ضعف الهوية الإسلامية لدى الشباب المسلم

تتكاثر المظاهر التي قد يراها البعض انفتاحاً وتقدماً ورقياً في حين يراها الآخرون إذلالاً وتبعية وذوباناً للهوية **و**يمكنك أن ترى أزمة الهوية الإسلامية في الشباب الذي يعلق علم أمريكا في عنقه وفي سيارته، وفي الشباب الذي يتهافت على تقليد الغربيين في مظهرهم ومخبرهم، وفي المسلمين الذين يتخلون عن جنسية بلادهم الإسلامية بغير عذر ملجئ ثم يفتخرون بالفوز بجنسية بلاد الكفرة وفي المذيع المسلم الذي يعمل بوقاً لإذاعة معادية لدينه من أجل حفنة دولارات، وفي أستاذ الجامعة الذي يسبح بحمد الغرب صباح مساء وفي كل ببغاء مقلد يلغي شخصيته ويرى بعيون الآخرين ويسمع بآذانهم وباختصار: يسحق ذاته ليكون جزءاً من هؤلاء الآخرين أيبتغون عندهم العزة ؟

وبلغت الأزمة حد أن الأمة صارت تستورد قيمها من غيرها، لتبني حضارتها ولاشك أن هذا أعظم خداع للذات ؛ لأنها تبني بيتها على جرف هار، فمن يتصور أن في اتباع قيم الآخرين ومناهج حياتهم الوقاية من بطش أمم شاء الله لها العلو في الأرض زمناً والإفساد فيها إلى حين لهو واهم؛لأن صدام الحضارات والأديان والثقافات أصبح حقيقة واقعة ومعلوم من التاريخ والواقع بالضرورة٠

ويرى آخرون:أن الخطر الأكبر الذي يهدد الأمم والشعوب في هذا العصر،هو ذلك الخطر الذي يمسّ الهوية الثقافية والذات الحضارية والشخصية التاريخية للمجتمعات الإنسانية في الصميم،الذي قد يؤدي إذا استفحل،إلى ذوبان الخصوصيات الثقافية التي تجمع بين هذه الأمم والشعوب، وتجعل من كل واحدة منها، شعباً متميزاً بمقومات يقوم عليه كيانه،وأمة متفردة بالقيم التي تؤمن بها وبالمبادئ التي تقيم عليها حياتها ومهما تكن الألفاظ الجامعة التي يوصف بها هذا الخطر الذي بات اليوم ظاهرةً تكتسح مناطق شتى من العالم، بما فيها المناطق الأكثر نموًّا والأوفر تقدًّما في المجالات كافة، وأياً كانت طبيعة هذه الظاهرة وحجمها والأدوات التي تستخدم في تحريكها،فلاشك أن الهوية والثقافة بخصوصياتهما ومكوّناتهما ومقوماتهما هما المستهدف في المقام الأول، وأن الغاية التي يسعى إليها الماسكون بأزّمة السياسة الدولية في هذه المرحلة،هي محو الهويات ومحاربة التنوع الثقافي، والعمل على انسلاخ الأمم والشعوب عن مقوماتها، لتندمج جميعاً في إطار النموذج الأمريكي الأكثر إبهاراً، والأشدّ افتتاناً في العصر٠

أهم المظاهر التي تدل على أزمة الهوية لدى الشباب المسلم :

١- الانبهار الشديد بالتقدم الغربي على مستوى التكنولوجيا والحضارة المادية٠

٢- التطلع لمشابهة الغربيين والأمريكيين وغيرهم من الشعوب المتقدمة مع الشعور بالدونية٠

٣- الهروب من القيم المقيدة للسلوك الإباحي تشبها بالغربي الجنسي والسلوكي٠

٤- ضعف الولاء والانتماء للتشكيل الإسلامي القيمي والمبادئ والمعيشة٠

<u>وسائل وآليات الغرب لمحو الهوية لدى الشباب المعاصر :</u>

١- تحريف المفاهيم الدينية، كي تتفق مع الأفكار التي تروجها العولمة المعاصرة،باستبعاد الإيمان بالغيبيات واعتباره مضادا للعقلانية العلمانية٠

٢- إيجاد فئات وشرائح ومؤسسات في المجتمعين العربي والإسلامي تعمل كوكيل للثقافة الغربية،بتقديم المساعدات المالية لمشاريع أبحاثها وعقد الندوات واللقاءات التي تدعم توجهاتها الثقافية للهيمنة على الثقافتين العربية والإسلامية

٣- إنشاء مجموعة من المراكز والمؤسسات التي تؤثر مباشرة على الثقافة العربية،مثل:جامعات التنصير ومراكز اللغات والترجمة ومؤسسات خيرية ومدارس أجنبية يتمثل دورها جميعاً في التأثير الفكري والتربوي واللغوي على طلبة العلم والمعرفة، وفرض مناهجها وأفكارها مع التقليل من مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية٠

٤- يعد الإعلام مرتعاً خصباً ومجالاً فسيحاً يتم من خلاله الغزو الثقافي لإشاعة السموم والفتن من أجل تحطيم القيم والثوابت الأخلاقية، ولقد تحولت وسائل الإعلام إلى قنوات لنشر الرذيلة والانحطاط بالغريزة البشرية وانهيار السلوك الإنساني والتباس الحق بالباطل٠

٥ - إن قنوات التلفزة تشكل تهديداً خطيراً ومعول هدم للهوية الإسلامية الحضارية والثقافية من خلال بث البرامج والأفلام والمسلسلات الخليعة والمسرحيات الهابطة ٠

كيف نحافظ على الهوية الإسلامية؟

دين الإسلام يُعْنى بتأكيد الهوية الخاصة ويرفض أطروحات الغرب العقدية والتشريعية، ويأمر بمخالفتها، فالله تعالى يقول (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) وقد روى الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ص قدم المدينة وأهل المدينة لهم يومان يلعبون فيهما، فقال: ما هذان اليومان قالوا: كنَّا نلعب فيهما بالجاهليَّة، فقال ص إنَّ الله أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر قال شيخ الإسلام ابن تيمية :إنَّ الأعياد من جملة الشرع والمنهاج والمناسك التي قال الله تعالى: لكل أمَّة جعلنا منسكاً هم ناسكوه كالقبلة والصيام، فلا فرق بين مشاركتهم العيد وبين مشاركتهم سائر المنهاج، فالموافقة في العيد موافقة في الكفر لأنَّ الأعياد هي أخص ما تتميَّز به الشرائع قال الحافظ الذهبي رحمه الله

:فإذا كان للنصارى عيد ولليهود عيد كانوا مختصين به فلا يشركهم فيه مسلم كما لا يشاركهم في شرعهم ولا قبلتهم وجاء عن الشريد بن سويد قال: مرَّ بي رسول الله ص وأنا جالس هكذا وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتَّكأت على إلية يدي فقال عليه الصلاة والسلام: أتقعد قعدة المغضوب عليهم أخرجه أبو داود، والمقصود بالمغضوب عليهم: اليهود، ويعلّق الإمام ابن تيمية على هذا الحديث فيقول:وهذا مبالغة في تجنب هديهم.

إنَّ محافظة الأمة المسلمة على هويتها الإسلامية، والاعتزاز بهذا الدين العظيم ، يولّد لديها الشعور بأنَّها الأمَّة التي اصطفاها الله من بين العالمين لخيريتها وسمو تشريعاتها،ولكنَّا للأسف نرى أناساً من المثقفين العرب وغيرهم ،يكفرون بهويتهم وينقلبون على واقعهم الإسلامي بالهمز واللمز ،بل ويذوبون في المشروعات الغربيَّة المناهضة للمشروع الإسلامي، والتغريب هي القنطرة التي عبرت عليها العلمانية إلى الشرق ،وهذا التغريب لم يكن لحظة انبهار؛ لأن الانبهار يزول سريعاً فتبدو الأشياء على حقيقتها ، وإنما كان لحظة عمى وعمهٍ حضاري، كان لحظة تعاقد تآمري أو على حد تعبير د محمد عمارة :عمالة فكرية وحضارية وأول أمر في الحفاظ على الهويَّة الإسلاميَّة؛ تعميق الإيمان بالله تعالى فله أثراً كبيراً في تحصين القلب ضدَّ الأفكار الهدَّامة، وقد أدرك ذلك الشيخ محمد قطب فقال:وأول ما نبدأ به من هذا الجهد، هو تصحيح منهج التلقي من أين نتلقى فهمنا لهذا الدين؟

من كتاب الله وسنة رسوله ص وسيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم؟ أم مما دخل على هذا الفهم الواضح المستقيم من أفكار دخيلة ومنحرفة، بتأثير عوامل متعددة أثناء المسيرة الطويلة للأمة الإسلامية،واحتكاكها الدائم بأخلاط من المذاهب،وأخلاط من الأفكار؟فإذا صححنا منهج التلقي، وصححنا ما انحرف في حس المسلمين المتأخرين من مفاهيم الإسلام الرئيسية، بقيت علينا مهمة أخرى لا تقل خطراً،هي مهمة التربية على المفاهيم الصحيحة لهذا الدين والتربية هي الجهد الحقيقي الذي ترجى معه الثمرة، لكنه لن يؤت ثمرته حتى يقوم على أساسه الصحيح ٠

وإليكم قصَّة تدلل على مدى ضرورة المحافظة على الهوية لكل أمَّة تريد أن تصنع لنفسها كينونة وخصوصية تتسم بها ، فنحن نعلم جميعاً ما وصلته اليابان من قوة تقنية وصناعية لا ينكرها منكر، ونتذكر جيداً أنَّ اليابانيين حين ضربتهم أمريكا بالقنبلة النووية ودمَّرت ناجازاكي وهيروشيما ،رأوا أنَّ من أسباب ضعفهم عدم قدرتهم على مواجهة الأمريكان ، وقلَّة المعلومات التقنيَّة التي لديهم ؛ فأرادوا تحقيق المناعة واستقطاب المعلومات التي يجهلونها فأرسلوا بعثات للتعلم في بلاد الغرب والنهل من علومهم الطبيعية ، حتى يرجعوا إلى اليابان وينقلوا إلى أرضها تلك التجارب الغربية الطبيعية فتنهض دولتهم ، وحين بعثت أول بعثة يابانية إلى دول الغرب رجعوا إلى بلادهم متحللين من مبادئهم ، ذائبين في الشخصية الغربية ، فما كان من اليابانيين

إلاَّ أن أحرقوهم جميعاً على مرأى من الناس في طوكيو ، ليروا عاقبة من تنكر لأمته وقيمه ، ولم يرعَ المسؤولية التي أنيطت به ، وبعد ذلك أرسل اليابانيون بعثة أخرى ، وأرسلوا معها مراقباً يراقبهم أولاً فأول ، من ناحية ثباتهم على عقيدتهم وخصوصياتهم البوذية ،ومراقبة انهماكهم في استقطاب وجذب المعلومات التي يجهلونها لينقلوها إلي واقع بلادهم، وتمضي الأيام وتكون اليابان من أكبر الدول التقنية في العالم أجمع، بل والمنافسة والمسابقة لأمريكا وأوروبا في كثير من التخصصات التقنية أليس في هذه القصة درس وعبرة بما يفعله الآخرون من غير المسلمين في الحفاظ على هويتهم، ومع ذلك وصلوا ونجحوا، وذلك لمحافظتهم على الخصوصية والهوية الخاصَّة بهم، فأولى بنا وبالأمة المشهود لها بالخيرية والوسطية أن يكون أبناؤها خير أناس يحافظون على هوية الأمة الإسلامية ، ويرعون هويتهم حقَّ رعايتها ؟ وهناك نقطة ذات أولويَّة تسهم في المحافظة على الهويَّة والخصوصيَّة الإسلامية مما يسمى:عولمة الثقافة وإشعار هذه الأمة بخطورة هذه الفكرة،وأنَّ فحواها ومحتواها طمس الخصوصيات الإسلاميَّة ،وإشغال الأمَّة المسلمة بما لدى الأمم الغربيَّة والأمريكيَّة على وجه الخصوص من ثقافات جديدة ، وإغراقهم في المستنقع الثقافي لما يسمَّى بالقرية الكونية وإذا كانت وزيرة الثقافة الدنماركيَّة اشتكت من هيمنة الثقافة الأمريكيَّة ،

وقالت:لم يعد يحتمل هذا الغزو وإذا كان الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران وقف يخطب في الجموع المحتشدة محذِّراً من تفشِّي ظاهرة لبس الجينز بين الشباب الفرنسي لأنَّه مظهر من مظاهر الغزو الأمريكي فإنَّا بوصفنا مسلمين يلزمنا، أن نحذر من ذلك ونكون أشدّ إصراراً على المحافظة على هويتنا وخصوصياتنا وقيمنا ، وعدم التشبه والاقتداء بأعداء الإسلام ، كيف ورسولنا ص حذَّرنا من ذلك وقال : من تشبَّه بقوم فهو منهم أخرجه أحمد وجوَّد إسناده ابن تيمية وحسَّنه ابن حجرومن ابرز الأساليب للحفاظ على الهوية الإسلامية عدة نقاط :

١ـ التعلُّق باللهَّ ـ عزَّ وجل ـ والاستعانة والاستعاذة به ، وسؤاله الهداية والثبات والممات على دين الإسلام من غير تبديل ولا تغيير ٠

٢ـ الثِّقة بمنهج الله ووعده وحكمه وأوامره ، واليقين به ومراقبته ، والشعور بالمسؤوليَّة عن حفظ الدين من شبهات المغرضين ، وعدم خلطه بالباطل٠

٣ـ تلقِّي العلم عن العلماء الربَّانيين،وإرجاع المسائل المشكلة إليهم ليحلُّوها ويوضِّحوا ما أبهم على صاحبها، فلا يستعجل في قبول فكرةٍ أطلقها من لا يؤمن فكره،ولا يبقي تلك الشُّبهة في صدره حتَّى تعظم ، بل ينبغي عليه أن يضبط نفسه بالرجوع للراسخين من أهل العلم ؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول:فاسألوا أهل الذكر إن كنت لا تعلمون٠

٤ـ البناء الذاتي بمعرفة مصادر التَّلقي ، ومناهج الاستدلال الصحيحة ، وملء القلب بنور الوحي من الكتاب والسنَّة، مع ملازمة إجماع أهل السنَّة والجماعة٠

٥ـ التعلّق بكتاب الله قراءة وفقهاً وتدبُّراً وعملاً ، ولو أقبل الخلق على كتاب الله والانتهاج بنهجه ، لأجارهم سبحانه من الفتن ، فالقرآن شفاء لما في الصدور ، ومن يعرض عنه فسيصيبه من العذاب بقدر ابتعاده عنه وألّو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً * لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربِّه يسلكه عذاباً صعدا٠

٦ـ تكثيف البرامج التوجيهيَّة،وأخصُّ بالذكر وسائل الإعلام بشتَّى أصنافها، ومحاولة زرع الثقة في قلوب المسلمين بالاعتزاز بدينهم وعقيدتهم٠

٧ـ إنشاء مراكز الأبحاث والدراسات المعنيَّة برصد الانحرافات الفكريَّة ، والتعقيب عليها بتفنيد الشُّبه ، والجواب عن الشكوك والإثارات التي تخرج من بعض المارقين من قيم الإسلام ومبادئه ، والجهاد الفكري ضدَّها، من منطلق قوله تعالى:وجاهدهم به جهاداً كبيراً٠

٨ـ تربية النشء بما يرضي الله ، والتحاور معهم بتبيين فساد شبهات أهل الزيغ والهوى ، مع قوَّة الإقناع، وأدب الحوار ، فالتنشئة الصحيحة على التحصين العقدي هي أول عمليَّة في التربية٠

شروط الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلاميتين:

ينبغي أن ننظر إلى الواقع الثقافي والفكري والإعلامي في عالمنا من زاوية واسعة ،حتي تتضح لنا الصورة العامة ، وتتبين حقائق الأمور أمام أعيننا ، فنحن نقف اليوم أمام تيار كاسح لا نملك إزاءه إلاّ التعامل معه بحكمة ويقظة ، لأننا لانمتلك شروط المواجهة معه ، لكن لدينا شروط موضوعية لمواكبته ، والاندماج فيه ، والاسهام من موقعنا الثقافي والحضاري،في بناء عالم جديد قوامه العدل والسلام ، والتعايش والتسامح ، والتعاون الإنساني في إطار القانون الدولي ، وتحت مظلة الأمم المتحدة فهذا هو الأسلوب العملي لتلافي مخاطر العولمة ، وللتغلب على الصعاب والتحدّيات الناتجة عنها ،وللحفاظ على خصوصياتنا الثقافية والحضارية والمنهج الذي ندعو إلى اعتماده في معالجة المشكلات الناتجة عن اكتساح نظام العولمة للهوية والثقافة الإسلاميتين في هذه المرحلة الدقيقة ،يقوم على قاعدة التكامل في البحث عن حلول للأزمات الحضارية والمشكلات الثقافية ، وينطلق من رؤية شاملة إلى الواقع المعيش، بحيث لايمكن بأي حال،الفصل بين الأوضاع السياسة والاقتصادية والاجتماعية ، وبين الأوضاع الثقافية والفكرية والإعلامية ، لأنه لاسبيل إلى تقوية الذات بتحصين الهوية والثقافة العربية والحفاظ عليهما ، في ظل أوضاع غير منسجمة مع طموح الأمة، وفي ظروف ليست مواتية، من كافة النواحي ٠

ان العالم الإسلامي محكوم بظروف صعبة ، وينبغي أن نكون صرحاء مع أنفسنا ، نسلم بأن الدولة السبع والخمسين الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، تعاني من مشكلات اقتصادية صعبة ، وبعضها، بل أغلبها، يحتلّ المرتبة الدنيا في السجل الذي تنشره الأمم المتحدة في تقريرها السنوي عن التنمية البشرية في العالم، وتصنف غالبية هذه الدول ضمن الدول ضمن الدول التي تعيش تحت خط الفقر ، إلى جانب المشكلات السياسية التي تعم معظم االبلدان الإسلامية، التي تنتج عن الأزمات والصراعات والحروب، مما يتسبب في عدم الاستقرار، وفي ضياع فرص التنمية، وهدر الطاقات والقدرات ولا مجال للحديث عن الحفاظ على الهوية والثقافة الإسلاميتين في ظلّ هذه الأوضاع ،فالمجتمعات الضعيفة المتخلفة عن ركب التقدم الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي، لا تقوى على الدفاع عن خصوصياتها الثقافية وميراثها الحضاري، ولا تملك أن تصدّ الغارات الثقافية والإعلامية التي تواجهها من كل حدب وصوب، ولن تستطيع أن تقف صامدةً في معترك السياسة الدولية بأمواجها المتلاطمة، حفاظاً على مصالحها الحيوية لذلك نرى أن السبل التي يتعيّن على العالم الإسلامي أن يسلكها للحفاظ على هويته وثقافته الإسلاميتين،هي ما يلي :

أولاً : إصلاح الأوضاع العامة إصلاحاً رشيداً شاملاً، في إطار المنهج الإسلامي القويم ، والأسلوب الحكيم، ومن خلال الرؤية الشاملة إلى الواقع في جوانبه المتعدّدة، من أجل اكتساب مناعة ضد الضعف العام الذي يحدّ من حيوية الأمة ويشلّ حركتها ٠

ثانياً : إيلاء أقصى الاهتمام بتطوير التعليم ، والنهوض به، وتحديث مناهجه وبرامجه،مع التركيز على التعليم النافع الذي يفيد الفرد والمجتمع ويربي الأجيال على ثقافة العصر ويفتح أمامها آفاق المعرفة٠

ثالثاً : تقوية التعاون بين الدول العالم الإسلامي، وتعميق التضامن الإسلامي، وتحقيق التكامل فيما بينها، وتعزيز العمل الإسلامي المشترك، في إطار تنفيذ الاستراتيجيات التي وضعتها المنتظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وصادق عليها مؤتمر القمة الإسلامي في دوراته المتعاقبة ٠

رابعاً : تسوية الخلافات بين دول العالم الاسلامي ، والاحتكام إلى مبادئ الإسلام الخالدة لفضّ النزاعات، وإقامة علاقات أخوية متينة، تحقيقاً للمصالح المشتركة، وجلباً للمنافع ودراءاً للأخطار التي تهّدد الأمم الإسلامية قاطبة ٠

فبانتهاج هذه السبل المستقيمة ، تتقوى الذات الثقافية، وتصان الهوية الحضارية، وتحفظ الحقوق، ويتعزَّر حضور الأمة الإسلامية في الساحة الدولية مؤثرةً ومساهمة في الحضارة الإنسانية الجديدة ٠

٣ ـــ آليات تعزيز الهوية

أ ـــ من الناحية الدينية

إذاً أمام هذا الواقع تتجلى أهمية العناصر التي تم التأكيد عليها كمعالم للهوية الدينية مقاصد الشريعة،الثوابت والمتغيرات فيها، فقه المصالح والمفاسد، الوسطية، وبالتالي فهي مدعمات ومقويات للهوية، تقويها لا بالهروب من الاختلاط بالثقافات والديانات الأخرى كما كان مناسباً في فترة ما، ولم يعد ممكناً في زماننا، بل بتحصين الهوية من الناحية الدينية، لتكون مستعصية على المسخ، وصلبة عن الذوبان ونذكر بعض النقاط التي تبين قيمتها:

١ ـ من مقاصد الشريعة التعارف مع الشعوب لا الهروب منها

فمن الحقائق التي قررها القرآن الكريم بكل وضوح، أن التعارف بين الشعوب مقصد من المقاصد الشرعية، يقول تعالى: (يَا أَيُّها النُّاس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِّ أَتْقَاكُمْ إِنّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) وما كان الشرع ليجعل أمراً ما مقصداً، ثم يكون فيه ضرر على هويتنا إننا حين نعمل على تحصين هويتنا،فلا يضرها احتكاكها بهويات الآخرين، بل نسعى لتحقيق هذا المقصد الشرعي ونحتك بباقي الشعوب، ونتحقق أنه لا يزيدنا ذلك الاحتكاك سوى اعتزاز وفخر بهويتنا ونفس الوسائل التي يتيحها العصر يمكننا توظيفها للعمل على تحصين هويتنا من الضعف أو الذوبان٠

٢ ـ السلف والاحتكاك بأفكار وهويات أخرى•

من يرى سيرة السلف يقف على نماذج لامعة وحقائق ساطعة، تعكس الجهود التي بذلت للاطلاع على ما عند الآخرين بل إن ترجمة تراث الحضارات المختلفة، وصهره واستثماره والاستفادة منه قوى جانب الهوية عند سلفنا ثم إن السلف لم يقفوا عند حد الاستفادة، بل وأفادوا، وليس شيء ما يمنع تكرار هذا التلاقح من جديد، واستثمار كل نافع ومفيد فأرسطو مع أنه ابن أوروبا منذ ماضيها التليد، ظلت غافلة عنه وذاهلة عن تراثه حتى تعرفت على فكره من قلم تلميذه المسلم ابن رشد الحفيد، الذي نفض عن فكر أرسطو الغبار، وشرح كتبه وما حوته من أفكار، فرفعت أوروبا بأرسطو رأسها وزهت به بعدها، بعدما كانت نائمة عنه وعن فكره قرون قبلها فما الذي يمنع هذا اليوم؟•

٣ ـ فقه المصالح والمفاسد•

ان الأمم والشعوب لا تكون دائماً وأبداً على حالة واحدة من الرقي والتطور، وتعتورها سنن الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتغير، (وَتِلْكَ الأيَّام نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس) وإذا كانت الأمة في حاجة إلى فقه المصالح والمفاسد إبّان عِزّها وعُلوّها، فهي أحوج إليه حال ضعفها وتَقهقُرها، لأن الجسم العليل أكثرُ تأثراً بالأمراض، وأضعف عند الصدمات من الجسم القوي السليم•

وفي أحوال من ضعف الأمة الإسلامية أيام استحكام قبضة جيش التتار على جزء كبير منها، مر جماعة من العلماء وطلبة العلم على مجلس فيه بعض جند التتار الحاكمين وهم يقارعون الخمور فصرخ أولئك العلماء وطلبة العلم في وجوه التتار وقرّعوهم بسبب فعلهم فانبرى شيخ الإسلام بالنكير عليهم ولم ينكر على التتار لكن أنكر على العلماء الذين أنكروا عليهم تعاطيهم الخمر،فقال لهم:دعوهم فإنما حرمت الخمر لصدها عن الصلاة وعن ذكر الله أما هؤلاء فتَصرِفُهم عن دماء المسلمين ولقد أعمل شيخ الإسلام هذا الفقه؛ فقه تقدير المصالح والمفاسد فلم يكتف بعدم إنكاره على من يشربون الخمر، لكنه أنكر على الذين أنكروا على التتار شرب الخمر لماذا؟ لأن صون دماء المسلمين مقدم على عدم شرب الخمر هما مفسدتان ولكن إحداهما أعظم من الأخرىوفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد هذا مقرر في الكتاب والسنة، فقد قال تعالى: (وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِّ فَيَسُبُّوا اللهَّ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) فسب الأصنام مصلحة تترتب عليها غالباً مفسدة سب الله تعالى، ومن ثم فلتُفوَّت تلك المصلحة؛ مصلحةُ سب الآلهة المزيفة كي لا يعبدها الناس، درءاً لهذه المفسدة، مفسدة سب رب الناس٠

دور الترجمة إلى العربية في تعزيز الثقافة وبناء الهويّة

من المعروف أنّ الدّراسات الحديثة في مجال اللّسانيات والأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ،توصّلت إلى توضيح التّأثير المتبادَل بين اللّغة والهُوية والمقصود باللّغة هنا اللّغة الأمَّ، وبالهُويةِ الهُويَّة الفردية والاجتماعية على حدّ سواء ولقد عرف الوطن العربي في القرن التّاسع عشر وبدايات القرن العشرين نهضةً كبيرةً؛ كان للترجمة فيها دورٌ كبيرٌ وبعد أن مرّ العالم العربيُّ بسنوات عِجافٍ نسبيًا، في مجالات التفاعل الثّقافي والبحث العلمي وتطوير المعارف، فإن حركة الترجمة العربية تشهد منذ مطلع القرن الحالي تأسيس منظمات ومراكز ومعاهد وصلت إلى أعلى درجات النقل من اللغات الأجنبية إلى العربية، وهو الأمر الذي يدلّ على أن العالم العربي يلج في عصر جديدٍ من النّهضة الفعلية الواعدة.

نمو الوعي المعاصر بالهوية الاسلامية:

نتيجة لنمو حركة الوعي الثقافي في البلاد الإسلامية؛ مر الفكر الإسلامي بمرحلة تجديد لفتت الانتباه نوعاً ما إلى أهمية التوعية بهوية الأمة[1] وتميزها عما عداها، بوسطيتها، ونشرها للعدل والرحمة، وشمولها في مبادئها وأحكامها، واستيعابها لجميع جوانب الحياة وكل مظاهر الشخصية، وتحديد لصاحبها بكل دقة ووضوح هدفه وغايته (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُوَ بِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ)،وتدعو حركات التجديد تلك إلى العمل على تعزيز الهوية بأقوى سلاح، وهو العودة إلى الإسلام وتربية الأمة عليه بعقيدته القائمة على توحيد الله سبحانه وتعالى، والتي تجعل المسلم في عزة معنوية عالية (وَللهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) فللهوية علاقة أساسية بمعتقدات الفرد ومسلماته الفكرية والتي تحدد سماته الشخصية، ومن خلال هوية الأفراد تتشكل هوية المجتمع وضربت الدول الغربيةُ في العصر الحديث أعظم الأمثلة في المحافظة على هُويتها، واتخذت هذه الدول من العولمة المزعومة ستارًا لنشْر ثقافتها، وصبغ دول العالم بصبغتها، ومقابل ذلك حرصتْ على

١- أزمة البحث عن هوية في مواجهة الحضارة الغربية– محمد فاروق النبهان الإسلامية – ص٢١٣_ ٢١٤

ألا تعطي فرصة للهُويات الأخرى أن تتحرَّك، أو تثبت وُجُودها.

الغرْب يحافظ على هويته

وكان النموذج الأمريكي هو النموذج الأمثل في ضرب أعظم مثال في فرض هويته،واحتكار الهويات الأخرى، ومُحاولة غزوها في عقر دارها، ولم يقتصرْ هذا النهَم الأمريكي في فرْض هُويته على عالمنا الإسلامي، بل امتدَّ حتى شمل دولاً غربية ونصرانيَّة وتنبه حراس المشروع الثقافي الفرنسي، وأهل الغيرة على الهُوية الفرنسية لهذا النهم الأمريكي، مما جعلهم يرفضون التوقيع على الجزء الثقافي من اتِّفاقية الجات، ورفعوا شعار: الاستثناء الثقافي، بل وصل الأمر بحراس المشروع الفرنسي أن يستصدروا قانونًا يحظر على الفرنسيين أن يستخدموا أيَّة لغة أجنبية في خطابهم العام، وإلا تعرَّضوا لغرامة تصل إلى ألفي دولار.

وإذا كان هذا الحرْص على الهُوية بين الدول الغربية من بعضها على ما بينها من تقارُب واتِّفاق، فما بالنا بمدى خَوْفهم على هُويتهم جميعًا من الهُوية الإسلامية المخالفة لهم قلبًا وقالبًا؟ وليس خوفُ الغرْب من الهوية الإسلامية، واحتدام الصِّراع بين الحضارتين، بالأمر الجديد المحدَث، إنما هو أمرٌ قديم، حدَّد قدمه صمويل هانتنجتون حينما قال: إن الصراع على طول خط الخلل بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ ١٣٠٠ عام، والأمر المثير للعجب: أن الهُوية الإسلامية كانتْ تنتصر على الهُويات المصارعة لها، سواء أكانت الهُوية الإسلاميَّة في حالة قوة أم في حالة ضعف وهذه الحقيقة التاريخية هي التي تجعل قادة الغرب المعاصرين يتخوَّفُون من الإسلام أشد التخوُّف.

قادة الغرب المعاصرون والخوف من الهوية الإسلامية:

لئن كان تأثير الهوية الإسلامية في الهويات الأخرى، بل وإذابتها لها، وصهر أصحابها في بوتقة الإسلام في حالة انتصار الإسلام وقوته من الأمور العادية؛ انطلاقًا من قاعدة تأثر المغلوب بالغالب، فالعجيبُ أن تصهر في بوتقتها الهويات الأخرى، والمسلمون في حالة تراجُع وانهزام وهذا ما حدَث بالفعل في الحروب الصليبية الأولى، وفي حروب التتار والمغول،حتى تحوَّل الغُزاة الوثنيون إلى مسلمين، يحملون راية الإسلام، ويمكنون له في الأرض وهذه الظاهرةُ أدْركها الغربُ المعاصر، فوضع من الترتيبات والتدابير ما يحصن به العقل الغربي حينما يغزو بلاد الإسلام من الوقوع فيما وقع فيه السابقون، وهل كان الاستشراقُ إلا وسيلةَ من وسائل هذا التحصين الفكري للعقل الغربي؛ يقول الأستاذ محمود شاكر: وبيِّنٌ لك الآن بلا خفاء أن كتب الاستشراق ومقالاته ودراساته كلها مكتوبة أصلاً للمثقف الأوروبي وحده لا لغيره، وكتبتْ له لهدفٍ معين في زمان معينٍ، وبأسلوب معين، لا يراد به الوصول إلى الحقيقة المجردة، بل الوصول الموفق إلى حماية عقل هذا الأوروبي المثقف من أن يتحرَّك في جهةٍ مخالفة للجهة التي يستقبلها زحف المسيحية الشمالية على دار الإسلام في الجنوب، وأن تكون له نظرة ثابتة هو مقتنع كل الاقتناع بصحتها، ينظر بها إلى صورة واضحة المعالِم لهذا العالَم العربي وثقافته وحضارته وأهله،

وأن يكون قادرًا على خَوْض ما يخوض فيه من الحديث، مع من سوف يلاقيهم، أو يُعاشرهم من المسلمين، وفي عقله وفي قلبه ولسانه ويقينه،وعلى مده بمعلومات وافرة يثق بها، ويطمئن إليها، ويُجادل عليها، دون أن تضعفَ له حمية، أو تلين له قناة، أو يتردَّد في المنافَحة عنها أو يتلجلج، أيًّا كان الموضوع الذي تدفعه المفاوضة إلى الخوض فيه [1] وواضح من هذا الكلام أن الهدف الأهم من وراء الاستشراق هو إقامة حصن ثقافي قوي، تَتَحَصَّن به الهُوية الغربيَّة إذا ما هجمت على دار الإسلام؛ حتى تتفادى السقوط القديم في التأثُّر بالفكر الإسلامي ولم يقفْ خَوْف الغرب منَ الهُوية الإسلامية عند قادة الثقافة والفكر، بل جاءتْ عبارات القادة السياسيين والعسكريين تُبَيِّن مدى خوف هؤلاء أيضًا من الهُوية الإسلامية يقول نيكسون رئيس الولايات المتحدة سابقًا: إننا لا نخشى

١- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا - محمود شاكر ص ٦١ ، ٦٢

الضربة النووية، ولكن نخْشى الإسلام والحرب العقائدية التي قد تقضي على هوية الغرب وقال أيضًا: إن العالَم الإسلامي يشكل واحدًا من أكبر التحديات السياسية للولايات المتحدة الأمريكية الخارجية في القرن الحادي والعشرين وهذا أيضًا مسؤول في الخارجية الفرنسية يُصَرِّح وبكل وُضُوح: إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدًا مباشرًا عنيفًا هو الخطرالإسلامي وهذه بعض العبارات مِن وثيقة لوزير المستعمرات البريطانية أورمس جو في ٩ / ١ / ١٩٣٨م، وهذه الوثيقةُ محفوظة فى المركز العام للوثائق بلندن تحت رقم ٣٧١ / ٥٥٩٥ جاء فيها: إن الحرب علَّمَتْنا أنَّ الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي ينبغي على الإمبراطورية أن تحذره وتحاربه، وليستْ إنجلترا وحدها هي التي تلتزم بذلك بل فرنسا أيضًا، ومِن دواعِي فرحنا أن الخلافة الإسلامية زالتْ، لقد ذهبتْ ونتمنى أن يكونَ ذلك إلى غير رجعة، إن سياستنا تهدف دائماً وأبدًا إلى منْع الوحدة الإسلامية، أو التضامُن الإسلامي، ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك، إننا في السودان ونيجيريا ومصر ودول إسلامية أخرى شجعنا وكنا على صواب نمو القوميات المحلية، فهي أقل خطرًا من الوحدة الإسلامية، أو التضامن الإسلامي.

إن موضوع الهوية وكيفية الحفاظ عليها في حاجة إلى جهود ضخمة لا يسع مقال كهذا إلى حصرها، لكننا سنمر عليه مروراً سريعاً نذكر فيه رؤوس أقلام لأهم سبل المواجهة للمحافظة على هويتنا:

- فعلى المستوى العقدي: على المجتمعات الإسلامية حكومة وشعباً تنمية هذا الجانب، والاهتمام به لأنه الضمانة الوحيدة لبقاء واستمرارية الحياة بهذه الهوية، فجانب الدين والعقيدة بالنسبة للهوية بمثابة الروح بالنسبة للجسد، وبفقدها تتحول كل المكتسبات العلمية والثقافية والأدبية إلى نقم، ومنغصات؛ على هذه الشعوب، وإلى معاول هدم لحضارتها.

وهذه التنمية تكون بإحياء حركة تجديد الدين بالمفهوم السلفي الواضح؛ لنعود إلى منابع الإسلام الصافية متمثلة في منهاج النبوة بعيداً عن مخلفات القرون، والدعوة إلى حتمية الحل الإسلامي لمعضلات واقعنا الأليم، وتحرير الهوية المسلمة من كل مظاهر الخور والتبعية والتقليد، والقضاء على العقبات التي تحول دون تطبيق الإسلام كمنهج شامل للحياة، والتصدي لمحاولات تذويب الهوية الإسلامية، وقطع صلة الأمة بدينها.

- وعلى المستوى التأريخي: لابد من العمل على استعادة ذاكرة التاريخ مرة ثانية للوقوف على تاريخ هذه الحضارة، وذلك لأن التاريخ عنصر مهم من عناصر الهوية الإسلامية، ويشمل ذلك سرد الأحداث السياسية والاقتصادية والعسكرية المتصلة بحقب مختلفة، وتحليلها في ضوء الدوافع والآثار والظروف الزمانية والمكانية، فقد ضمت مصادر الإسلام كثيراً من النصوص التاريخية، والغاية من التحليل استنباط العبر من النصر أو الهزيمة، والتأمل في قصور العقل البشري، فالانتصار سيظل موضع فخر الأجيال المتعاقبة، والهزيمة ستبقى محل اعتبار القرون المتوالية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ٠

- وعلى المستوى الثقافي: لابد لنا من ملء الفراغ الحضاري الذي وصلنا إليه؛ بتطوير معارفنا، والعمل على استيعاب القديم بعقل منفتح، كذلك علينا الحفاظ على اللغة الحافظة والناقلة لهذه الثقافة لأنها الضمانة الوحيدة لاستمرار هذه المكون وتطوره، ولا بأس بعد ذلك من الانفتاح على الآخر للاستفادة من علومه ومعارفه، وهي إشكالية أوجزها الدكتور محمد عمارة في معرض حديثه عن العولمة وكيفية مواجهتها بقوله: لابد -في مواجهة العولمة الغربية من التمييز في بين مستويات ثلاث: فهناك الإنسان الغربي وهذا لا مشكلة بيننا وبينه؛ بل إن لنا في بعض دوائره الفكرية وتياراته السياسية الكثير من التفهم والمناصر والتأييد،

وهناك العلم الغربي وخاصة ثمرات إبداع العبقرية الغربية في العلوم الطبيعية وتطبيقاتها، وفيه تتمثّل الحكمة التي نحن مدعوون بمعايير الدين والدنيا إلى طلبها، والتتلمذ على أهلها، والاستلهام لحقائقها وصوابها، وهناك أخيراً المشروع الغربي الذي لا نعاديه إلا عندما ينفي مشروعنا العربي والإسلامي ٠

- ومن عوامل الحفاظ على الهوية إضافة إلى ما سبق: تعزيز الاعتزاز بالذات، ويأتي ذلك عن طريق تنمية الثقة لدي أفراد المجتمع المسلم في أمته وحضارتها، فالأمة التي لا تثق بقدراتها، ولا تقدر إمكاناتها الذاتية حق قدرها؛ لا يمكن إلا أن تكون على الدوام ظلاً للآخرين، تابعة لهم، لا تعتمد إلا ما يقولون، ولا تنفذ إلا ما يقررون، وهذا هو التسول الحضاري بعينه، الذي يُمثّل قمة العجز والفشل والاستسلام أمام التحديات التي تواجهها ٠

- كذلك لابد من الاستعانة بإعلام إسلامي متخصص متطور ومساير للعصر ولروح الشريعة في آن واحد، لمزاحمة الإعلام الموجه المسيطر على كافة جوانب الحياة في عالمنا العربي والإسلامي، حيث صار إعلامنا في ظل هذه العولمة أو بالأصح الأمركة لا يبث إلا ما يخدم أهداف المشروع الغربي، حتى أصبح من الصعب التفرقة بين قنواتنا بما تحمله من محتوى إعلامي؛ وبين القنوات التي تبث من دول الغرب٠

دور الصحوة الإسلامية في رسم وحدة هوية الأمة الإسلامية

الصحوة الإسلامية تهدف بمفهومها العام للحفاظ يقينا على هوية الأمة موحدة من غير تبديل ولا أنحراف ولا تغيير للمحتوى ولا لبس للباطل ولا تقليد أعمي فالصحوة مرداها حماية معالم الهوية تميزا عن الغير ومطابقة للذات وإليك بعض النقاط العامة التي تبين كيف من الممكن للصحوة الإسلامية أن تلعب دورا رئيسا في رسم وحدة هوية الأمة ٠

١- بناء الإنسان المتكامل ، ليكون بحجم التحدي ، وتربيته على أخلاقيات عقائدية تمنحه المناعة الحضارية المطلوبة، ولعل أهم مرحلة في هذه التربية العمل على إشاعة وترسيخ القيم العقائدية والإيمانية؛ لأن بها وقف الجيل الأول من الأمة في وجه كل اختراق، واستطاعوا ترسيخ المبادئ العامة للإبداع الحضاري ، الذي يكرم الإنسان كيفما كان نوعه ولونه وجنسه فبدون هذه الخطوة الأساسية ومع تفشي آفة القطيعة بين العقيدة والسلوك في حياة المسلم المعاصر لن يكون بإمكاننا الوقوف طويلاً في وجه الزيف الحضاري القادم٠

٢- تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي أصابت ثقافتنا، مما أدى إلى انحراف الفرد والمجتمع، فالتوكل أصبح تواكلاً، والإيمان بالقدر أصبح عجزاً وقعوداً عن العمل، والزهد أصبح خمولاً وقعوداً عن العمل، والعبادة رهبنة وانقطاع عن الحياة، وذكر الله _سبحانه وتعالى_ أصبح تمتمات وهمهمات وأقوال بلا أفعال، كما يجب أن نوضح ونبرز المقاييس الثقافية الإسلامية الصحيحة وتفعيلها في الإنتاج الثقافي الذي يحمل مفاهيمها الحقيقية٠

٣- يجب على الأمة الإسلامية أن تسارع في الاستفادة من مكتسبات التكنولوجيا في وسائلها الإعلامية، خاصة الأقمار الصناعية والقنوات التلفزيونية واستعمالها في توعية وتثقيف الأطفال والشباب وحمايتهم من الوقوع في فلك الانحراف والضلال وحماية وجود الأمة الإسلامية وغيرها من خطر الغزو العلمي والتكنولوجي الجديد، وبخاصة أن الثقافة الإسلامية ثقافة عالمية، ورسالة الإسلام جاءت للبشرية جمعاء، كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ٠

٤- تجديد الخطاب الثقافي الإسلامي وتطويره، بحيث يلائم روح العصر مع ضرورة الحفاظ على أصالة الثقافة الإسلامية ومضمونها من أجل خدمة الهوية الإسلامية٠

٥- ضرورة وضع ضوابط وقيود وإشراف من قبل مختصين عند استخدام شبكة الإنترنت، وبخاصة فيما يتعلق بالبرامج الإباحية والمنافية لقيم وثقافة المجتمعات الإسلامية٠

٦- ينبغي إنشاء مراكز ثقافية إسلامية موحدة تهتم بدراسة قضايا العصر، سواء كانت ثقافية أم اجتماعية أم حضارية فور ظهورها ومن ثم متابعة تطورها ووضع التصور السليم للموقف الإسلامي إزاءها، وهذا يتطلب عقد الندوات العلمية والمؤتمرات الثقافية وإيجاد مراكز ثقافية موحدة، لا يعني إطلاقاً إلغاء التنوع والتعدد الثقافي، وإنما يعني السعي نحو تأسيس رؤية ثقافية كونية ناتجة عن التفاعل الإيجابي والحر بين مختلف مراكز الفكر والثقافة، فالتوحد ضمن حقيقة التعدد والاتفاق ضمن حقيقة التنوع .

٧- الانفتاح على الثقافة الغربية والاستفادة من تطورها العلمي والتكنولوجي ينبغي أن يكون من خلال استراتيجية تضمن إيجابية هذا الانفتاح؛ لأن الانفتاح المذموم هو الذي أدى إلى ذوبان الشخصية الثقافية بسبب الانهيار والاغتراب عبر منافذ الاختراق والتغريب، والإسلام لا يمنع الانفتاح المحكم الرامي نحو الاستفادة من علوم الآخرين النافعة.

٨- المشروع الحضاري الإسلامي لا يمكن أن يحقق تميزه الإسلامي، ومن ثم أداء دوره العالمي وفق منهج الله إلا إذا ركن إلى العلم الشرعي بمعناه الواسع وتم تأهيل العالم المسلم بحيث تكون دراسته لعلم الشريعة مرتبطة بالوقائع الحية التي تعيشها الأمة والعالم في هذا العصر .

٩- إيجاد بيئة صالحة للحوار بين أتباع المذاهب الإسلامية المختلفة يسودها لغة العلم والحوار ، ويطغى عليها ثوب الأدب والرشد ، وغايتها الوصول لحال واحد يجمع شتات الأمة وإن أختلفت اجتهاداتهم الفقهية٠

١٠- إيجاد منبر إعلامي حر غير مسيس خاص بالمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب يشارك به الاساتذة والعلماء من شتى الدول الإسلامية والعربية وكبادرة راقية للأمة للتواصل والتفاهم ٠

الهوية الإسلامية وتحقيق الغلبة الحضارية:

الأمة الإسلامية في عصورها الأولى لما كانت رائدة العلم والحضارة، احتلت الهوية الإسلامية الصدارة في العالم، واستمرت على ذلك ردحاً من الزمن ولما تراجعت شعوب الأمة الإسلامية تراجعاً خطيراً إلى الأمية بعوامل مختلفة، تراجعت معها هويتها تراجعاً طردياً رغم أن شعوب الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بدأت تستعيد ما يمكن أن نطلق عليه ازدهاراً ملموساً في الجانب الحضاري المادي من جهة، والجانب الفكري من جهة، وبدأت تتخلص من الأمية العارضة الخارجة عن هويتها، إلا أن هذه النسبة ما تزال دون المطلوب وهذا يعود إلى طبيعة خلاص الشعوب الإسلامية من أعراضها المرضية الطارئة وطبيعة ارتقائها، وعائد إلى مكائد الدول الكبرى غير الإسلامية لإبقاء شعوب الأمة الإسلامية محجوبة عن الارتقاء الحضاري بدافع نزعات استعمارية، وتخوفها من عودة الإسلام للنهوض بالشعوب الإسلامية في ركب الحضارة المادية لذا على شعوب الأمة الإسلامية التوجه للتحقق بما وجهها الله له، وأن يعملوا بجهد مكثف للارتقاء الحضاري الشامل لهذه الأمة الإسلامية التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس إذا حافظت على هويتها التي أوصاها الله ورسوله بأن تحافظ عليها.

أهم المصادر والمراجع:

١- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية- محمد محمد عبدالقادر الخطيب٠

٢- جاهلية القرن العشرين - محمد قطب ٠

٣- شخصية المسلم كما يصنعها الإسلام -عبدالمنعم النمر٠

٤- الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر- محمد سيد محمد

٥- حقيقة القومية العربية- محمد الغزالي

٦- الإسلام والحضارة الغربية -محمد محمد حسين

٧- الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة- القرضاوي

٨- نظرات في التربية الإسلامية - سعيد إسماعيل

٩- مؤشرات حول الحضارة الإسلامية -عماد الدين خليل٠

١٠- حاضر العالم الإسلامي - على جريشة

١١- الشباب المسلم في مواجهة التحديات - عبدالله ناصح علوان

١٢- تعميق الانتماء لدى شباب الجامعات المصرية -عبدالعزيز محمد عطية

١٣-التحديات المعاصرة التي تجابه المجتمع الإسلامي -ناصر على أحمد بشيه ٠

١٤- التعليم وتحديات القرن الحادي والعشرين- جابر عبدالحميد جابر

١٥- التحديات العلمية والتكنولوجية ودور التعليم العالي في مواجهتها - حمود السعدون

١٦- تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي – د- أبو زيد شلبي٠
١٧- أهمية التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية – د=بدر البدر ٠
١٨- بعض مؤشرات الحفاظ على الهوية - د/سليمان العقيل ٠
١٩- الأمة الربانية الواحدة عبد الرحمن حبنكه٠
٢٠- كواشف زيف في المذاهب الفكرية المعاصرة -عبد الرحمن حبنكه٠
٢١- تجديد الوعي- د/عبدالكريم بكار ٠
٢٢- معالم الشخصية الإسلامية -عمر سليمان الأشقر٠
٢٣- البحث عن هوية تربوية -علي أحمد مدكور
٢٤- أزمة البحث عن هوية في مواجهة الحضارة الغربية - محمد فاروق النبهان ٠
٢٥- هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق - محمد إسماعيل و جمال سلطان٠
٢٦- تاريخ المذاهب الإسلامية- الشيخ محمد أبو زهرة٠
٢٧- أخطاء المنهج الغربي الوافد- أ٠ أنور الجندي،
٢٨- العواصم من القواصم، تحقيق: الشيخ محب الدين الخطيب
٢٩- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر- محمد الغزالي
٣٠- الإسلام قوة الغد العالمية- باول شمتز، ترجمة -د محمد شامة
٣١- محاكمة فكر طه حسين- أنور الجندي٠
٣٢- شاهد على العصر -مذكرات محمد لطفي جمعة ٠
٣٣- رحلتي من الشك إلى الإيمان- د مصطفى محمود
٣٤- اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب- أنور الجندي ٠

٣٥- تاريخ الغزو الفكري والتغريب - أنور الجندي ٠
٣٦- حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب - د هاشم حسن فرغل٠
٣٧- عولمة اللغة أم لغة العولمة -إبراهيم حمدان ٠
٣٨- كتاب الخصائص- أبو الفتح عثمان بن جني٠
٣٩- اللغة العربية بين حماتها وخصومها- أنور الجندي٠
٤٠- الإيديولوجيا والهوية الثقافية -جورج لارين٠
٤١- الشباب العربي ومشكلاته- عزت حجازي٠
٤٢- العولمة والهوية الثقافية- محمد عابد الجابري٠
٤٣- الشباب العربي ومشكلاته -حجازي عزت ٠
٤٤- العولمة الثقافية وأثرها على الهوية - خالد بن عبد الله القاسم ٠
٤٥- الهوية الوطنية - أحمد بن نعمان ٠
٤٦- العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة- محمد بن سعد التميمي ٠
٤٧- الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية- حسن حنفي ٠
٤٨- مخططات الاحتلال لمكافحة الإسلام- محمد محمود الصواف٠
٤٩- التعريفات- الشريف الجرجاني ٠
٥٠- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د محمد عمارة٠
٥١- العولمة وعالم بلا هوية، محمود سمير المنير٠
٥٢- صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي- صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب ٠
٥٣- حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والانتماء القرآني- أنور الجندي٠
٥٤- فخ العولمة، هانس بيتر مارتن، هارالد شومان، ترجمة: د عدنان عباس علي ٠

٥٥- العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها- د إسماعيل علي محمد٠
٥٦- العولمة والتحدي الثقافي- د باسم علي خريسان٠
٥٧- العالم من منظور غربي، د عبدالوهاب المسيري٠

الفهرست